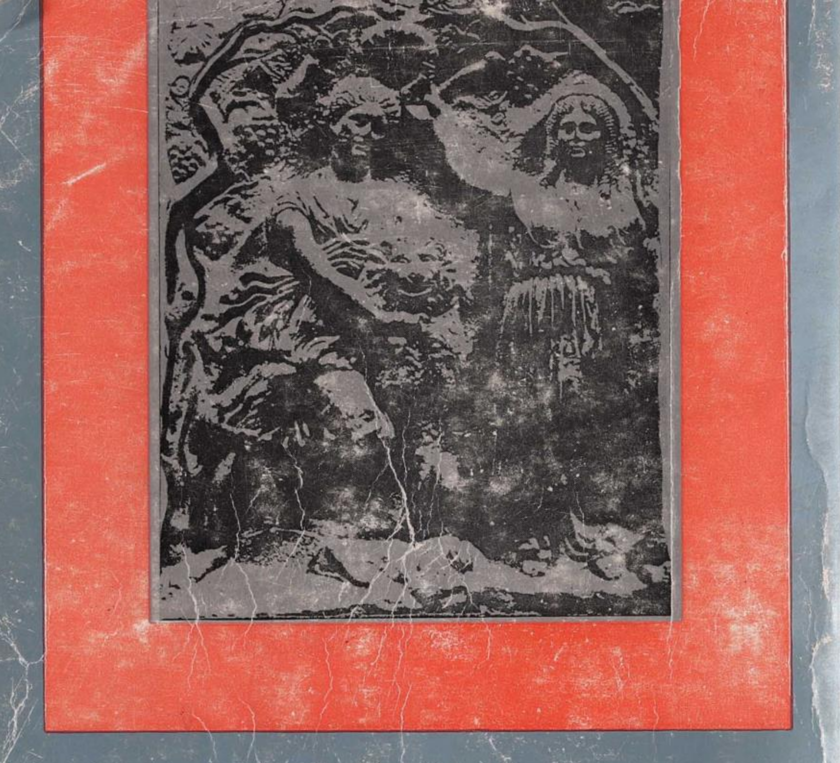


عَلي فهمي خشيم

نصوص ليبية

من: هيرودوتس - سترابو - بليني الأكبر - ديودوروس الصّقلّي - بروكوبيوس القيصري - ليو الأفريقي

الطبعة الثانية
منقحة ومزيدة

الناشر
دار مكتبة الفكر
٤٣ - شارع عمرو بن العاص - طرابلس، ليبيا
هاتف ٣٤٦٠٥ ص.ب ٣٠٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

سورة التوبة



نصوص ليبية

من :

هيرودوتس ١٠

سترابو ٧٩

بليني الأكبر ٩٩

ديودوروس الصقلي ١٤٩

بروكوبيوس القيصري ١٧٣ — ١٨١

ليون الإفريقي ٢٠١

جمعها وترجمها وعلق عليها

الدكتور علي فهمي خشيم

دار مكتبة الفكر

٤٣ - شارع عمرو بن العاص - طرابلس ، ليبيا

هاتف ٣٤٦٠٥ ص.ب ٣٠٠٦

الإهداء

إلى زوجتي
التي لولا مساعدتها لما كان
هذا الكتاب

الطبعة الأولى
نوفمبر ١٩٦٧

الطبعة الثانية
ينـــاير ١٩٧٥

مُقـدِّمة الطبعةِ الأولى

جاء أمر هذا الكتاب عرضاً – مثلما يحدث لأغلب الكتب .

فقد كنت أقرأ في بعض المسائل ذات الصلة بتاريخ ليبيا وماضيها ، وأتتبع خيوط أحداث كنت أحب أن أعرض لها ، فاذا بي ألاحظ نصوصاً طويلة سطرها مشاهير الكتاب والمؤرخين يروون فيها خبر ماضي هذا البلد ، وما مر به من أحداث أكثر قومنا عنها غافلون . وكنت أرى بين الحين والآخر مدى الجهد الذي بذله ويبذله الباحثون من الغرب ، وما يلاقونه منعناء في سبيل العثور على خيوط تاريخ هذا البلد الذي تميز بموقعه الفريد ومناخه المتنوع ، فكان من أجل هذا مسرحاً لحضارات عظيمة ازدهرت فوق أرضه ونمت وضربت بجذورها حتى الأعماق ..

وكنت أخاطب بعض الإخوة في هذه الأمور فأرى من بعضهم صدوداً عنها ، ومن الآخر جهلاً بها ، ومن الثالث إقبال المتخوف المريب .

وإني لأومن اليوم – أكثر من أي وقت مضى – بأنه ما من شعب يهمل تاريخه ، بعيده وقريبه ، وينأى عنه بجانبه ، ولا يبذل في سبيل إحيائه والمحافظة على تراثه الكثير ، يستحق بعد هذا الحياة .

وإني لأجد أن تاريخ ليبيا واسع رحيب لكل دارس وباحث ، بل هو الى

جانب هذا تاريخ ممتع ملذّ . وأرى أن الغوص في هذا التاريخ والبحث فيه وعنه لأنفع لبلادنا وأفيد من هذا التيه الفكري الذي نعانيه ، وأكثر ارتباطاً بالأرض التي تحملنا وتحمل معنا آلامنا وآمالنا وطموحنا إلى غد أوضح وأفضل .

من هنا رأيت أن أسهم بقدر ما أملك من زاد جد قليل في هذا الميدان الذي آمل أن يجد الإيمان والعمل والحماسة من أبناء هذا البلد خاصةً كما وجدها في أبناء غيره من قبل . فاخترت هذه النصوص التي يجدها القاريء بين يديه الآن ، وقمت بنقلها والتقديم لها والتعليق عليها . وهي مهمة لا أدّعي أنها كانت يسيرة هينة ، وكان أشق ما فيها أنها من ميدان غير ميدان تخصصي ، وإن كانت تمت اليه بأكثر من سبب .

ولعل الصدفة وحدها هي التي تحكمت في اختياري لهذه النصوص ، وهو لم يكن اختياراً بالمعنى الدقيق المفهـوم ؛ ذلك لأن هنـاك سلسلة للكتابات الكلاسيكية تدعى « The Loeb Classical Library » وهي تصدر في بريطانيا ، تخصصت في ترجمة ونقل المؤلفات الكلاسيكية اليونانية والرومانية ، وكانت تنشر النص الأصلي مع الترجمة الإنجليزية لأحد كبار العلماء مقدّماً لها ومعلقاً عليها إن لزم الأمر . وقد كانت مكتبة الجامعة الليبية ببنغازي أتت ببعض مما أصدرته مؤسسة Loeb أو ببعض أجزائه ، ولم يتيسر لها أن تأتي بالبعض الآخر . فكان عليّ إذن أن أكتفي بما بين يديّ لأعمل فيه حفاظاً على الوقت ، وحرصاً على فورة الحماسة أن لا تخبو .. وقد كان .

ويجد القاريء فيما يلي ما نقلته عن أبي التاريخ « هيرودوتس » وقد نقلته عن ترجمة السيد A. D. Godley للاصل اليوناني من سلسلة (لويب) الطبعة الرابعة — بريطانيا ١٩٤٦ م . وكانت نصوص « بليني الأكبر » من ترجمة السيد H. Packham عن اللاتينية ، نفس السلسلة الطبعة الرابعة — جلاسجو ١٩٥٨ م .

أما نصوص « ديودوروس الصقلي » فقد نقلتها عن ترجمة السيد C. H. Oldfather للأصل اليوناني — نفس السلسلة ، الطبعة الثانية ١٩٥٣ م . ونقلت ما ترجمه السيد H. B. Dewing بالاشتراك مع السيد C. Downey مـن « بروكوبيوس القيصري » عن اليونانية — نفس السلسلة ، الطبعة الثانية ، بريطانيا ١٩٥٤ م . وهذه النصوص تكون بهذا الترتيب قد انتظمت في عهود متتالية تبدأ من القرن السابع قبل الميلاد وتنتهي في القرن السادس بعده .

وسيلقى القاريء نفسه في هذه النصوص ، أمام مزيج من التاريخ والأسطورة والجغرافيا وعلم الأجناس والطبيعة من حيوان ونبات وجماد . وهو ربما يأخذه العجب حين يقرأ ما يبدو لنا الآن خلطاً غير علمي . لكن العذر أن هذه كانت طريقة الأقدمين في الكتابة والتأليف ، وأن ما يقرأه كان هو المفهوم السائد يومذاك . لكنه على كل حال سيرى أن ما أمامه شيء يبدو جديداً على المكتبة الليبية — إن لم تكن العربية — وهو شيء فيه من الطرافة القدر الكبير ..

ولقد حرصت قدر الجهد على الدقة في الترجمة ، وعدم تجاوز ما يرويه النص بحذف أو زيادة ، اللهم إلا في مواضع قليلة دعت إليها الحاجة الملحة ، وهو أمر لا يكون معه مجال للبلاغة الأدبية أو التأنق في التعبير ، وتتطلبه الدقة العلمية الواجبة . فليعذرني القاريء إذن حين تضايقه هذه الترجمة « الحرفية » في بعض الأحيان .

وبعد ...

فأني لأرجو أن أكون قدمت لبنة في بناء مكتبتنا الليبية العربية التي لا تزال تحتاج إلى جهد كبير وبذل وعطاء حتى تنمو وترتفع عالية شامخة بين مكتبات هذا العالم المتصارع الذي لا يبقى فيه إلا من كان يستحق البقاء . وآمل أن يجد الدارس المتخصص في هذه النصوص والتعليقات عليها مادة صالحة للبحث والدرس ، ويلقى فيها القاريء غير المتخصص فائدة ومتعة ، علم الله أنني بذلت جهدي في توفيرها له ..

وإني أود أن أنتهز هذه الفرصة فأقدم شكري الخالص لكل من أعانني على إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود . وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور إبراهيم نصحي – أستاذ التاريخ بآداب عين شمس وبآداب الجامعة الليبية – والأستاذ الدكتور فوزي فهيم جاد الله – أستاذ التاريخ بالجامعة الليبية – على ما أسدياه لي من فضل وعون ، فقد تفضل د . نصحي بمراجعة نصوص (هيرودوتس) و د . فوزي بمراجعة نصوص (بليني الأكبر) على الأصلين اليوناني واللاتيني ، بالإضافة الى النص الانجليزي . كما أشكر السيد سالم الفيتوري – المصور الخاص لجريدة برقة الجديدة – الذي نقل بعض الصور الملحقة بالكتاب من مصادرها ، وإدارة الآثار ومتحف السراي التي تفضلت بتيسير اطلاعي على بعض المراجع الهامة ونقل صور ورسوم منها . وإني لأرجو بعد هذا أن أرى يد العون تمد لي لتلافي ما في هذا العمل من نقص ، هو لا شك جد كثير .

والله ولي التوفيق .

علي فهمي خشيم

مصراته في ٩ / ٨ / ١٩٦٧ م

مُقَدِّمَةُ الطَّبعَةِ الثَّانِيَة

هذه هي الطبعة الثانية من « نصوص ليبية » وقد يسر الله لطبعته الأولى أن تلقى قبولاً لدى الدارسين والقارئين ، وأن تجد طريقها إلى المهتمين بما جاء فيها من المتخصصين والمتتبعين لموضوعاتها .

وقد بذلت جهدي لتنقيح النصوص ومراجعتها ، وتصويب ما تبين لي خطأه ، وإضافة ما رأيته ضرورياً من الهوامش والتعليقات . وزدت نصين جديدين ؛ أولهما للجغرافي « سترابو » والثاني للرحالة « ليون الأفريقي » يجدهما القارىء في موضعيهما المعيّنين . كما أحب الإشارة هنا إلى أن معظم الإحالة في الهوامش والتعليقات كانت إلى نصوص موجودة في هذا الكتاب تسهيلاً على القارىء والدارس .

وليس ثمة من كلمة سوى شكر من تفضل بالتنبيه إلى أمر فاتني أو أشار إلى سهو ، والاشادة بالروح الطيبة التي استقبل بها هذا الكتاب .

القاهرة في ٢٩ / ٦ / ١٩٧٥ م .

نصوصٌ مِن هيرُودوتس

تعريف

حياته

هيرودوتس – أو عطية الربة هيرا – مواطن من مدينة (هاليكارناسوس) في (كاريا) ولا يمكن تحديد مولده بالضبط ، إلا أن المرجح أنه ولد عام ٤٨٤ ق.م. وقد أمضى حياته الاولى في بلدته وربما قضى شطراً منها في جزيرة (ساوس) غير أنه لم يلبث أن هرب من اضطهاد طاغية مسقط رأسه المدعو (لوغداميس) الذي قتل عمه لنشاطه السياسي المعادي لهذا الطاغية .

وخلال سبعة عشر عاماً ظل هيرودوتس يطوف العالم المعروف يومذاك . فزار ما مقداره ٢٤ درجة عرضاً و ٣١ درجة طولاً في اليونان وجزر بحر ايجه ، وآسيا الصغرى ، وبلاد ما بين النهرين ، وأقاصي سواحل البحر الأسود ، وسكيذيا ، وتراقيا ، وسوريا ، وفلسطين ، ومصر حتى أسوان ، وقورينا في ليبيا . ثم آب إلى موطنه بعد عزل لوغداميس ، وتركه سنة ٤٤٧ ق.م. واستقر في أثينا حيث كتب (تاريخه) الشهير ، لكن الحياة لم ترق له في أثينا فغادرها إلى (ثوري) وعاش هناك – فيما عدا رحلة واحدة إلى أثينا – حتى وفاته عام ٤٢٤ ق.م. عاملاً في إعداد كتابه العظيم .

تاريخه

يعرف هيرودوتس بأنه (أبو التاريخ) وما كان ذلك إلاّ لأنه كان أول من صنّف كتاباً جمع فيه ما دار من أحداث قبله وفي أيامه ، وسجلها بغية ايصالها إلى الأجيال القادمة ، باذلاً أقصى جهد في هذا الجمع والتسجيل ، ومستخدماً مختلف الطرق التي يتبعها المؤرخون لتسجيل تاريخ الشعوب والأفراد .

وقد كان هدف هيرودوتس الأصلي أن يروي قصة الصراع بين فارس واليونان (٤٩٠ — ٤٧٠) ق.م. لكن كتابه حوى مقدمات رائعة عن الصراع بين الشرق والغرب تشكل ثلثي كتابه . وقد مكنه هذا من الحديث عن الأصول الأسطورية للحوادث والشخصيات والشعوب ، وعن جغرافية وآثار وأخلاق وعادات كل العالم المعروف يومذاك .

ومن الواجب التفريق بين ما يروي أنه شاهده عياناً ، وما يحكيه على ألسنة الآخرين من الشعوب والأفراد والكهان . واذا كان ما يرويه هيرودوتس سماعاً كثيراً ما يتعرض للنقد ، فإن ما يذكر أنه رآه بنفسه يعد نموذجاً ممتازاً لعمل المؤرخ المدقق الواعي الحريص . واذا كان هناك خلط في بعض رواياته فإنه لا يترك هذا دون نقد من جانبه هو . فنراه يردد عبارة « هكذا يقولون » مرات في كل موطن لا يكون قد تحقق من صحة خبره ، أو جملة : « ولا أعرف ما إذا كان هذا صحيحاً أم لا ، فأنا أكتب ما يقال » . غير أن تاريخه — في مجمله — يعتبر المصدر الأول لمن يتعرض لأحداث وشخصيات العالم القديم .

الكتاب الليبي

يُعرف القسم الرابع من تاريخ هيرودوتس باسم (الكتاب الليبي Libykoi Logoi) وذلك لأنه قص فيه حديث القبائل والطوائف الليبية الممتدة من مصر غرباً حتى سواحل المحيط الأطلسي . وكان مرمى هيرودوتس الأساسي أن يعرض للهجوم الفارسي على ليبيا بغية تطويق اليونان من الجنوب مثلما فعل مع تراقيا في الشمال . غير أن الوصف الجغرافي والحديث عن السلالات البشرية ومواطنها وأخلاقها وعاداتها وما إلى ذلك يقطع الرواية حتى يعود إليها في آخر الكتاب ..

ويبدأ الكتاب الليبي عادة بالفقرة ١٤٥ من الكتاب الرابع حيث يقص مطامع الأغريق في ليبيا (فقرة ١٤٥ — ١٤٧) ثم تأسيس (ثيرا Thera) المدينة الأم لقورينا (Gyrene) (الفقرة ١٤٧ — ١٤٩) . لكنني بدأت النقل من فقرة ١٥٠ التي تتحدث عن تأسيس قورينا إذ وجدت غنىً عما سبقها من فقرات ، وإن حرصت على نقل ما وجدته على علاقة بليبيا أو قورينا من الكتاب الثاني ، عند حديث هيرودوتس عن مصر المجاورة لليبيا ، والتي كانت على صلة وثقى بها وبأهلها .

ومن الحكمة بعد هذا تقسيم فقرات الكتاب الرابع على النحو التالي :

١٥٠ — ١٥٨	تأسيس قورينا .
١٥٩ — ١٦٥	تاريخ قورينا .
١٦٥ — ١٦٧	العلاقات بين قورينا ومصر .
١٦٨ — ١٨٠	بحث في السلالات البشرية على طول الساحل الليبي .
١٨١ — ١٨٥	بحث جغرافي عبر الواحات .
١٨٦ — ١٩٦	بحث حضاري — الرعاة في السهول الشرقية حتى بحيرة تريتونيس في الغرب .
١٨٢ — ١٩٤	الزراعة في الجبال الغربية .
١٩٧ — ١٩٩	نهر كينوبس (كعام) وبرقة .
٢٠٠ — ٢٠٥	غزو ليبيا على يد آرياندس .
٢٠٠	حصار فيرتيمي وآرياندس لبرقة (المرج) .
٢٠١	استراتيجية أمازيس .
٢٠٢	انتقام فيرتيمي .
٢٠٣	قورينا تنجو .
٢٠٤	مصير الأسرى البرقيين .
٢٠٥	مصير فيرتيمي في برقة .

أما الكتاب الثاني فإنه يمكن تصنيف ما نقلته منه على هذا النحو :

٣٢ — ٣٣	استكشافات الليبيين داخل القارة .
٣٤	النيل ينبع من ليبيا .

٥٠ بوسيدون إله ليبي .

١٨١ قصة لاديكي .

هيرودوس وليبيا بقي بعد هذا سؤال هام يتردد كلما دار الحديث عما كتبه أبو التاريخ عن ليبيا وهو : هل زار هيرودوتس ليبيا ؟ وإلى أي مدى وصل ؟ .

وإذا لم يكن بلغنا خبر مؤكد عن سياحة هيرودوتس في ليبيا ، مثلما هو الحال في مصر مثلاً ، إلا أن حديثه وسياق جمله تدلنا على أنه فعل . فنقرأ له مثلاً : (هذا ما سمعته من بعض أهل قورينا) ، أو (على قدر علمنا) ، أو : (نتيجة لما بذلناه من جهد في البحث) . ولعله لم يتجاوز في سياحته مدينة قورينا دون أن يتوغل في داخل البلاد .

ويرجح هذا الرأي السيد جون. ل. مايرز J. L. Myres ويرى أن وصف هيرودوتس المفصل لشعوب شمال أفريقيا والواحات وبحيرة تشاد ونهر النيجر كان قد جمعه في أثناء اقامته في قورينا. ويؤيده في ما ذهب اليه السيد أ. د. غودلي A. D. Godley وذلك في مقدمته للترجمة التي نقلت عنها هذه النصوص . وهو يضيف إلى هذا اعتقاده أن هيرودوتس زار إقليم برقة كله ولم يقتصر على قورينا وحدها [١] .

---

(١) راجع :

J. warrington, Classical Dictionary, London 1961

A. D. Godley, Herodotus. Loeb .

J. L. Myres, Herodotus, Father of History .

الكتابُ الثاني

فقرة ٣٢ هذا ما سمعته من بعض رجال قورينا . فقد أخبروني أنهم حجوا الى معبد وحي (آمون) [١] وهناك تحادثوا مع (اتيارخوس) ملك الآمونيين ، وأنهم تطرقوا من الحديث في مسائل اخرى الى الكلام عن نهر النيل ، وكيف أن أحداً لا يعرف منبعه . وعندها أنبأهم اتيارخوس بانه ذات مرة زاره بعض (النسامونيين) [٢] وهؤلاء شعب ليبي يسكن

مغامرة الفتية النسامونيين

---

(١) الاشارة هنا إلى معبد آمون Ammon في سيوة. وكانت تقوم صلات قديمة وثيقة بين هذا المعبد وبين الذين يقيمون بالقرب منه أو على بعد عنه – في برقة وقرطاجنة ، وفي آسيا وفي المدن الأوروبية الإغريقية ، ولا سيما أثينا واسبرطة . وكان هذا المعبد يتمتع بشهرة عالمية تضارع ما كان لأعظم معابد الوحي في العالم الاغريقي . والرأي السائد الآن هو أن الاطلال التي تزال قائمة في قرية (أغودمي) إحدى القريتين الرئيسيتين في سيوة ليست إلا اطلال ذلك المعبد (المراجع) .

(٢) Nasamones أو Nasamonians

انظر الكتاب الرابع . فقرة ١٧٢ وقارن : بليني . الكتاب الخامس فقرة ٥ .

منطقة (سرت) [1] والمنطقة القريبة منها الى الشرق . وعندما وصل هؤلاء النسامونيون وسئلوا عما اذا كانت لديهم أية أنباء تتعلق بالصحراء الليبية أخبروا أتيارخوس بأن بعض أبناء أقطابهم كانوا من الشباب المغامر الفخور ؛ ولذلك فإنهم عندما بلغوا مرحلة الرجولة رتبوا القيام بعدة مغامـــرات جسورة كان من بينها ارتياد صحاري ليبيا [2] والذهاب الى ما وراء أقصى نقطة بلغها الرحالة من قبل . فاختاروا بالقرعة خمسة من بينهم للقيام بهذه المغامرة . ويجب أن يكون معلوماً أن كل ساحل ليبيا الشمالي – من مصر حتى رأس (صولويس) الذي هو نهاية ليبيا – تسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على طول امتداده . عدا الجزء الواقع في يد الاغريق والفنيقيين . أما جنوبي البحر والمنطقة التي يغشاها أهل الساحل فإنه يوجد في ليبيا اقليم مليء بالوحوش الضارية . والى ماوراء هذا الاقليم الى الداخل صحراء رملية لا نبت فيها ولا ماء . وقد كانت هذه هي القصة التي رواها الشباب :

---

(١) المقصود خليج سرت الكبرى أو خليج سدرة .

(٢) ذكرت ليبيا في الأوذيسة على أساس أن اسمها مأخوذ من الجنس الوطني الرئيسي الذي كان على المستوطنين اليونان أن يتصلوا به ، مثلما أخذت إيطاليا اسمها من قبيلة Itali . في القسم الجنوبي منها . وإذا كانت كلمة (ليبيا) قد أطلقت فيما بعد ذلك من العصور على قارة إفريقيا الآن ، فإن هذا لا يمنع من القول إن اليونان لم يعرفوا في تاريخهم القديم من إفريقيا إلا ما نسميه الآن باسم ليبيا وهم سموه بذلك أيضاً .
أنظر : Tozer. A History of Ancient Geography. N. Y. 1960. P 70.

عندما تركوا باقي رفاقهم ، مزودين بقدر وفير من الماء والمؤن ، ساروا أولاً عبر المنطقة الآهلة بالسكان ، حتى اذا ماتجاوزوها بلغوا اقليم الوحوش الكاسرة ومضوا بعده في الصحراء متجهين غرباً . فاستغرقوا أياماً كثيرة في اجتياز منطقة رملية واسعة ، فرأوا عندئذ أشجاراً تنمو في سهل ، وحينما بلغوها وبدأوا يقطفون ثمارها قابلهم – وتولى قيادتهم إلى ما وراء ذلك – رجال قصار قامتهم أقصر من المعتاد . ولم يكن النسامونيون يعرفون لغة هؤلاء الأدلاء ولا هم يعرفون لغة النسامونيين . وقد اقتادهم الأدلاء وسط مستنقعات واسعة ما إن عبروها حتى بلغوا مدينة كان أهلها جميعاً يشبهون الأدلاء في القامة وذوي بشرة سوداء وكان هناك نهر عظيم يمر بالمدينة من الغرب في اتجاه مطلع الشمس ، وكان يمكن رؤية التماسيح فيه [1] .

فقرة ٣٣

النيل ينبع من ليبيا

وحسبنا هذا من القصة التي رواها اتيارخوس الآموني ، فيما عدا أنه قال – على حد ما رواه لي القورينيون – إن الشبان النسامونيين عادوا من مغامرتهم ، وان أهل تلك البلاد التي بلغوها كانوا سحرة جميعا . أما عن النهر الذي كان يمـــر بالمدينة ، فان اتيارخوس ظن أنه نهر النيل . وهذا ظن معقول ؛ ذلك لأن النيل ينبع من ليبيا ، ومن وسطها بالذات وأحسب ،

---

(١) يحسب هيرودوتس أنه نهر النيل . فاذا كانت قصة رحلة الفتية النساموئيين صحيحة فلعل النهر كان نهر النيجر . قارن بالنسبة لحيوانات النيجر والنيل : بليني . الكتاب الخامس . فقرة ٨ .

بتعليل المجهولات بالمرئيات ، أحسب أن النيل ينبع من الغرب ويجري صوب الشرق شأنه شأن نهر (ايستر)[١] فان ذلك النهر ينبع من بلاد (الكلت)[٢] ومدينة (بورين)[٣] وينساب شرقاً عبر وسط أوروبا بالضبط . ويعيش الكلت الى ما وراء (أعمدة هرقل)[٤] فهم جيران (الكونيسي)[٥] أقصى الشعوب التي تعيش في أروبا غرباً . ويجتاز نهر الايستر فوق منبعه أروبا من أولها الى آخرها ، فان مجراه ينتهي عند

---

(١) نهر الايستر (Ister) هو نهر الدانوب أو الطونة. ويظهر أن ما يعنيه هيرودوتس هو القول بما أن نهر النيل (طبقاً له) يتدفق من الغرب إلى الشرق ثم ينحني شمالاً ، فإن الدانوب يتدفق من الغرب إلى الشرق ثم (كما يقول) من الشمال إلى الجنوب . وهكذا يتطابق النهران في المجرى ، أحدهما عبر أفريقيا والآخر عبر أوروبا .

وقد حاول بعض الباحثين تلمس العذر لهيرودوتس في هذا التصور ، ومنهم من قال إنه يعني بمجرى النيل من الغرب إلى الشرق ما يسمى الآن بحر الغزال (أنظر مقدمة النص اليوناني) . ومن الطريف أن نذكر أن هيرودوتس لم يكن وحده في هذا التصور لمجرى النيل ، بل شاركه كثيرون منهم (أناكساغوراس) و (ديودوروس) حتى جاء (أرسطو) والعالم القوريني (إيراتوسثنيس) فقالا إن الأمطار تهطل على ما يسمى الآن النيل الأزرق والنيل الأبيض فيكون الفيضان .

انظر H. F. Tozer, A History of Ancient Geography N. Y. 1964 .

(٢) Celts أو الـ Celtae ، إسم أطلقه الكتاب الأقدمون على مجموعتين من الشعوب غطت شمال وجنوب غرب أروبا .

(٣) Pyrene في سلسلة جبال البرانس ما بين فرنسا وإسبانيا .

(٤) يعني جبل طارق .

(٥) Cynesii ربما كانوا سكان جنوب البرتغال .

بحر (يوكسين)[١] حيث توجد مدينة (استريا) التي يسكنها مستعمرون ملطيون[٢] .

فقرة ٣٤ وبما أن نهر الايستر يتدفق في بلاد مأهولة بالسكان ، فإن مجراه معروف للكثيرين ، لكن ليس في وسع أحد الكلام عن منابع النيل ، لأن ليبيا — حيث ينساب عبرها بعد انبثاقه من منبعه — صحراء غير مأهولة . وقد ذكرت كل ما عرفته بطريقة البحث عن مجراه ، فهو يتدفق في مصر . وتقع مصر على وجه التقريب في مواجهة الجزء الجبلي من (قليقية)[٣] وهي على قيد مسيرة خمسة أيام من (سينوب)[٤] على البحر الأسود ، إذا كان المسافر غير مثقل بما يحمله . وتقع سينوب في مواجهة مصب نهر الايستر في البحر . وعليه فإنني أفترض أن مجرى النيل في سيره عبر ليبيا يماثل مجرى الايستر ، عبر أوروبا .

بين النيل والدانوب

. . . .

فقرة ٥٠ الواقع أن كل أسماء الآلهة تقريباً جاءت الى بلاد الإغريق من

---

(١) Euxinus هو البحر الأسود .

(٢) نسبة إلى مدينة ملتوس Miletus أو ملطية — وكانت أوسع المدن الإغريقية نشاطاً في انشاء المستعمرات الاغريقية . (المُراجع) .

(٣) Cilicia إقليم على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، بين غامفليا وسوريا .

(٤) Sinope مدينة يونانية على البحر الأسود ، مسقط رأس أديوجين الكلبي .

بوسيدون إآله ليبي

مصر . فقد تأكدتُ – عن طريق البحث – من أنها جاءت من بلاد أجنبية ، وأعتقد أنها جاءت من مصر خاصة . واذا استثنينا أسماء (بوسيدون) (١) و (ديوسكوري) (٢) – كما قلت منذ قليل – و (هيرا) (٣) و (هستيا) (٤) و (تيمس) (٥) و (الحسان) و (حوريات البحر) (٦) فان أسماء كل الآلهة كانت موجودة في مصر دائماً . وأنا لا أقول الا ما يقوله المصريون أنفسهم . أما الآلهة التي يقولون انهم لا يعرفون اسماءها فاني أعتقد أن (البلاجسيين) (٧) هم الذين أعطوا هذه الآلهة أسماءها فيما عدا بوسيدون ، وهو الذي عرفوه من الليبيين . والليبيون وحدهم – دون سائر الأمم – هم

---

(١) Posiedon يقول عنه John Warrington في Everyman's Classical Dictionary إنه إله إغريقي هيليني ، وهو رب الزلازل والمياه والجداول . وهو ابن كرونوس ورهيا وأخو زيوس . ويحتار في علاقته بالخيل وكونه ربها ، ويعللها باهتمامات أهل تساليا بتربية الخيول ، حيث نشأ هذه الإله . وقد جعله هوميروس في الأوذيسة عدواً لأوديسيوس وسبباً لتيهه لأن هذا قتل (بوليفيوس) ابن بوسيدون وأحد السيكلوبات .

(٢) Dioscori أي ابناء زيوس من ليدا . عبدوا في اسبرطة .

(٣) Here ربة الزواج والأسرة .

(٤) Hestia ربة الموقد والمشاعل .

(٥) Themis ربة النظام المؤسس على القانون والعرف .

(٦) Nerieds أنصاف إلهات عددهن ست خصصن بمظاهر الطبيعة المختلفة . والنيريدي هن حوريات البحر الايجي .

(٧) Pelasgians اسم أطلقه الكتاب القدماء على سكان بلاد الاغريق قبل العصر الهليني . وكان لفظ (بيلاسجي) يعني ما كان قبل التاريخ .

الذين وجد بينهم اسم بوسيدون منذ البداية ، وكانوا دائماً يعظمون هذا الآله (١) .

---

(١) شغلت قضية الإله بوسيدون الأذهان ، وحارت في تفسير نشأة عبادته ، وفي الحكم على قول هيرودوتس إن اليونان ما عرفوا بوسيدون – وهو الذي يلي زيوس الأله الأكبر في المرتبة – إلا من الليبيين ، وقد قامت السيدة Jane Allen Harrison في كتابها Mythology الصادر عن دار Cooper Square نيويورك ١٩٦٣م . بتحليل هذه القضية واصدار حكم قاطع فيها . تقول السيدة جين ما خلاصته : إذا لم يكن هناك بوسيدون الإله فلا شك أنه وجد عباد بوسيدون . والسؤال الذي نطرحه : من كان هؤلاء العباد وما كانت بيئتهم ؟ .

وفي رواية (سبعة ضد طيبة) لأسخيلاوس تصلي الجوقة : (أي بوسيدون ! أيها الملك ذو الجواد الجامح ، يا من تحكم البحر بصولجان سيف الأسماك ، أزل عنا مخاوفنا) .

ويظهر بوسيدون عند سوفوكليس في (أوديب) وعند أرستوفان في (الفرسان) .

وعلى خزفية كورنثية يمثل بوسيدون راكباً جواداً . وفي (ترنيمة إلى أبولو) الهومرية نرى « غابة بوسيدون المشرقة » فماذا يفعل إله البحر في غابة ؟ .. كيف يكون بوسيدون صياداً وخيّالاً في نفس الوقت ، وهما قضيتان متعارضتان ؟ ! .

وقد وجدت لوحة تشير إلى أول استيراد للخيول في جزيرة كريت ، وعلى أفواه هذه الخيول لجم ، وهي عادة لم تكن عند الآسيويين أو الأوروبيين بل كانت لدى الليبيين . ويظهر بوضوح أن الجواد الموجود على الختم الكريتي من سلالة ليبية كريمة ، ويدل ذيله الذي هو على شكل نافورة على أصله . والواقع أننا لم نسمع أبداً أن الكريتيين ركاب خيل كما لم نعرفه عن الآرغوسيين ولا التساليين . ونستطيع فهم حكم هيرودوتس على ضوء هذا الجواد الليبي الذي ذكرناه . كما يخبرنا =

فقرة ٧٧ . . . والمصريون أصحُّ الناس أجساماً بعد الليبيين (١) .

= هيرودوتس أن الإغريق تعلموا من الليبيين كيف يقرنون أربعة خيول في عرباتهم وقد صور الشعراء هذه (العطية) الليبية في الأيام الاسطورية. وفي (الترنيمة البيثانية) الرابعة لبندار تصوير لنبوءة ميدياليباسون بتأسيس قورينا والتغيير العجيب الذي سيطرأ على المستوطنين فيها من صيادي بحر إلى راكبي عربات .

وفي (آرغوناوتكا) أبوللونيوس الرودسي يقص علينا نبأ لقاء سابق بين رجال مناس مع بوسيدون الحصان في ليبيا . ولنذكر أنه يأتي ببحارته من كريت إلى ليبيا التي هي في الواقع أقرب نقطة من القارة الافريقية . ويقع البحارة ويجنحون بتعاسة إلى السباخ الضحلة في سرت حتى (جاء إلى المنانيتيين عابر غريب رائع إذ قفز من البحر إلى البر حصان بري .. كان حصاناً ضخماً يتطاير عرفه مع الريح ؛ فرفس بخفة زبد البحر المالح بحوافره مسخراً الريح لتجري) .

وتختم السيدة (جين) حديثها بقولها : في ليبيا – وفي ليبيا وحدها – يظهر سبب بسيط وطبيعي لأن يكون الاله جوّاب البحار إلهاً جواداً . لأننا نجد في ليبيا تقليداً ثابتاً لسباقات الخيول التي كانت أعجوبة العالم القديم . وقد ظهرت قصة Pegasus الجواد المجنح – في ليبيا ، ومن هنا لا بد أنها نقلت عن طريق عبّاد بوسيدون إلى بلاد اليونان .

(١) قارن : الكتاب الرابع . فقرة ١٨٧ – حيث يذكر هيرودوتس أنه ليس في المعروف لديه من الشعوب من هو في صحة أجسام الليبيين ، ويشير إلى تطببهم وعاداتهم الصحية .

فقرة ١٨١

قصة لاديكي زوجة أحمس

وقد اتخذ (أماسيس) (١) من أهل قورينا أصدقاء له وحلفاء وفضلاً عن ذلك فقد رأى أنـــه من المناسب أن يتزوج من هناك . ولست أدري ما اذا كان قـــد فعل ذلك لأنه اشتهى امرأة يونانية . أو كان لديـــه سبب آخر لكسب صداقة قورينا . وعلى كل حـــال فانه تزوج سيدة تدعى (لاديكي) ، قال البعض انهـــا ابنة (باتوس) (٢) وقال آخرون أنها ابنة (اركسيلاوس) (٣) وقال غيرهم انها ابنة (كريتوبولس) ، وكان مواطناً له اعتباره في المدينة . بيد أنه تصادف أن لاديكي كانت هي المرأة الوحيدة التي لم يكن في وسع أماسيس معاشرتها معاشرة الأزواج . ولما استمر الأمر على هذا المنوال قال أماسيس للاديكي : (يا امرأة ! لقد القيتِ عليّ سحراً . وثقي تماماً أن مصيرك سوف يكون أسوأ مصير انتهت اليه امرأة) . ولما لم يخفف انكارها كله من سورة غضب الملك نذرت لاديكي في سريرتها (لأفروديت) (٤) أن ترسل تمثالاً الى هذه الربة في قورينا ، إذا اتصل بها الملك تلك الليلة ، لأن حدوث ذلك .

---

(١) Amasis أو أحمس الثاني . صار فرعوناً على مصر سنة ٥٦٩ ق.م. حيث قاد ثورة المصريين ضد خفرع وحالف الليديين والساموئيين والقورينيين والاسبرطيين وكان عهده عهد سلام وازدهار .

(٢) Battus – يعني باتوس الثالث .

(٣) Arcesilaus – يعني اركسيلاوس الثاني .

(٤) Aphrodite إلهة الحب والجمال والخصب عند اليونان ، وأشهر تماثيلها هو تمثال (أفروديت قورينا) ويوجد الآن في المتحف البريطاني بلندن . وله نسخ كثيرة وليس هو الذي بعثت به لاديكي زوجة أماسيس . وتعرف أفروديت عند الرومان بفينوس Venus وهي عند الفينيقيين عشتروت .
=

كان يضع الأمور في نصابها . وبعدها سار كل شيء على ما يرام ، وأحب أماسيس زوجته حباً لا حد له . وقد وفت لاديكي بنذرها للربة ، ذلك أنها أمرت باعداد تمثال أرسلته الى قورينا حيث وقف سليماً حتى زماني هذا ، مولياً وجهه نحو خارج المدينة .

وعندما فتح (قمبيز) [1] مصر وعلم من كانت لاديكي أرسلها الى قورينا دون أن يمسها بأذى .

= وقد ظل معبد أفروديت أو فينوس شهيراً حتى عهد الكاتب المسرحي الروماني (Plautus ٢٥٤ – ١٨٤ ق.م.) فكتب مسرحية درامية – كوميدية تدور أحداثها عند هذا المعبد وأسماها (رودنز) ولعل هذه المسرحية أصلاً يونانياً. وقد صدرت بالإنجليزية في سلسلة Loeb وكذلك سلسلة Penguin باسم الحبل The Rope ، ونشرتها (دار مكتبة الفكر) بالعربية بترجمة جامع هذه النصوص تحت اسم (حسناء قورينا) .

(١) Cambyses ابن قورش الأكبر ، ملك على فارس (٥٢٩– ٥٢١ ق.م.) وقد جاء قمبيز هذا إلى مصر عام ٥٢٥ ق.م. على رأس حملة بعد أن أغضبه أماسيس المذكور .

ويروي هيرودتس سبب ذلك (الكتاب الثالث فقرة ١) أن قمبيز بعث يخطب ابنة أماسيس فخشى هذا بطش الفرس إن رفض ، وأن تصبح ابنته حظية لقمبيز لا ملكة إن أجاب . فجهز ابنة أبريس – الملك الذي خلفه – وتدعى (نتتيس) Ntetis وبعث بها إلى قمبيز على أساس أنها ابنته هو . فلما وصلت واستقبلها أماطت نتتيس اللثام عن سرها قائلة : (أيها الملك ! إنك لا تدري كيف خدعك أماسيس . لقد جهزني وبعث بي إليك على أساس أنني ابنته ، لكنني في الواقع ابنة سيده إبريس الذي ثار عليه هو والمصريون وقتلوه) . وكانت هذه الكلمات – التي ألقتها الأميرة الليبية المجروحة أمام قمبيز – سبباً في أن يجتاح قمبيز مصر في غضبة جامحة بعد أن اكتشف خدعة أماسيس له .

الكتاب الرابع

فقرة ١٥٠ جاء (غرينوس) بن (آيسانيوس) – ملك (ثيرا) [1] وسليل (ثيراس) نفسه – الى (دلفي) [2] وقد أحضر من مدينته قرابين وفيرة [3] . وجاء معه – ضمن آخرين من شعبه – (باتوس) بن (بولومنستوس) سليل يوفيموس [4]

---

(١) Thera إحدى جزر السبوراند شمال جزيرة كريت ، وتدعى اليوم « سانتورين » . وهي جزيرة شبه دائرية مشهورة بخمرها المعتقة ، ولعل الفينيقيين هم الذين عمروها ، ثم جاءها المستعمرون اللاكونيون الذين بنوا فيها معبداً لأبولو ثم هاجر أهلها إلى قورينا .

(٢) Delphi كان معبد أبولو في دلفي من أشهر معابد العالم الإغريقي ومنه سمع سقراط وحي الحكمة – وقد لعب هذا المعبد دوراً كبيراً في توجيه الحياة الدينية والفكرية والسياسية عند اليونان .

(٣) حددها بمائة ثور ذبحاً للمعبد .

(٤) Battus بن Polymnestus سليل Euphemus قارن : بندار القصيدة البوثية الرابعة. ويوفيموس اسطورياً هو ابن بوسيدون أعطى قطعة من الطين لبحارة الآرغو عربوناً لقورينا .

من عشيرة المينونيين . وعندما سأل غرينوس – ملك ثيرا – الوحي عن أمور أخرى كان جواب الكاهنة أن عليه أن ينشيء مدينة في ليبيا . فأجاب غرينوس : (كلا يا إلهي ! لقد شخت ووهن العظم مني . فهلا أسندت هذا الأمر الى بعض هؤلاء الرجال الأصغر مني سناً ؟) مشيراً في أثناء كلامه الى باتوس . ولم يُضَف بعدها قول آخر .

كاهنة دلفي تطلب تأسيس قورينا

بيد أن غرينوس وصحبه عندما رحلوا أهملوا العمل بما أمر به الوحي ، نظراً إلى أنهم لم يكونوا يدرون أين كانت تقع ليبيا ، وخشوا أن يرسلوا جالية منهم إلى هدف غير معلوم .

فقرة ١٥١ ثم انقطع المطر سبع سنوات بعد هذا عن ثيرا . وذوت كل أشجار الجزيرة عدا واحدة منها . واستنبأ الثيرائيون ثانيةً وحي دلفي ، فذكرت لهم الكاهنة الجالية التي كان عليهم أن يرسلوها الى ليبيا . ولما لم يكن هناك علاج لمتاعبهم فانهم بعثوا رسلاً الى جزيرة (كريت) [1] للبحث عن أي كريتي أو مغترب هناك يكون قد زار ليبيا . وعندما كان هؤلاء الرسل يطوفون بالجزيرة جاءوا الى بلدة (ايتانوس) [2] حيث التقوا بصياد أصداف يدعى (كوروبيوس) أخبرهم أن الرياح دفعته ذات مرة عن طريقه الى ليبيا حيث توجد جزيرة

صعوبات ومحاولات

---

(١) Crete الجزيرة المعروفة شمال ساحل ليبيا الشرقي وغرب الشام – وإليها ينسب جزء كبير من أهل برقة حتى اليوم وهم (القريتلية) سكان سوسة أصلاً وبقية بلدان برقة بعد ذلك .

(٢) Itanus في كريت .

تسمى (بلاتيا) [1] فاستأجروا هذا الرجل ليذهب معهم الى ثيرا ، ومن هناك أرسل أول الأمر نفر قليل على ظهر سفينة ليروا الجزيرة بأنفسهم . وعندما قادهم كوروبيوس الى جزيرة بلاتيا المذكورة تركوه هناك ومعه ما يكفيه من المؤونة لبضعة أشهر ، ثم أقلعوا عائدين الى ثيرا بأقصى سرعة حاملين نبأ الجزيرة .

فقرة ١٥٢ لكن عندما غابوا وقتاً أطول مما اتفق عليه ، ولم تتبقَ مؤونة لدى كوروبيوس حدث أن أقصت الرياح سفينة سامونية [2] كانت في سبيلها الى مصر ، وكان ربانها يدعى (كولايوس) – عن طريقها وطوحت بها الى جزيرة بلاتيا ، حيث سمع السامونيون القصة برمتها من كوروبيوس ، فتركوا له زادَ عامٍ وأبحروا من الجزيرة في طريقهم الى مصر . لكن ريحاً شرقية أبعدتهم عن طريقهم ، ولم يتوقفوا حتى عبروا أعمدة هرقل ووصلوا بالعناية الإلهية الى (ترتيسوس) [3] ولم يكن

مغامرة أهل ساموس

---

(١) Platea وهي جزيرة بومبا الآن في مواجهة آخر الساحل الشرقي لساحل ليبيا .

(٢) نسبة إلى ساموس Samos وهي في غرب آسيا الصغرى ، استعمرها اليونان ١١٠٠ – ١٠٠٠ ق.م.

(٣) Tartessus إقليم في جنوب اسبانيا قرب الوادي الكبير . ويطلق الاسم على النهر وعلى مدينة في مصبه . وكانت تتعامل مع الفينيقيين والقرطاجنيين في التجارة ، مما يسر لها ازدهاراً كبيراً يضرب به المثل . وقد خلط الجغرافيون القدماء بينها وبين قادش . وأطلق الشعراء المتأخرون اسم ترتيسوس على اسبانيا كلها بل وعلى غرب أوربا بأجمعه .

هذا المرفأ مألوفاً حتّى ذلك الوقت للإغريق ولذلك فـإن السامونيين جنوا من وراء بيع سلعهم هناك مكاسب لم يجنها من قبل أي إغريقي لدينا عنه معلومات وثيقة ، فيما عدا (سوسترّاتوس الايجيني) بن (لاوداماس) [١] وكان رجلاً لا يشق له غبار . وقد أنفق السامونيون ستة (تالنتات)[٢] وهي عشر ربحهم – في صنع قدر برونزية كبيرة تشبه مرجلاً آرغوسيّاً [٣] تبرز من حافتها رؤوس عنقاوات . ووضعوا هذه القدر في معبدهم المقام للإلهة (هيرا) ودعموها بتماثيل ثلاثة ضخمة من البرونز جاثية تصور أشخاصاً راكعين ، ارتفاع كلٍّ منها سبعة أذرع . وكان هذا الصنيع الذي أسداه الساموئيون لكوروبيوس هو بداية لصداقة وطيدة بينهم وبين أهل قورينا وثيرا .

فقرة ١٥٣ أما الثيرائيون فإنهم ، بعدما تركوا كوروبيوس على الجزيرة ووصلوا ثيرا ، أبلغوا قومهم أنهم أنشأوا مستقراً على جزيرة قرب شاطىء ليبيا . فقرر أهل ثيرا أن يبعثوا رجالاً من

---

(٢) Sostratus of Aegina وابن Laodamos. وإيجينا جزيرة في الخليج الساروني عمرت منذ أقدم العصور ، وكانت على علاقة بكريت ، وخاضت صراعاً عنيفاً ضد أثينا . ولد فيها أفلاطون الفيلسوف وأريستوفان الشاعر وكانت ملهمة لبندار في كثير من قصائده .

(٣) Talent وزنة وكذلك عملة إغريقية . وكانت قيمة التالنت تساوي ما يقابل حوالي ٢٤٠ جنيهاً استرلينياً . (المراجع) .

(١) نسبة إلى مدينة آرغوس Argos .

خطوات عملية من اهل ثيرا مناطقهم السبع يُختارون عن طريق القرعة بحيث يؤخذ واحد من كل أخوين وأن يجعلوا باتوس قائداً وملكاً للجميع . ثم جهزوا سفينتين من ذوات الخمسين مجذافاً فحملتا المبعوثين الى بلاتيا .

فقرة ١٠٤ هذا ما يقوله الثيرائيون . ومن هنا يبدأ ذلك الجزء الذي تتفق فيه الروايتان الثيرائية والقورينية ذلك أن القورينيين يروون عن باتوس قصة مختلفة تمام الاختلاف عن قصة الثيرائيين . واليك رواية القورينيين :

رواية أهل قورينا عن تأسيس مدينتهم « كانت توجد في كريت بلدة تدعي (واكسوس) أصبح المدعو (اتيارخوس) حاكماً لها . وكانت له ابنة تسمى (فرونيمي) فقدت أمها ، فاضطر أبوها الى الزواج مرة أخرى. وعندما جاءت الزوجة الثانية إلى بيته راق لها أن تسلك مسلك زوجة الأب تجاه فرونيمي ، بحيث تسيء معاملتها ، وتمعن في تدبير المكائد لها . وأخيراً اتهمت الفتاة بالفساد وراحت تقنع زوجها بصحة اتهاماتها . وإذ اقتنع اتيارخوس بكلام زوجته دبّر لابنته أمراً إدّاً . وكان في واكسوس تاجر من ثير اسمه (تميسون) استضافه اتيارخوس واتخذ منـه صديقاً ، ثم استحلفه بأن يؤدي له أي خدمة يطلبها . وبعد ذلك أعطى هذا الرجلَ ابنته طالباً منه أن يأخذها الى مكان بعيد ويلقي بها في اليمّ . ولكن تميسون غضب غضباً شديداً للتغرير به في اليمين التي أقسمها ، وتبرأ من صداقتـه لاتيارخوس ، ثم لم يلبث أن أخذ الفتاة وأبحر بها الى بعيد ، ولكي يفي بيمينه التي أقسمها لأتيارخوس عمد الى ربط

الفتاة بالحبال – عندما بلغ عرض البحر – ودلاها فيه ، ثم رفعها ثانية ومضى الى ثيرا في الحال .

فقرة ١٥٥ وهناك التقى (بولومنستوس) [١] – وكان أحد وجهاء ثيرا – بفرونيمي واتخذ منها حظية له ، فأنجبت له بعد حين ولداً عييّ النطق أطلق عليه اسم باتوس [٢] ، كما يقول القورينيون

---

(١) Polymnestus انظر : فقرة ١٥٠ تعليق ٤

(٢) تعني كلمة باتوس Battus باليونانية العيي الذي يتأتىء في نطقه أو المتلعثم . ويرى بعض الباحثين أن قول هيرودوتس إن باتوس كان عيياً ليس صحيحاً ، وإنما هذا القول نتيجة لقرب كلمة باتوس من الكلمة التي تعني المتلعثم في اليونانية . وإن ما أورده هيرودوتس بعد ذلك من أن كلمة (باتوس) تعني (ملك) في اللغة الليبية هو الصواب .
وهذا ما يراه H. W. Parke و D. F. Wormell في كتابهما The Delphic Oracle (ص ٧٣ وما بعدها من الجزء الأول) .
وهما يستندان إلى ما أورده (بندار Pindar) في قصيدته البوثية الخامسة من ان اسم باتوس الأول كان (ارسطاليس Aristotales) .
ويقولان إن ارسطاليس هذا أصبح ملكاً – باتوس – بسبب زواج المهاجرين اليونان من النساء الليبيات واتخاذهم نظام الليبيين في الحكم وإطلاق هذا اللقب على قائدهم أو ملكهم بتأثير من هؤلاء الليبيين (ص ٧٥) غير أن قصة خفوت صوت باتوس – أو تلعثمه – كانت قد ترددت في عديد من قصائد الشعراء – كبندار – وروايات الكتاب – مثل باوسانياس Pausanias الرحالة اليوناني الذي عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الأول قبل الميلاد .
وقد ذكر باوسانياس هذا كيف استعاد باتوس صوته بينما كان يتجول في أطراف قورينا ، فرأى أسداً مقبلاً عليه فأطلق صرخةً مدويةً بسبب الخوف الذي اجتاحه ، فانطلق صوته منذ ذلك الحين . أما بندار =

قصة باتوس

والثيرائيون . لكنني أظن أن الولد أعطي إسماً آخر غيّره الى باتوس عند مجيئه الى ليبيا ، وأنه اتخذ هذا الاسم الجديد بسبب النبوءة التي أعطيت له في دلفي ولمنصبه الجليل الذي تبوأه ، فان الكلمة الليبية التي تعني (**ملك**) هي (**باتوس**). هذا في اعتقادي هو السبب الذي من أجله دعته الكاهنة البوثية[١] على هذا النحو في نبوءتها مستعملة الاسم الليبي لأنها كانت تعرف أنه سيصبح ملكاً في ليبيا . ذلك أنه عندما بلغ أشدّه ذهب الى دلفي مستنبئاً عن نطقه فأعطته الكاهنة هذه النبوءة رداً على استفساره : « يا باتوس ! أنت تطلب لساناً سليمـاً .

لكن مولانا فويبوس [٢] أبللو يرسلك

لتنشيء لك وطناً في ليبيا .

حيث تكثر الأغنام » [٣] .

= فانه يحكي في القصيدة البوثية الخامسة أن باتوس اطلق صرخةً هائلةً – حين هجم عليه الأسد – أرعبت الوحش الكاسر وردته على أعقابه ، وذلك حتى لا ينسب إلى باتوس الخوف والخور . ولا ننسَ أنه كان لبندار عمومة وخئولة في قورينا .
وعلى كل حال فان هيرودوتس أورد القولين معاً ، ولكل منهما ما يبرره ويؤيده .

(١) كاهنة معبد دلفي . وهيرودوتس يدعو دلفي بوثو Pytho مثلما يفعل هوميروس ، نسبة إلى (بيثون) وهو التنين الذي كان يحرس دلفي وقتله أبوللو الذي كرس المعبد له .

(٢) Phoebus صفة قديمة كانت تطلق على أبوللو ومعناها (الطاهر) .

(٣) قارن : ديودوروس الصقلي Diodoros Siculus. الكتاب الثامن=

ذلك كما لو كانت الكاهنة قالت له على حد تعبيرنا :
(أيها الملك ! أنت تطلب لساناً سليماً) . لكنه أجاب قائلاً :
(يا رب ! لقد أتيتك مستفسراً عن نطقي فإذا بك تجيبني عن أمور أخرى يتعذر عليّ النهوض بأعبائها ، فأنت تأمرني بانشاء مستعمرة في ليبيا ومن أين القوة لي أو القدرة على القيام بذلك ؟ !)

هكذا تساءل باتوس لكنه لم يفلح في الحصول على اجابة أخرى من الإله الذي ظل يردد اجابته الأولى . فلم يكن من باتوس إزاء ذلك إلا أن انصرف والكاهنة لا تزال تتكلم وذهب الى ثيرا .

فقرة ١٥٦ واذ سارت الأحوال بعد ذلك غير مؤاتية لباتوس وبقية أهل ثيرا ، دون أن يعرفوا السبب ، أنفذوا الرسل الى دلفي يستفسرون عن سوء أحوالهم ، فأبلغتهم الكاهنة بأن حالهم ستتحسن إذا أعانوا باتوس على انشاء مستعمرة عند قورينا في ليبيا . فأرسل الثيرائيون باتوس الى ليبيا ومعه سفينتان من ذوات الخمسين مجذافاً . ولما جهل باتوس ورفاقه ما يفعلونه

متاعب في سبيل باتوس

هنالك فانهم سرعان ما عادوا أدراجهم الى ثيرا ، وما إن اقتربوا من البر حتى استقبل الثيرائيون السفينة بوابل من قذائفهم ورفضوا السماح لها بالرسو ، وأمروهم بالعودة من حيث أتوا . وتحت هذا الضغط فعل باتوس وصحبه ما أمروا

= فقرة ٢٩ . وعند ديودوروس كذلك أن اسم باتوس الاصلي كان ارسطوطاليس .

به . وأنشأوا مستعمرة في جزيرة بالقرب من ساحل ليبيا اسمها بلاتيا كما ذكرت آنفاً . ويقال إن هذه الجزيرة تماثل في اتساعها اتساع مدينة قورينا الآن .

فقرة ١٥٧ وهناك مكثوا مدة عامين ، غير أن العيش لم يطب لهم ، فتركوا أحدهم في الجزيرة وأبحر الباقون الى دلفي . وعند وصولهم استفسروا الوحي عن أحوالهم ، وقالوا إنهم كانوا يقيمون في ليبيا لكن ذلك لم يؤد الى تحسن أحوالهم على الإطلاق . فأجابتهم الكاهنة عندها قائلة :

« إني رأيت مراعي ليبيا ، ولم تبصرها أعينكم قط .

أتعرفونها خيراً مني ؟ إذن فيا لروعة حكمتكم حقاً ! ! »

يأس ورجاء

ولما سمع باتوس ورجاله هذا القول أبحروا عائدين مرة أخرى لأن الإله لم يكن ليسمح إلا بالاستقرار في ليبيا نفسها . وما إن وصلوا الجزيرة حتى أخذوا الرجل الذي تركوه هناك ، وأقاموا محلةً لهم في مكان بليبيا ذاتها كان في مواجهة الجزيرة ويدعى (أزيريس) [1] وهو موقع يحيط به أزهى المروج من ناحيتين ، ويفيض نهرٌ من أحد جوانبه .

(١) Aziris ولعلها وادي التميمي قرب درنة أو وادي الخليج .

فقرة ١٥٨ وقد عاشوا هناك مدة ست سنوات ، لكن الليبيين (١) أقنعوهم في السنة السابعة بأن يتركوا هذا المكان قائلين بأنهم سيقودونهم إلى موقع أفضل منه . ثم قادوا الإغريق من أزيريس صوب الغرب ، يركنون ساعات النهار ويسيرون بهم ليلا عبر أزهى مكان في بلادهم يدعى (ايراسا) (٢) لكيلا يراه الإغريق في أثناء مرورهم به . ثم جاءوا بهم الى موقع يدعى (نبع أبوللو) وقالوا لهم (هنا يلائمكم أيها الإغريق أن تعيشوا ، فإنه يوجد هنا خرق في السماء (٣)) .

الليبيون يساعدون أهل ثيرا

فقرة ١٥٩ وفي عهد باتوس مؤسس المستعمرة ، وهو الذي حكم أربعين عاماً ، وكذلك في عهد ابنه اركسيلاوس ، وهو الذي حكم ستة عشر عاماً ، لم يتجاوز عدد سكان قورينا عددهم حين أتوا أول الأمر الى المهجر . لكن في عهد ثالث ملوك قورينا ، وهو باتوس الذي كان يدعى (السعيد) استحثت الكاهنة البوثية اليونان جميعاً بنبوءة ليعبروا البحر ويسكنوا ليبيا مع القورينيين ، لأن القورينيين كانوا يدعونهم ويعدونهم بنصيب في الأرض عند توزيعها ، وكان هذا هو نص النبوءة :

اليونان يغدرون بالليبيين فيلجأ هؤلاء الى مصر

« ان من يتوانى في الذهاب الى ليبيا النضرة حتى يتم توزيع

(١) من المرجح أن يكون هؤلاء الليبيون الذين قادوا الإغريق هم قبيلة الجيلغاماي ، قارن : فقرة ١٦٩ .

(٢) Irasa لعلها درنة أو عين مارا .

(٣) يعنون أن هناك مطراً غزيراً .

الأرض فسيندم على ذلك بلا ريب » . وهكذا تجمع حشد هائل في قورينا ، واقتطعوا أصقاعاً عظيمة من الأرض كانت جزءاً من منطقة الليبيين المجاورين . وعندما وجد هؤلاء الليبيون وملكهم (أدكران) أن القورينيين كانوا يسلبون أراضيهم ويعاملونهم بغلظة استصرخوا ملك مصر (ابريس)(١) ووضعوا أنفسهم تحت إمرته . وقد أعدّ ابريس جيشاً عظيماً من المصريين ، وأرسله ضد قورينا ، فزحف القورينيون الى إيراسا ونبع (ثستيس) حيث التحموا بالمصريين وتغلبوا عليهم ، إذ لم تكن للمصريين خبرة بمقاتلة اليونانيين بعد ، كما استخفوا بعدوهم . فترتب على ذلك أنهم سحقوا تماماً حتى أنه لم يعد منهم الى مصر سوى القليل . وبسبب هذه النكبة ، والقاء تبعتها على إبريس ثار المصريون عليه (٢) .

فقرة ١٦٠ كان لباتوس (السعيد) إبن اسمه أركسيلاوس ، ما إن ارتقى العرش حتى وقع نزاع بينه وبين إخوته ، فتركوه وذهبوا بعيداً إلى مكان آخر في ليبيا ، حيث أنشأوا مدينة

(١) Apries أو خفرع – (الفرعون الرابع) ٥٨٩ – ٥٧٠ ق.م.) من الأسرة السادسة والعشرين . وقد ورد ذكره في التوراة ، وهو من اسرة ليبية الأرومة .

اعتمد كسابقيه على المرتزقة الأيونيين والقاريانيين ، وقام بمحاولات غزو فاشلة لكل من فينيقيا وقورينا . ثم عزل بعد ثورة شعبية ضد مرتزقته وضعت أحمس ، أو أماسيس ، على العرش .

(٢) كان هذا عام ٥٧٠ ق.م.

لأنفسهم سميت آنذاك ، ولا تزال حتى الآن تسمى (برقة) [١] .

الليبيون يثأرون من أركسيلاوس

وقد حرضوا الليبيين حين كانوا ينشئونها على الثورة ضد القورينيين ، وعندئذ قاد أركسيلاوس جيشاً وتوغل في اقليم الليبيين الذين كانوا قد رحبوا باخوته وثاروا عليه . فلما فر هؤلاء أمامه الى الليبيين الشرقيين طاردهم حتى مكان في ليبيا يدعى (ليوكون) [٢] حيث صمم الليبيون على مهاجمته . فاشتبكوا هناك معه في معركة تغلبوا فيها تماماً على القورينيين حتى قتل في هذه المعركة سبعة آلاف قوريني من المشاة الثقيلي العدة . وبعد هذه الكارثة خر أركسيلاوس صريع المرض ، ثم خنقه أخوه (هاليارخوس) حين كان تحت تأثير دواء تناوله . لكن (اروكسو) زوجة أركسيلاوس احتالت على هاليارخوس وقتلته .

فقرة ١٦١

انتقل ملك أركسيلاوس الى ابنه باتوس ، وكان أعرج لا يقوى على المشي . وإزاء سوء أحوال القورينيين فانهم أنفذوا

---

(١) Barce باركي . وهي مدينة المرج حالياً . وقد حرصت على ترجمتها ببرقة تمشياً مع الترجمة العربية . فاذا وردت (برقة) بمعنى الاقليم الشرقي من ليبيا Cyrenaica فسينبّه إلى ذلك في موضعه . وكلمة Barcae ليست يونانية بل هي كلمة ليبية ، مما يعني تأثيراً لليبيين في إنشائها ، ويرجح شامو Chamoux . أن قبيلة الأوسخيساي هي التي أعانت أخوة أركسيلاوس على إنشاء برقة . وذلك حوالي سنة ٥٦٠ ق.م. (عبد العليم : دراسات ، ص : ٥٧) .

(٢) Leucon موقع في أطراف ليبيا الشرقية. (المراجع) .

الفوضى في قورينا تستوجب احضار المصلح ديموناكس

الرسل الى دلفي يستنبئون الوحي عن أفضل تنظيم يمكن أن يفيء عليهم بالرخاء ، فأمرتهم الكاهنة بأن يُحضروا مصلحاً من (مانتينيا) [١] في (أركاديا) . وحين أعرب القورينيون عن رغبتهم لأهل مانتينيا أرسل اليهم هؤلاء أعظم مواطنيهم قدراً، وكان اسمه « ديموناكس » فلما أتى إلى قورينا ووقف على أحوالها قسّم أهلها إلى ثلاث قبائل ، وكانت احداهـــا تتألف من الثيرائيين والبريؤيكي [٢] ، والثانية تتكون من البلوبونيزيين والكريتيين ، والثالثة من أهل الجزر جميعاً . وفضلاً عن ذلك فانه خصص لملكهم باتوس بعض الأملاك والسلطة الكهنوتية . أما باقي السلطات التي كان الملوك يمارسونها في الماضي فإنه أسندها إلى الشعب .

فقرة ١٦٢

وقد احترمت هذه الشرائع في خلال حياة باتوس سالف الذكر ، بيد أن نضالاً عنيفاً نشب في عهد ابنه أركسيلاوس

---

(١) Mantenia . مدينة تقع في سهل جنوب شرق أركاديا ، وكانت تقع بين المدينتين حروب مستعرة.بدأت سنة ٥٠٠ ق.م. ديموقراطية معتدلة ، وكانت تحارب اسبرطة حيناً وتهادنها حيناً آخر ، ثم دمرت سنة ٢٢٣ ق.م. وبنيت بدلاً منها مدينة باسم (آنتيغونيا) .

(٢) طبقاً للتقسيم المعتاد في المدينة ــ الدولة الدورية ؛ اذ كانوا ينقسمون عادة إلى ثلاث قبائل . ويختلف الباحثون في من كان البريؤيكي . ويرى كثيرون أنهم كانوا جيران قورينا الليبيين ، الذين أسهموا في انشائها واصطبغوا بالصبغة الاغريقية وأصهروا إلى القورينيين ثم سلب هؤلاء اراضيهم عندما ازداد عدد الإغريق في عهد باتوس (السعيد) نتيجة لهجرة كبيرة من مختلف أنحاء العالم الاغريقي . (المراجع) .

حول حقوق الملك . ذلك أن أركسيلاوس ابن باتوس الأعرج و (فريتيمي) لم يشأ الالتزام بشرائع ديموناكس ، بل أراد استعادة امتيازات أجداده . فتزعم حركة لهذا الأمر لكنه غلب على أمره وهرب الى ساموس ، كما فرت أمـــه الى (سلاميس) [1] في قبرص . وكان يحكم سلاميس في هذا الوقت (إفلثون) وهو الذي أهدى الى دلفي تلك المبخرة الرائعة المقامة في بيت كنوز الكورنثيين . وقد ذهبت فريتيمي

فرتيمي وابنها ينقصان شرائع ديموناكس

الى افلثون تطلب منه جيشاً يعيدها هي وابنها الى قورينا ، لكنه كان يرغب في أن يقدم لها أي شيء آخر عدا الجيش . وعندما أخذت ما أعطاه امتدحت العطاء ولكنها أردفت ذلك بقولها إنها كانت تفضل أن يستجيب الى رغبتها ويعطيها جيشاً . وكانت لا تني تردد ذلك القول مهما بلغت العطية . وأخيراً أرسل لها افلثون مغزلاً ذهبياً وثقالة ومعهما صوف ، وقال لها – عندما كانت تردد عبارتها السابقة – ان هذه ، وليست الجيوش ، هي الهدايا الخليقة بالنساء .

فقرة ١٦٣

وفي هذه الأثناء كان أركسيلاوس في ساموس يقوم بحشد كل من يستطيع حشدهم من الرجال ، واعداً اياهم بتوزيع الأرض عليهم من جديد . وحين كان يجري جمع جيش كبير على هذا النحو ارتحل أركسيلاوس الى دلفي ليستنبيء الوحي عن عودته ، فأعطته الكاهنة هذا الجواب :

أركسيلاوس يستنجد بدلفي مرة أخرى

« لثمانية أفراد من أسرتك .

---

(١) Salamis مدينة على الساحل الشرقي لقبرص .

أربعة منهم يدعون باتوس
وأربعة يدعون أركسيلاوس
يمنح لوكسيان ملك قورينا . .
وينصحكم بأن لا تتجاوزوا ذلك
وأما أنت فعد الى وطنك
وعش هناك في سلام .
واذا وجدت الفرن مليئاً
بقدور الفخار فلا تحرقها .
بل دعها وشأنها دون
أن تمسها بسوء .
واذا أحرقت القدور
في الفرن فلا تذهب الى
المكان المحاط بالبحر
لأنك ان فعلت فستقتل
أنت نفسك .. وكذلك
أفضل ثور في القطيع » [1] .

---

(١) قارن : ديودوروس الصقلي ، الكتاب الثامن، فقرة ٣٠ – حيث يقول : إن سبب غضب الكاهنة منه أنه لم يتبع سبيل باتوس الأول في الحكم كما أن خلفاء باتوس استحوذوا على أموال الشعب . ولم يحترموا الآلهة وصاروا طغاة جبارين .

وكانت هذه هي النبوءة التي أبلغتها الكاهنة أركسيلاوس .

فقرة ١٦٤ بيد أنه ما أن عاد أركسيلاوس والسامونيون الى قورينا ، وقبض على زمام الأمور فيها حتى نسي النبوءة وطالب بالقصاص من خصومه الذين تسببوا في هروبه ، وقد رحل بعض هؤلاء من البلاد كلية ، أما بعضهم الآخر فـان أركسيلاوس القى القبض عليهم وأرسلهم الى قبرص ليلقوا حتفهم هناك . واذ طوحت الرياح بهؤلاء الى (كنيدوس) [١] فان الكنيديين أنقذوهم وأرسلوهم الى ثيرا . وفر فريق آخر من القورينيين ينشدون النجاة في حصن كان يملكه شخص

نبوءة دلفي تتحقق يدعى (أغلوماخوس) . فكوّم أركسيلاوس أخشاباً حول الحصن وأحرقه بمن فيه . وعندما أدرك بعد فوات الأوان أن ذلك كان فحوى نبوءة دلفي التي حظرت عليه احراق القدور اذا وجدها في الفرن تحاشى عامداً الذهاب الى مدينة القورينيين خشية الموت الذي أنبيء به ، وذلك ظناً منه أن قورينا كانت المكان الذي يحيط به البحر . ولما كـــان أركسيلاوس متزوجاً من إحدى قريباته — وهي ابنة ألازير [٢]

---

(١) Cnidus مدينة في (كاريا) بآسيا الصغرى . وكانت احدى المدن الدورية التي بعثت زميلتها (مانتنيا) المشرع (ديموناكس) إلى قورينا ، انظر فقرة ١٦١ .

(٢) Alazir وهو اسم ليبي مثل اسم (أدكران) الذي سبق ذكره ، واسم (انابو) وهو اسم زعيم قبيلة ليبية استعانت به (آرتافيلا) القورينية للتخلص من طغيان زوجها .

ملك برقة — فانه ارتحل اليه . ولكن فريقاً من البرقيين ونفراً من القورينيين المنفيين تعرفوا عليه وقتلوه وهو يسير في السوق العام ، كما قتلوا حماه الازير . وهكذا فان أركسيلاوس ، سواء عن قصد أم عن غير قصد ، لم يدرك معنى النبوءة وحقق ما سطره القدر .

فقرة ١٦٥ وفي أثناء اقامة أركسيلاوس في برقة — بعد أن هيأ لنفسه أسباب تهلكته — كانت أمه فريتيمي تباشر سلطته في قورينا ، حيث كانت تدير دفة شئون الدولة وترأس اجتماعات مجلس الشورى [١] . لكنها عندما علمت بموت ابنها في برقة فرت

أعمال فرتيمي الى مصر معتمدة على الخدمة الطيبة التي أداها أركسيلاوس لقمبيز بن قورش ، فقد كان أركسيلاوس هذا هو الذي سلم قورينا الى قمبيز ووافق على أن يدفع له الجزية ، ولذلك فان فريتيمي — عند وصولها مصر — توسلت الى أرياندس [٢] أن ينتقم لها بدعوى أن ابنها تحالف مع الميديين [٣] .

---

(١) البولي Poli وهو يشبه مجلس الشورى الديموقراطي الأثيني ذا الخمسائة عضو . وهو ربما كان قد خرج إلى الوجود بعد ثورة ديمقراطية على الحزب الاوليغركي المتسلط .

(٢) Aryandes كان نائب دارا في مصر ، ثم قتله بتهمة الثورة ، لكن السبب — كما يقول هيرودوتس فقرة ١٦٦ — هو انه حاول منافسة دارا بأن صك نقوداً تضاهي نقوده في النقاوة ، بل ليس هناك ما يضاهي النقود الاريانديه في الصفاء .

(٣) Medes يعني الفرس .

فقرة ١٦٧ وفي هذه الأثناء أخذت الشفقة أرياندس ، وهو الذي أتحدث عنه ، على فريتيمي وأعطاها جميع القوات الفارسية في مصر ، البرية منها والبحرية ، وعين (أماسيس) المارافي قائداً للجيش ، و(بادرس) الذي هو من قبيلة (الباسارغداي [1]) قائداً للأسطول . لكن أرياندس بعث ، قبل أن يتحرك الجيش ، رسولاً إلى برقة ليستعلم عمن قتل أركسيلاوس . فرد البرقيون بأن ذلك كان من عمل المدينة كلها ، بسبب الاساءات الكثيرة التي أنزلها بهم أركسيلاوس ، وما إن سمع

الفرس يغزون ليبيا

ارياندس هذا حتى أرسل الحملة مع فريتيمي . وقد كانت هذه هي الذريعة التي انتحلت لإرسال الحملة . لكنها في رأيي أرسلت للسيطرة على ليبيا . ذلك أن القبائل الليبية كثيرة ومتعددة الأنواع . وعلى الرغم من أن قلة منها كانت رعايا (دارا) فإن أكثرها لم يعنها من أمره شيء .

فقرة ١٦٨ أما عن مواطن الليبيين فإن موطن قبيلة (الأدورماخيداي) [2] أقرب هذه المواطن الى مصر . وقد اقتبست هذه

الادورماخيداي

القبيلة أغلب عاداتها عن المصريين . غير أن ملبسها يماثل ملبس القبائل الليبية الأخرى . وتضع

---

(١) باسارغاداي مدينة في فارس أنشأها قورش سنة ٥٤٩ ق.م. واهتم بها ملوك فارس فازدهرت واغتنت ، ثم سقطت في يد الاسكندر الأكبر سنة ٣٣٦ ق.م.

(٢) Adormachidae. ويحدد Scylax موطنهم في ما يلي مصر غرباً حتى ابيس (زاوية الرخم شرق السلوم) .

نساؤها حلقات برونزية حول الساقين كلتيهما كما يطلقن شعورهن ، وعندما تبلغ العذارى سن الزواج فإن للملك أن يزيل عذرية من يستحسنها منهن . ويمتد موطن قبيلة الأدورماخيداي من مصر الى المرفأ المسمى (بلونوس) [1] .

فقرة ١٦٩ وتلي هذه القبيلة قبيلة (الجيليغاماي) ، وهي تقطن الاقليم الواقع الى الغرب حتّى جزيرة (افرودسياس) [2] ، وقبل الوصول الى هذه الجزيرة تقع قرب الشاطيء جزيرة بلاتيا —

الجيليغاماي

وهي التي استعمرها القورينيون — ويوجد على الشاطيء ذاته المرفأ المسمى (مينلاوس) [3] ، وكذلك أزيريس التي كانت مقراً للقورينيين . ومن هنا يبدأ اقليم (السلفيوم) [4] ، وهو يمتد من جزيرة بلاتيا حتّى مدخل خليج سرت . وهذه القبيلة تماثل القبائل الأخرى في عاداتها .

فقرة ١٧٠ وتلي الجيليغاماي غرباً قبيلة الأسبوستاي [5] وهي تقطن الى الداخل وراء قورينا ولا يصل موطنها ساحل البحر . لأن

الاسبوستاي

الساحل جزء من اقليم قورينا — والاسبوستاي يستخدمون

---

(١) Plynus . سيدي البراني الآن ، في الصحراء الغربية داخل مصر .

(٢) Aphrodisias . جزيرة كرسة غرب درنة .

(٣) Menelaus . ميناء صغير شرق خليج بومبا .

(٤) Silphium . قارن : بليني ؛ الكتاب التاسع عشر . فقرة ١٥ .

(٥) Asbystae . وحكم هيرودوتس بأنهم دأبوا على تقليد عادات القورينيين يعني أنهم تأغرقوا .

أكثر من أي قبيلة اخرى عربات ذات أربعة جياد . وقد دأبوا على تقليد اغلب عادات القورينيين .

الآوسخيساي

فقرة ١٧١ وتلي قبيلة الأسبوستاي غرباً قبيلة (الآوسخيساي) [1] وهي تقطن الى الداخل وراء برقة . ويلاصق موطنها ساحل البحر عند (يوسبريدس) [2] : وتجاه منتصف اقليم الآوسخيساي تقريباً تقطن قبيلة (البكالس) الصغيرة . ويمتد اقليمها حتى البحر عند (توخيرا) [3] وهي بلدة تقع في اقليم برقة . وعادات هاتين القبيلتين هي نفس عادات القبيلة التي تقطن الى الداخل وراء قورينا [4] .

فقرة ١٧٢ ويلي اقليم الآوسخيساي غرباً اقليم زاخر بسكانه من قبيلة (النسامونس) [5] وهم في الصيف يتركون قطعانهم بجانب البحر ويذهبون الى منطقة في الداخل تدعى (أوجلة) [6] ليجمعوا التمور من أشجار النخيل التي تنمو هناك بكثرة عظيمة وتثمر جميعها . وهم يصيدون الجراد ثم يجففونه في

---

(١) Auschisae وهم الذين بنيت مدينة (برقة) في أرضهم .

(٢) Euhesperides بنغازي الآن .

(٣) Tauchera طوكرة .

(٤) يقصد الأسبوستاي .

(٥) قارن بليني ، الكتاب الخامس فقرة ٥ .

(٦) Augila والمقصود مجموعة واحات جالو وأوجلة الآن .

النسامونس

الشمس ، وبعد أن يطحنوه يذرونه في اللبن ويشربونه . ومن عاداتهم ان يتخذ كل رجل عدة زوجات . وهم يباشرون النساء دون قيد أو ضابط ، على نحو ما يفعل رجال قبيلة (المساجيتاي) [1] ، إذ تُغرس عصاً أمام المسكن ثم يتعاشرون. وعندما يتزوج رجل من النسامونس للمرة الأولى فانه يجب على العروس — طبقاً للعرف — أن تضاجع في الليلة الاولى واحداً تلو الآخر من المدعوين ، ويعطيها كل رجل بعد ذلك أية هبة أتى بها من بيته [2] . أما طريقتهم في القسم فهي انهم يضعون أيديهم على قبور الرجال الذين اشتهروا بأنهم كانوا أكثرهم عدلاً وأحسنهم خُلقاً ثم يقسمون بهؤلاء الرجال . اما طريقتهم في استطلاع الغيب فهي انهم يذهبون الى اضرحة اسلافهم حيث يقيمون الصلوات ثم ينامون ويعتبرون كل ما يأتيهم من الاحلام وحياً . وهم يتبادلون المواثيق بأن يشرب احدهم من يد الآخر ، فان لم يجدوا سائلاً اخذوا من تراب الأرض ولعقوه .

---

(١) Massagetae وهو اسم عام كان يطلقه هيرودوتس على القبائل التي كانت تعيش شرقي ساحل بحر قزوين . وقد قتل قورش الأكبر ملك فارس — طبقاً لبعض الروايات — في اثناء حملة له هناك (انظر : هيرودوتس . الكتاب الأول فقرة ٢٠٤ — ٢٢٦ — الكتاب الرابع فقرة ١١) .

(٢) قارن ما يذكره أرسطو في كتاب (السياسة) ص ٣٢ من طبعة Everyman's Library رقم٦٠٥ من شيوعية النساء في أعالي ليبيا ، ومن المرجح أنه ينقل عن هيرودوتس . وقد فند مصطفى عبد العليم هذا القول في كتاب (دراسات في تاريخ ليبيا القديم) . قارن أيضاً : بليني . الكتاب الخامس فقرة ٨ .

فقرة ١٧٣

وعلى حدود موطن النسامونس يقع موطن (البسولوي) [١] وهم الذين اندثروا على هذا النحو : ذلك انه بفعل الرياح الجنوبية جفّ ما في صهاريجهم من مياه ، ولم يعد هناك ماء في كل انحاء موطنهم الواقع في اقليم سرت . وبعد ان تشاوروا مع بعضهم البعض ساروا نحو الجنوب (وانا احكي القصة كما يرويها الليبيون) وعندما توغلوا في الصحراء الرملية ردمتهم ريح عاتية قادمة من الجنوب . وهكذا انقرضوا تماماً واستولى النسامونس على اقليمهم .

البسولوي

فقرة ١٧٤

وفيما يلي هؤلاء الى الداخل صوب الجنوب يقطن (القرامانتس)[٢] في أرض الوحوش الضارية . وهم يتحاشون رؤية الناس وصحبتهم ، ولا يملكون اسلحة للحرب . كما لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم .

القمفزانتس

---

(١) Psylloi أو Psylii قارن : بليني – الكتاب الخامس فقرة ٤ والتعليق .

(٢) صحة اسمهم (القمفزانتس Gamphazantes) قارن : بليني الكتاب الخامس فقرة ٨ وقارن : هيرودوتس . فقرة ١٨٣ – من الكتاب الرابع . حيث يتحدث عن القرامنتس حديثاً يخالف حكمه هذا ، يظهر فيه القرامنتس أمة محاربة . وواضح أن هناك تشويهاً طرأ على نص هيرودوتس في هذه الفقرة التي أمامنا ، فجاء اسم القرامنتس بدلاً من اسم القمفزانتس وهم المقصودون . ويبدو أن موطن هذه القبيلة المسالمة كان في فزان Phazania كما يتضح من اسمهم (قم – فزان – تس Gam / phazan / Tes) .

فقرة ١٧٥

ويقيم هؤلاء الى الداخل عن موطن النسامونس ، وهو الذي يجاوره على ساحل البحر غرباً موطن (المكاي) [١] . وأهل هذه القبيلة يحلقون رؤوسهم بحيث يزيلون تماماً كل شعرهم عدا عفرة يتركونها على قمة الرأس لتنمو [٢] . وهم يحملون في الحرب دروعاً مصنوعة من جلود النعام ويصب نهر (كينوبس) [٣] في بحرهم بعد أن يجتاز موطنهم قادماً من تل يدعى (تل الحسان) . وتنمو على هذا التل أحراش كثيفة ، على حين أن بقية ليبيا التي تحدثت عنها عارية من الأشجار . ويبعد هذا التل عن البحر بمائتي فرسخ [٤] .

المكاي

فقرة ١٧٦

ويلي موطن المكاي غرباً موطن قبيلة (الجيندانس) [٥] حيث تضع كل امرأة حول ساقيها حلقات كثيرة من الجلد ، لأن المرأة (كما يقال) تضع حلقة عن كل رجل اتصلت به ،

---

(١) Macae ويعين سكيلاس منازلهم من نصب الأخوين فلايني (القوس) إلى نهر كينوبس (كعام) وهم الذين أعانوا القرطاجنيين على إخراج (دوريوس الاسبرطي) من مستعمرته في وادي كعام أواخر القرن السادس ق.م.

(٢) هذه العادة لا تزال سارية في بعض القبائل الليبية حتى اليوم – ويسمونها (الشوشة) .

(٣) Cinyps هو وادي كعام . انظر : هيرودوتس الكتاب الرابع فقرة ١٩٨ والتعليق .

(٤) أي حوالي ٢٥ ميلاً .

(٥) Gindanes وفي ظن Bates (الليبيون الشرقيون ص ٥٢) أنهم قسم من أكلة اللوتس (فقرة ١٧٧) .

الجيندانس

وتشتهر تلك التي تضع أكبر عدد من هذه الحلقات بأنها خير نساء القبيلة ، لأنه أحبها أكبر عدد من الرجال .

فقرة ١٧٧ ومن موطن الجيندانس تبرز في البحر رأس [1] يعيش عليها (أكلة اللوتس) [2] وهو غذاؤهم الوحيد . وحجم ثمرة اللوتس في حجم التوت البري ، وحلاوة مذاقها مثل حلاوة مذاق الرطب ، وأكلة اللوتس لا يأكلونه فحسب بل هم يتخذون منه نبيذهم أيضاً .

اللوتوفاجي

فقرة ١٧٨ ويلي موطن الجندانس ، على امتداد الساحل ، موطن (المخلويس) وهم أيضاً يستعملون اللوتس ولكن على نطاق أضيق مما يفعل القوم الذين سلف ذكرهم . ويمتد موطن المخلويس حتى نهر كبير يدعى (تريتون) [3] ويصب في

المخلويس

---

(١) لعلها كانت رأس زارزيس Zarzis أوزوخيس Zochis بالقرب من خليج سرت الصغرى (المراجع) .

(٢) ثمرة الـRhamnus Lotus التي تنمو في هذا الجزء من افريقيا.ويقال انها تؤكل ، ولكنها ليست لذيذة إلى درجة تبرر وصف هوميروس لها بأنها في (حلاوة العسل) ولم تحدد هذه الشجرة العجيبة تحديداً دقيقاً إلا أن المرجح أنها ضرب من النبق . انظر بليني . الكتاب ١٣ — فقرة ٣٢ .

(٣) Triton (طرف الماء) إلى الجنوب الغربي من خليج تونس (المراجع) .

بحيرة (تريتونيس) [1] العظمى ، حيث توجد جزيرة تسمى (فلا) ويقال ان وحياً أمر (اللاكيدايمونيين) [2] بأن ينشئوا لهم محلة على هذه الجزيرة .

فقرة ١٧٩ وتروى كذلك القصة التالية : — يقال انه بعد بناء السفينة (آرغو) [3] عند سفح جبل (بيليون) [4] وضع « ياسون» [5] في السفينة قرابين عظيمة ومنضدة برونزية ذات ثلاث أرجل ، وأقلع بالسفينة دائراً حول شبه جزيرة « البلوبونيز » [6] قاصداً دلفي . بيد أنه في أثناء رحلته عندما كان تجاه رأس « ماليا » [7] هبت ريح شمالية وطوحت به الى ليبيا . وقبل

ياسون يقابل تريتون

---

(١) Tritonis شط الجريد وشط الحميمات .

(٢) المقصود الاسبرطيون .

(٣) Argo وهي سفينة بنيت على اسم Argus بن Prixus ، أبحر فيها خمسون بطلاً أسطورياً من أبطال الاغريق الأقدمين على رأسهم Jason بحثاً عن « الجزة الذهبية » . وكانت السفينة آرغو وربانها ياسون وقصة غرامه بمحبوبته ميديا Medea مبعث إلهام الكثير من الشعراء والكتاب ومصدراً لا ينضب في عالم الاساطير البطولية اليونانية . أنظر مثلاً :

Apollonius Rhodius. Argorautica.

J. R. Bacon, Voyages of The Argonauts .

(٤) Pelion جبل يزيد ارتفاعه عن ٥٣٠٠ قدم في إقليم تساليا . وكان على قمته معبد مكرس لزيوس ، ومن أشجاره بنيت سفينة الآرغو هذه .

(٥) Jason وهو في الأساطير ابن آيسون وقائد بحارة سفينة الآرغو .

(٦) Peloponessus أو المورة .

(٧) Malea رأس في الجنوب الشرقي بالمورة. وهو ركن خطير بالنسبة=

أن تتكشف له معالم الأرض كانت السفينة قد توغلت في ضحاضح بحيرة تريتونيس . وتقول القصة ان « تريتون » [١] ظهر له هناك، قبل أن يتمكن من الخروج من هذه الضحاضح، وأمره بأن يعطيه المنضدة واعداً اياه بأن يرشد ملاحيه الى المخرج – اذا فعل ذلك – ويدعهم جميعاً يذهبون الى حال سبيلهم دون ان يمسهم ضرر . وعندما فعل ياسون ما أمر به أرشدهم تريتون الى المنفذ من الضحاضح ووضع المنضدة في معبده .

تريتون

ولكنه ادلى – قبل ذلك – بنبوءة عن المنضدة على مسمع من رجال ياسون ، وفحوى هذه النبوءة انه إذا افلح احد من سلالة بحارة السفينة آرغو في اخذ المنضدة فلا بد ان تنشأ مائة مدينة اغريقية على ضفاف بحيرة تريتونيس . ويقال ان اهل البلاد الليبيين عندما سمعوا ذلك اخفوا المنضدة .

= للسفر بسبب هبوب الرياح العاتية فجأة عند ساحل لا مرفأ فيه . وقد اشتهر بهذا منذ عهد هوميروس حتى عصر الكتاب البيزنطيين . ولكن هذه المخاطر ليست سوى تصاوير أدبية ، فإن هناك طرقاً وممرات في هذا البوغاز الضيق بين ميليا وكيثرا .

(١) هو شيخ البحر (بوسلامة) عند اليونان أو أساطير ما قبل اليونان . وليس للاسم معنى وان يكن يعني شيئاً كالماء في اليونانية قبل العصر الهليني . ويظل تريتون شخصية غامضة تظهر غالباً في زخارف السفن والاعمال الفنية الأخرى . ويقال بأن تريتون ظهر بشكل بشري لبحارة الآرغو ناوتكا وأعطاهم قطعة طين عربوناً لتملكهم قورينا . ويذكر البعض أنه رأى تريتون هذا ، ولعله سبع البحر أو ما يشبهه .

فقرة ١٨٠

ويلي موطن المخلوس موطن « الأوسيس » [١] ، ويفصل نهر تريتون بين هاتين القبيلتين ، وهما تنزلان على ضفاف بحيرة تريتونيس ، ويطيل أفرادهما شعر رؤوسهم ، غير أن المخلوس يرسلونه الى الخلف بينما يسدله الأوسيس الى الأمام.

الأوسيس

وكلهم يقيمون حفلاً سنوياً للربة « أثينا » [٢] تنقسم فيه عذاراهم فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة [٣] والهراوات وبهذا «على حد قولهن » يظهرن اجلالهن – على نمط الأسلاف – نحو تلك الربة الوطنية التي ندعوها نحن أثينا . وتعتبر الفتيات اللاتي يمتن متأثرات بجراحهن غير أبكار . وقبل ان تبدأ الفتيات في القتال يختار القوم جميعاً أملحهن ويلبسونها خوذة « كورنثية » [١] وعدة حرب إغريقية ثم يركبونها عربة ويجرونها على ساحل البحيرة كلها . ولا أستطيع القول بأي سلاح كانوا يجهزون عذاراهم قبل أن يأتي الاغريق ليسكنوا بالقرب منهم ، لكنني افترض أن السلاح كان

---

(١) Ausees أقصى قبائل الليبيين البدو الرعاة غرباً .

(٢) Athena هي الآلهة العذراء عند اليونان، كما كانت ربة الحكمة والحرب والزواج والنبات ، وهي تسمى كذلك بالاس Pallas وكانت تصور في عدة حرب كاملة تحمل غصن زيتون وبجانبها حية ، ولعل غصن الزيتون والحية انحدرا من عبادة قدماء اليونان للاشجار والحيات .

(٣) كان الليبيون قد مهروا في رشق الحجارة وكانت سلاحهم ضد الاعداء .

انظر J,A. Harrison. Mythology وقارن : ديودوروس الصقلي . الكتاب ٣ فقرة ٤٩ .

(٤) نسبة إلى كورنثةCorinthوهي مدينة اغريقية تبعد ميلاً ونصف الميل جنوب البرزخ الذي يصل البلوبونيز بأواسط اليونان .

مصرياً ، لأني أعتقد أن الاغريق اخذوا الدرع والخوذة عن مصر . أما اثينا فانهم يقولون انها كانت ابنة بوسيـــدون والبحيرة التريتونية ، وانها — مغضبةً بسببٍ ما من والدها — منحت نفسها لزيوس [1] الذي جعلها ابنته هو ، وهذه هي قصتهم . واتصال الرجال بالنساء عندهم لا ضوابط له وعلى نمط ما تفعل السوائم ، فهم يعاشر بعضهم بعضا. وعندما يبلغ طفل اي امرأة أشدّه فان الرجال يعقدون اجتماعاً في مدى ثلاثة اشهر ويقررون ان الولد هو ابن ذلك الرجل الأكثر شبهاً به .

فقرة ١٨١ لقد تحدثت الآن عن كل الليبيين البدو الرعاة الذين ينزلون على ساحل البحر . والى الداخل بعيداً عن مواطن اولئك الليبيين يوجد ذلك الاقليم الليبي الذي ترتاده الوحوش الضارية. ويوجد الى ما وراء ذلك شريط رملي يمتد من (طيبة) [2] في مصر حتى (أعمدة هرقل) [3] وعند مواقع على هذا الشريط ،

(١) Zeus رب الأرباب عند اليونان ، كان مقره قمة جبل الأولمب . وهو في الأساطير اليونانية كان ابن كرونوس أصغر التيتان وريا (أم الأرباب) وأخاً لبوسيدون ، انظر : فقرة ٥٠ . وكان يدعى أبا الآلهة والبشر وأقوى الخالدين ، كما كان مسلحاً بالبرق والرعد ودروعه المشهورة وهو عرف عند الرومان باسم جوبتّر Jupiter .

(٢) Thebes . الأقصر الآن ، في صعيد مصر .

(٣) إن وصف هيرودوتس صحيح إلى الدرجة التي يشير فيها إلى حقيقة وجود طريق قوافل لا شك فيه بين مصر وشمال غرب افريقيا ، حيث يجب أن تكون بداية الطريق هي ممفيس وليست طيبة. غير أن المسافات=

يبعد كل منها عن الآخر بمسافة يستغرق قطعها عشرة أيام. توجد كتل ضخمة كثيرة من الملح على هيئة تلال صغيرة ، وعلى قمة كل تل نبع يقذف عالياً من وسط الملح بماء بارد عذب . وحول هذه التلال يقيم أولئك الذين توغل مواطنهم الى أبعد مدى تجاه الصحراء الى ما وراء اقليم الوحوش الضارية.

ينبوع الشمس والأمونيين

وأول جماعة يلقاها القادم من طيبة بعد رحلة تستغرق عشرة أيام هي جماعة الأمونيين الذين يعبدون زيوس طيبة [1] اذ أن لتمثال زيوس في طيبة ، كما قلت من قبل ، رأس كبش . وعند الأمونيين نبع آخر يكون ماؤه دافئاً عند الفجر ، ثم يزداد برودة وقت انعقاد السوق ويغدو بارداً عند الظهيرة — وفي هذا الوقت بالذات يروون جنائنهم . وكلما تقدم النهار قلت برودة الماء . حتى اذا ما غربت الشمس يأخذ الماء في الدفء وتزداد درجة حرارته تدريجياً ، وتبلغ ذروتها عند منتصف الليل فيغلي الماء حينذاك ويفور . وبعد منتصف الليل

= التي يقررها بين الأماكن التي يمكن التعرف عليها خاطئة تماماً ، ولا يحتمل الوصف برمته النقد . ليرجع القارىء إن أراد مزيداً من التفاصيل إلى طبعات : Rawlinson و Macan How and Wells

(١) المقصود هنا إله سيوه (آمون) وقد ناقش Bates في كتابه (الليبيون الشرقيون) هذا الموضوع . ومن رأيه أن هناك فرقاً بين زيوس طيبة — أو آمون طيبة — وبين زيوس سيوه ، حتى أن قمبيز الثالث ترك الأول دون أن يمسه بسوء وأرسل حملة ضد الثاني . وكان هيرودوتس عادة يسمي إله الليبيين في سيوه (زيوس آمون) قارن : (الكتاب الأول فقرة ٤٦ ، الثاني فقرة ١٨ ، ٣٢ ، الثالث فقرة ٢٥) وقد كان هناك تأثير متبادل بين العبادتين الليبية والمصرية على كل حال .

تبدأ حرارة الماء في الهبوط تدريجياً حتى الفجر . ويدعى هذا
النبع (نبع الشمس) [1]

فقرة ١٨٢ وعلى بعد مسيرة عشرة أيام أخرى من الأمونيين ، على امتداد
الشريط الرملي ، يوجد تل ملح مثل تل الأمونيين وينابيع
أوجلة مياه ، حيث يعيش الأهالي ، ويدعى هذا المكان أوجلة .
ومن عادة النسامونس أن يأتوا الى هذا المكان ليجمعوا ثمار
النخيل .

فقرة ١٨٣ وبعد مسيرة عشرة ايام اخرى من اوجلة يوجد تل ملح آخر
وينابيع مياه واشجار نخيل كثيرة محملة بالثمر ، كما هي الحال
القرامانتس في الأماكن الأخرى . ويعيش هنا قوم كثيرو العدد يدعون
(القرامانتس) [2] ، وهم يزرعون التربة التي بسطوها فوق

---

(١) قارن : بليني — الكتاب الخامس . فقرة ٥ . وانظر : ديودوروس الصقلي (الكتاب الثالث فقرة ٥٧ ، الكتاب السابع عشر فقرة ٥٠) .

(٢) Garamantes هم سكان فزان الأقدمون . كانت لهم سطوة على الصحراء ودولة ، وعاصمة ملكهم هي ما يعرف بجرمة . وهيرودوتس هو أول من أشار إليهم وخلط بينهم وبين القمفزانتس فقرة ١٧٤ . تميز القرامانتس بعرباتهم ذات الخيول الأربعة التي نقلها عنهم اليونان ، وهناك رسوم كثيرة وجدت في فزان تمثلها . وقد كان القرامانتس هم الوحيدون الذين يستطيعون اختراق الصحراء جنوباً في مطاردتهم للحيوانات مثل الفيلة والنعام ونحوها (انظر : لو كان الساموساتي . المحاورات) وكان بينهم وبين الرومان صراع طويل دارت فيه الحرب=

الملح . ومن هنا تبدأ أقصر طريق الى موطن أكلة اللوتس ،
وهو على بعد مسيرة ثلاثين يوماً . وعند القرامانتس توجد
الثيران التي تمشي القهقرى حين ترعى ، والسبب ان قرونها
محنية الى الأمام ، ولذلك فانها تمشي الى الوراء اثناء رعيها
القرامانتس غير قادرة على السير الى الأمام نظراً الى أن قرونها ستنغرز
عندئذ في الارض ، وهي فيما عدا ذلك كالثيران الأخرى ،
غير ان جلدها اغلظ واصلب ملمساً . ويمضي هؤلاء
القرامانتس في عرباتهم ذات الخيول الأربعة يطاردون الأثيوبيين [1]
سكان الكهوف ، إذ ان الأثيوبيين اسرع في الجري من أي
قوم بلغتنا أخبارهم . وهم يعيشون على الثعابين والسحالي
وأشباه هذه الزواحف . ولا يشبه كلامهم أي كلام آخر
في العالم ، بل هو مثل زعيق الخفافيش .

فقرة ١٨٤ وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى من مواطن القرامانتس يوجد
أيضاً تل ملح وماء ، ويدعى القوم الذين يقطنون هناك
(الاترانتس) . وهؤلاء القوم هم الوحيدون المعروفون لنا
الذين لا اسماء لافرادهم ، إذ يدعى الناس جميعاً (اترانتس)

= سجالاً بين الفريقين حتى انتصر عليهم كورنيليوس بالبوس سنة ١٩ ق.م. (انظر : بليني الكتاب ٥ فقرة ٥) وقد امتد نشاط القرامانتس إلى الشمال وساعدوا لبدة وأويا (طرابلس) على الثورة ضد الرومان في عهد (فسباسيان) سنة ٦٩ م .

ويرجح البعض أن التوارق الموجودين حالياً بالصحراء الليبية هم نسل أولئك القرامانتس الأقدمين .

(١) Etheopians ولعلهم سكان جبال تبستي .

لكنه ليس لأحد منهم اسم خاص به . وعندما تكون الشمس في كبد السماء يشتمها هؤلاء ويسبونها بأقذع السباب ، لأن أشعتها المحرقة تؤذي الناس وأرضهم . وبعد مسيرة عشرة

الأترانتس

أيام أخرى يوجد تل ملح آخر وماء وقوم يعيشون هناك ويوجد بالقرب من هذا الملح جبل يسمى (أطلس) ذو شكل دقيق دائري تماماً ، ويقال انه يبلغ من العلو حداً لا ترى معه العين ذراه ، لأن السحاب يغطيها دائماً شتاء وصيفاً ، ويسميه أهل البلاد (عامود السماء) . وقد اكتسب هؤلاء الناس اسمهم (اطلنتس) من هذا الجبل . ويقال انهم لا يأكلون كائناً حياً ولا يرون أحلاماً في منامهم .

فقرة ١٨٥

انني أعرف وأستطيع أن أورد أسماء جميع الأقوام الذين يقطنون على الشريط الرملي حتى موطن الاطلنتس لكن ليس أبعد من ذلك . وانما الذي أعرفه أن الشريط الرملي يصل الى أعمدة هرقل وما بعدها . ويوجد على الشريط منجم ملح كل مسيرة عشرة أيام وأناس يعيشون هناك . وبيوتهم جميعاً مشيدة بكتل الملح ، لأن حتى هذه ايضاً اجزاء من ليبيا لا

بيوت الملح

يتنزل فيها المطر ، اذ ان الجدران — المكونة من الملح — ما كانت لتستطيع الوقوف ثابتة لو كان هناك مطر . والملح هناك أبيض وارجواني معاً . وخلف هذا الشريط توجد الأجزاء الجنوبية والداخلية من ليبيا التي هي صحراء جافة حيث لا وحوش هناك او امطار او غابات . وهذا الاقليم جاف جفافاً مطلقاً .

فقرة ١٨٦

وهكذا يكون الليبيون — من مصر حتى البحيرة الترِيتونية — بدواً رعاةً يأكلون اللحم ويشربون اللبن وللسبب نفسه ،

ديانة الليبيين

الذي يجهر به المصريون كذلك ، هم لا يلمسون لحم الأبقار ولا يربون الخنزير ، وتعتبر نساء قورينا أيضاً من الاثم أن يأكلن لحم الأبقار ، وذلك من أجل (ايزيس) [1] مصر . بل انهن يكرمنها أيضاً بالصيام والاحتفالات . وترفض نساء مدينة برقة كذلك أن يأكلن لحم الخنزير والأبقار .

١٨٧ فقرة

وهذه هي حال هذه المنطقة . لكن الليبيين غرب البحيرة الترِيتونية ليسوا بدواً رعاة ، ولا يمارسون العادات نفسها .

---

(١) Isis وهي في الديانة المصرية القديمة زوجة أوزيريس وأم حورس . وقد كان الليبيون يعبدونها ، فقد كانت عبادة (سخت — حور) منتشرة بين الليبيين . وحور الليبي أرضعته وحضنته البقرة (سخمت) وقد استمرت عبادة البقر على مر الزمان على الحدود الليبية المصرية حتى برقة تحت اسم (هاتور) أو (ايزيس) . انظر :

H. Kees. Ancient Egypt, F. & F. London 1960 P. 31

ونستطيع أن نفهم من هذا القول ان الاغريق الذين قدموا من ثيرا — ولم يكن معهم نساء — قد تزوجوا من نساء ليبيات حافظن على مقدسات قومهن من مثل الامتناع عن أكل لحم البقر وعبادة ايزيس والصيام لها وإقامة الاحتفالات من أجلها . وقد ذكر بندار Pindar في قصيدته البوثية التاسعة أن احد ابناء (تيليسكراتس) القوريني تقدم إلى ملك الجيلغاماي طالباً يد ابنته . وكان عليه أن يشترك مع غيره من الاغريق والفرسان الليبيين في سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائزة له . وكان الفائز هو (اليكسيد اموس) الاغريقي ، وقد حياه الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز .

من عادات الليبيين الصحية

ولا يعاملون أطفالهم مثلما تعوّد البدو الرعاة أن يفعلوا . إذ ان من عادة كثير من الليبيين البدو الرعاة (ولا أستطيع أن أقول بدقة ما اذا كانت عادة الجميع) ان يأخذوا اولادهم عندما يبلغون الرابعة من العمر ويكووا عروق جلود رؤوسهم أو احياناً عروق اصداغهم بدهن صوف الغنم، حتى لايصاب الأطفال بعد ذلك أبداً بالبلغم الذي ينزل من الرأس . وهم يقولون ان هذا يجعل اطفالهم اصح . والحق انه ليس في المعروف لدينا من الشعوب من هو في مثل صحة الليبيين . ولست استطيع القول بدقة ما إذا كان ذلك بسبب من هذه العادة ، لكنهم أصح الناس بالتأكيد . وقد وجد الليبيون علاجاً لتوجع الأطفال من ألم الكي ، وهو ان يطببوهم بترطيبهم ببول الماعز ، وهذا ما يقوله الليبيون انفسهم .

فقرة ١٨٨

ومن عاداتهم الدينية

إن طريقة البدو الرعاة في تقديم القرابين هي قطع جزء من اذن الضحية من اجل بواكير المحصول وإلقائه فوق البيت[1] وعندما يتم هذا يلوون عنق الضحية الى الوراء . وهم لا يقربون لأرباب سوى الشمس والقمر . وهذه هي عادة الليبيين جميعاً . غير ان القاطنين منهم عند البحيرة التريتونية يقربون لأثينا خاصة ، ثم من بعدها لتريتون وبوسيدون [2] .

(١) هذه عادة كانت لا تزال سارية في البلاد الليبية حتى عهد قريب وفي عيد الأضحى ينتزع طحال الأضحية ويلصق على مدخل الدار .

(٢) أنظر : الكتاب الثاني فقرة ٥٠ والتعليق .

فقرة ١٨٩

الإغريق يأخذون عن الليبيين الثياب والغناء والعربات

يبدو أن ثوب ودرع تماثيل أثينا نقلهما الاغريق عن النساء الليبيات ، غير أن لباس النساء الليبيات جلدي وان عذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين ، بل هي مصنوعة من سيور جلد الحيوان ، وأما في ما عدا ذلك فان الثوب والدرع في الحالتين سواء . بل ان الاسم ذاته الذي يطلق على درع أثينا ينم عن ان كساء تماثيل هذه الإلهة جاء من ليبيا ، إذ أن النساء الليبيات يرتدين فوق ثيابهن جلود ماعز ذوات عذبات بعد نزع شعرها وتلوينها باللون الأحمر [1] . وقد غيّر الإغريق الاسم الليبي لجلود الماعز هذه الى اسمها الاغريقي (آيجس) [2] أي الدرع ، وأكثر من هذا فإن الغناء الطقسي [1] – فيما أظن – ظهر أولاً في ليبيا ، فان نساء تلك البلاد يغنين غناءً مطرباً شجياً . ومن الليبيين تعلم الاغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة .

(١) في الأصل (بنبات الفوة) . ومن الطريف أن نجد أن اللباس القومي الليبي (الجرد) نقله اليونان عن قدماء الليبيين واتخذوه لباساً . أنظر :

Kaj Birket - Smith.

The Paths of Culture. W. Uni. 1965, P. 183.

(٢) ربما كانAegisدرع اثينا التقليدي الذي كان على صدرها . ومن المحتمل ان محافظة الفن الديني أبقت لربة المحاربة الدرع المصنوع من جلد الماعز الذي كان واحداً من أقدم اشكال السلاح الانساني .

(٣) كانت كلمةOlolugeاليونانية عبادة لأثينا ، وهي صيحة انتصار وبهجة . ولعلها ذات أصل شرقي وصلت بالتهليل السامي (هليلوجاه) أو هي ضرب من الزغاريد .

فقرة ١٩٠ ويدفن البدو الرعاة – فيما عدا النسامونس – موتاهم بالطريقة الإغريقية . أما النسامونس فإنهم يدفنون موتاهم جالسين ، فهم يحرصون على أن يكون الشخص جالساً حينما يسلم الروح ، فلا يموت ممداً على ظهره . ومنازلهم مصنوعة من غاب تلتف حوله سيقان البروق (١) ويمكن نقلها من مكان الى آخر . هذه هي عادات الليبيين .

دفن الموتى والمساكن

فقرة ١٩١ والى الغرب من نهر تريتون ، وبعد موطن الأوسيس ، تبدأ بلاد الليبيين الذين يفلحون الأرض ويقتنون البيوت ، وهم يدعون (الماكسوس) (٢) ويسدلون شعورهم الطويلة على الجانب الأيمن من رؤوسهم ويحلقون الأيسر ، ويطلون أجسامهم بالقرمز . ويدعي هؤلاء أنهم نسل الرجال الذين جاءوا من (طروادة) (٣) . وبلادهم ، وبقية الجزء الغربي من

الماكسوس وما بعد نهر تريتون

---

(١) أو السيراس ، وهو نبات طويل الساق من فصيلة الغاب ويقال انه اذا غامت السماء اخضر .

(٢) Maxyes ومن الممكن ان يكونوا هم (المشوش) الليبيون القدماء .

(٣) هي مدينة (هيسا رليك) الحديثة . تبعد أربعة أميال إلى الشرق عن المدخل الايجي للدردنيل . وقد توالت على طروادة Troy عهود كثيرة منذ العصر البرونزي (ما قبل التاريخ) وكان بينها وبين أثينا معارك مشهورة ، وعن حروبها كتب هوميروس (الالياذة) و (الأوذيسة) . وقد تميزت حياة طروادة بالروح العسكرية القوية وصراعها مع جيرانها من أهل المدن اليونانية الأخرى . ومن الطريف أن يكون (إيراتوسثنيس) الجغرافي القوريني المعروف أول من حدد تاريخ وقوع الحرب الطروادية بعد أن ضاع هذا التاريخ في سدم الأساطير والخيالات .

ليبيا أكثر وحوشاً وأحراشاً من بلاد البدو الرعاة . ذلك لأن الجزء الشرقي من ليبيا الذي يسكنه البدو الرعاة ، منخفض ورملي حتى نهر تريتون . أما البلاد التي تقع غربي هذا النهر – حيث يعيش زارعو– الأرض فجبلية للغاية وملأى بالأحراش والحيوانات الضارية . ويوجد في تلك البلاد الأفاعي الضخمة والأسود والفيلة والدببة والصلال والحمر القرناء ، والناس الذين رؤوسهم رؤوس كلاب والذين لا رؤوس لهم وعيونهم في صدورهم – كما يقول الليبيون – والرجال المتوحشون والنساء المتوحشات (١) فضلاً عن مخلوقات أخرى ليست خرافية .

فقرة ١٩٢ لكن لا يوجد شيء من ذلك في بلاد البدو الرعاة ، على أن هناك أنواعاً أخرى من الحيوان ، مثل التياتل البيضاء الكفل ، والظباء ، وبقر الوحش ، والحمر ، وهي ليست الحمر القرناء بل تلك المسماة (الحمر التي لا تشرب) لأنها فعلاً لا تشرب أبداً ، والمها ، وهي التي يصنع من قرونها جوانب اللورة ، والثعالب ، والضباع ، والقنافذ ، والكباش البرية ، وأبناء آوى ، والنمور الرقطاء ، والديكتوس والبوروس (٢) ، وتماسيح البر التي طولها ثلاثة أذرع وهي أشبه ما تكون بالسحالي ، ثم النعام ، والأفاعي الصغيرة الوحيدة القرن .

تنوع الحيوانات في ليبيا

---

(١) انظر : ديودوروس الصقلي . الكتاب الثالث . فقرة ٥٢ وما بعدها .

(٢) The Dictys and Borys نوعان من الحيوان غير معروفين وإن كان هناك غزال افريقي صغير يسمى Dik - dik .

كل هذه الحيوانات موجودة هناك ، إلى جانب تلك التي توجد في أماكن أخرى ، فيما عدا الغزال والخنزير البري فقط ، إذ ليس هناك من هذين النوعين شيء في ليبيا . وتوجد في هذه البلاد ثلاثة أنواع من الفئران وهي : الفئران ذات القدمين [1] وازيجيريبس (وهذه كلمة ليبية تفيد في لغتنا : التلال) ثم الفئران الخشنة الشعر – كما تسمى – وتوجد أيضاً في اقليم السلفيوم ابناء عرس وهي تشبه كثيراً أبناء عــرس طرطسوس [2] . وعلى قدر علمنا – نتيجة لما بذلناه من أقصى الجهد في البحث – يتبين أن الحيوانات المتوحشة في بلاد البدو الرعاة كثيرة جداً [3] .

---

(1) يعني الجرابيع .

(2) Tartessus في اسبانيا .

(3) أورد الفيلسوف اليوناني الأشهر (ارسطو) بعض حديث حيوانات ليبيا في كتابه Historia Animalium وهو يذكر – في حديثه عن الأفاعي – انه (في ليبيا – طبقاً لجميع الروايات – يكون طول الأفاعي شيئاً مرعباً . وينسج البحارة قصة بهذا الخصوص مؤداها أن بعضهم هبط إلى الساحل ذات مرة فرأوا عظام عدد من الثيران ، وأنهم تأكدوا من أن الأفاعي هي التي التهمتها ؛ اذ بينما كانوا يبحرون جاءت تطارد زوارقهم مسرعة وقلبت أحد الزوارق وقضت على بحارته) . وهو يضيف (وكقاعدة عامة فان الحيوانات المفترسة أشد ما تكون وحشية في آسيا وجرأة في أروبا وتنوعاً في ليبيا . والواقع ان هناك قولاً مأثوراً هو : من ليبيا يأتي دائماً شيء جديد !)606B.9-20. ويقول أرسطو : (ويوجد الصل في ليبيا ، ومن جسده يعمل عقار يدعى « العفن Septic وهو الترياق الوحيد المعروف لعضة الصل . وكذلك يوجد وسط السلفيوم حية يقال إن حجراً ما ينفع لعضتها ؛ وهو حجر يؤتى به من قبر ملك قديم حيث يوضع الحجر في الماء ويشرب) وهو يذكر أنه =

فقرة ١٩٣ الزاوكس ويلي موطنَ الماكسوس الليبيين موطنُ (الزاوكس) [1] وهم الذين تقود نساؤهم عرباتهم الى الحرب .

فقرة ١٩٤ ويلي موطنَ هؤلاء موطنُ (الغوزانتس) [2] حيث يَنتج

= (لا يوجد في جميع انحاء ليبيا الخنزير البرّي ولا الأيل ولا الماعز البري) لكن (يوجد فيها الكبش الطويل القرنين الذي يولد بهما ، وليس الكبش فقط – كما يقول هوميروس – بل النعجة أيضاً) . ويشير أرسطو إلى عجائب حيوانات ليبيا فيذكر أن حشرة زيز الحصاد (بوزنان) توجد بكثرة حول قورينا لكثرة أشجار الزيتون هناك كما يتزاوج في قورينا الذئب وأنثى الكلب (أو الثعلب) وينتج هذا التزاوج ، وقد تحدث عن البجع المغني في ليبيا الذي يقاوم النسور ويغلبها ، فإذا ما اقترب منه الموت طار إلى البحر وألقى بنفسه فيه وهو يغني (وقد لاقى بعض البحارة على ساحل ليبيا هذا البجع وهو يغني لحناً حزيناً ويلقي بنفسه في البحر ميتاً) .

(1) Zaueces في شرق تونس وقد كان استعمال العربات الحربية معروفاً عند الاسبوستاي والغايتولي والقرامنتس . بل ان اليونان عرفوا استعمال العربات الحربية التي تجرها اربعة خيول من الليبيين . قارن : هيرودوتس . الكتاب الرابع فقرة ١٨٩ .

(2) Gyzantes وقد وضعهم سكيلاكس الى الجنوب مما حدده هيرودوتس (انظر Bates صفحة ٥٤) وأود أن اشير هنا الى ان اشتهار الغوزانتس بتربية النحل وعمل العسل الصناعي ربما كان ذا علاقة بما يرويه ديودوروس الصقلي (الكتاب الرابع فقرة ٥١) عن ان ارستايوس ابن قورينا من ابوللو هو اول من علم الناس استخراج العسل من النحل وعمل الجبن من اللبن وزراعة شجر الزيتون ، وهو ما تعلمه من مربياته الحوريات اللاتي أودع ابوللو ابنه لديهن في ليبيا .

الغوزانتس

النحل عسلاً كثيراً والصناع المهرة أكثر من ذلك (كما يقال) [1] . ومن المؤكد أنهم جميعاً يطلون أجسامهم بالقرمز ويأكلون القردة التي تتوافر بكثرة في جبالهم .

فقرة ١٩٥

جزيرة كوراويس

وغير بعيد عن ساحلهم (على حد قول القرطاجنيين) توجد جزيرة تدعى (كوراويس) طولها خمسة وعشرون ميلاً وضيقة العرض ، ويمكن بلوغها من البر خوضاً . وهي ملأى بأشجار الزيتون وكروم الأعناب . ويقال ان في هذه الجزيرة بحيرة تستخرج فتيات البلاد التبر من طينها بريش مدهون بالقار . ولا أعرف ما إذا كان هذا صحيحاً أم لا ، فأنا أكتب ما يقال . ومع ذلك فان كل شيء ممكن ، إذ رأيت أنا نفسي القار يستخرج من ماء بركة في(زاكونتوس)[2] . ذلك أن البرك هناك كثيرة أعظمها تبلغ سبعين قدماً طولاً وعرضاً وقامتين عمقاً . وهم يدلون في هذه البركة قضيباً مع غصن آس مثبت في طرفه ، ثم يخرجون القار الذي على الآس . وهو ذو رائحة كالاسفلت وأفضل — من حيث باقي خواصه — من قار (بييريا) [3] — ثم يصبونه في حفرة

(١) راجع الكتاب السابع فقرة ٣١ — حيث يذكر ان الناس يستخرجون العسل من القمح ونبات الطرفاء (وهو شجر أصناف منه الأثل) وهو يعني العسل الصناعي .

(٢) Zacynthus جزيرة في البحر الأيوني تدعى الآن زنته Zente . استعمرها البيلوبونيز أولاً ثم شكلت جزءاً من امبراطورية أثينا.

(٣) Pieria مدينة في آسيا الصغرى سميت باسم نبيلة تزوجها ابن ملك ملطية بمباركة افروديت . قارن كاليماكوس القوريني ، « الأسباب Aetia » سلسلةLoeb ترجمة وتعليق C. A. Trypanis.

حفروها بقرب البركة . وعندما يجمعون قدراً كبيراً في الحفرة يملأون منها أوعيتهم . وأي شيء يقع في البركة يحمله تيار تحت الأرض ويظهر ثانية في البحر الذي يبعد أربعة فراسخ تقريباً عن البركة . وهكذا تكون اذن كالحقيقة تلك القصة الخاصة بالجزيرة القريبة من الساحل الليبي .

فقرة ١٩٦

وتحكى قصة أخرى كذلك على لسان القرطاجنيين . فهم يقولون : ان هناك مكاناً في ليبيا ، حيث يعيش قوم خلف أعمدة هرقل ، وإليه يأتون ويفرغون بضائعهم . وبعد وضعها بنظام على الشاطىء يذهبون الى ظهور سفنهم ويوقدون ناراً ذات دخان ؛ فيرى الأهالي الدخان . وعند مجيئهم الى البحر يضعون على الأرض ذهباً ثمناً للبضائع وينسحبون بعيداً عنها .

القرطاجنيون يتاجرون مع الليبيين

ثم يهبط القرطاجنيون الى البحر ويتأملون الذهب ، فإن بدا لهم ثمناً عادلاً أخذوه ومضوا في سبيلهم ، وإن لم يكن كذلك ذهبوا ثانية الى ظهور سفنهم ينتظرون ، ويعود الأهالي ويزيدون الذهب حتى يرضى رجال السفينة . وفي هذه العملية (كما يقال) لا يخدع أي فريق منهما الآخر ؛ فان القرطاجنيين لا يأخذون الذهب حتى يعادل قيمة سلعتهم ، كما أن الأهالي لا يمسون البضائع حتى يأخذ رجال السفينة ذهبهم .

فقرة ١٩٧

هؤلاء هم كل الليبيين الذين نستطيع تسميتهم . أما بالنسبة لملوكهم فإن القسم الأكبر لم يكن يبالي بملك الميديين [1] في

(١) Medes هم أهل البلاد الجبلية جنوب غرب بحر قزوين . وكانت=

في ليبيا شعبان أصيل ودخيل

الوقت الذي أكتب عنه ، كما لا يبالون به الآن . واني لأضيف الى ما ذكرته عن هذه البلاد أنه بقدر ما تسعفنا معلوماتنا تعيش هنا أربع أمم لا أكثر ، اثنتان منهما أصليتان واثنتان غير أصليتين . فالليبيون في الشمال والأثيوبيون في جنوب ليبيا أصليون ، أما الفينيقيون والإغريق فانهم استقروا فيها فيما بعد .

فقرة ١٩٨

وفي ظني أنه ليس هناك جزء من ليبيا ذو ميزة عظيمة تؤهله لأن يقارن بآسيا أو أوروبا فيما خلا المنطقة التي تدعى بنفس اسم نهرها (كينوبس) (١) . فان هذه المنطقة نظيرة لأخصب أراضي

=(ميديا) عاصمة الامبراطورية الميدية. وقد انضووا على يد قورش الاكبر – ملك فارس – تحت لواء فارس واصبحوا من محاربيها .

(١) Cinyps هو وادي كعام الآن ، غربي مدينة زليتن بخمسة عشر كيلومترا .
ولعل كلمة (كعام) محرفة عن (كينوبس) هذه . وقد اشتهرت هذه المنطقة بخصبها حتى كانت هدفاً لدوريوس Dorius حينما تجاهله الاسبرطيون ولم يتخذوه ملكاً لهم . فذهب الى ليبيا واستقر عند نهر « كينوب » « أفضل جزء في ليبيا » ليتخذ مستعمرة هناك مثلما فعل أهل ثيرا في قورينا من قبل . غير ان الليبيين والقرطاجنيين اتحدوا ضده وطردوه من هناك ، فعاد الى جزر البولوبونيز . (انظر : هيرودوتس : الكتاب الخامس – فقرة ٤٢) .
ولمارتيال (الشاعر الروماني ٤٠ – ١٠٤ ب . م .) قصائد يتغنى فيها بخصب كينوبس ويشير الى تميز ماعزه بطول الشعر . ويشيد بالثياب المصنوعة من هذا الشعر وهي التي تدعى Cilicium .
ويقول مارتيال في قصيدة له : « خذ ثلاث حفنات من مزرعة ليبية =

القمح في العالم ، وتختلف تماماً عن بقية ليبيا ، اذ ان التربة فيها سوداء وتمدها الينابيع بمياه وفيرة ، ولا تخشى الجفاف ،

الحديث عن نهر كينوبس (كعام)

كما لا تضار من شآبيب الأمطار الغزيرة (فهذا الجزء من ليبيا مطير) . وان محصولها من القمح لهو بنفس معدل محصول أرض (بابل) (١) كما أن الأرض التي يسكنها (اليوهسبيرتاي) (٢) جيدة كذلك ، فهي تغل على الأكثر مائة ضعف . لكن أرض كينوبس تغل ثلاثمائة ضعف .

فقرة ١٩٩

ويتمتع اقليم قورينا – وهو أعلى جزء من ليبيا التي يسكنها البدو الرعاة – بنعمة رائعة وهو ان له ثلاثة مواسم للحصاد، فأولاً تكون ثمار الأرض على ساحل البحر قد نضجت للحصاد والقطاف، وعندما تجمع هذه الحاصلات تكون

ثلاثة مواسم للحصاد في قورينا

حاصلات المنطقة الوسطى أعلى الساحل ، تلك التي يدعونها التلال ، يانعة للجمع . وما إن يجمع نتاج البلاد الوسطى حتى تكون حاصلات المنطقة العليا ناضجة . ولذلك فان آخر ثمار الأرض تفد حين تكون أولاها قد استنفدت في الطعام والشراب . وهكذا فان الحصاد عند القورينيين يدوم ثمانية شهور . وحسبنا هذا عن هذه الأمور (٣) .

=فتزدهر بها ارضك القاحلة » مشيراً الى اشتهار ليبيا بمحاصيلها الوافرة
« راجع مارتيال – VII. X CV«XIII . XIL ' XIV . CXL
وقارن : فرجيل Geog. III. 312

(١) كانت ارض بابل حول دجلة والفرات مشهورة بقمحها الوفير .

(٢) Euhespiritae بنغازي وما حولها .

(٣) الى هنا ينتهي حديث هيرودوتس عن القبائل الليبية وطبيعة أرضها =

فقرة ٢٠٠

وعندما وصل الفرس ، الذين أرسلهم ارياندس من مصر لينتقموا لفريتيمي الى برقة (المرج) ضربوا حصاراً حول المدينة طالبين تسليم أولئك الذين قتلوا اركسيلاوس . لكن البرقيين – وقد كانوا جميعاً شركاء في هذه الفعلة – لم يستجيبوا لهذا الطلب . وعندئذ حاصر الفرس برقة تسعة شهور ، وحفروا أنفاقاً تحت الأرض تقود الى الأسوار ، وقاموا بهجمات عنيفة عليها .

العودة الى الحملة الفارسية

أهل برقة «المرج»يكتشفون الأنفاق

أما الأنفاق فان حدّاداً اكتشفها عن طريق درع نحاسي ، وإليك كيف تم له ذلك . فقد كان يسير حاملاً الدرع بجانب الواجهة الداخلية للأسوار وأخذ يدق به أرض المدينة ، وحيثما وجدت الأنفاق كان صوت ارتطام النحاس بالأرض جلياً واضحاً . أما في الأماكن الأخرى فان الصوت كان يأتي مكتوماً . فحفر البرقيون عند كل نفق نفقاً مقابلاً ، وقتلوا أولئك الفرس الذين كانوا يحفرون الأرض . هكذا اكتشفت الأنفاق وصدت الغارات على أيدي رجال المدينة .

فقرة ٢٠١

احمس يأخذ برقة بالخديعة

وعندما انقضى وقت طويل ، وقتل الكثيرون من كلا الجانبين (ولم يكن عدد قتلى الفرس أقل من عدد قتلى أعدائهم) دبر أماسيس – قائد الجيش البري – خدعةً ، لعلمه أن برقة لا يمكن أن تؤخذ عنوةً بل قد تنال بالخدعة .

=ويعود ليصل ما انقطع من حديثه عن حملة آرياندس الفارسي على برقة وما جرى فيها .

فحفر في الليل خندقاً واسعاً ووضع عبره ألواحاً رقيقة من الخشب ، ثم غطاها بطبقة من التراب في مستوى ما حولها من الأرض . وعندما طلع النهار دعا البرقيين للتباحث معه ، فسارعوا الى قبول الدعوى . وأخيراً وافق الجميع على شروط للسلم وقد تم ذلك هكذا : بينما كان الرجال من الطرفين يقفون على الخندق الخفي تبادلوا عهداً مصحوباً بقسم باحترام معاهدة الصلح طالما ظلت الأرض التي يقفون فوقها على حالها . وكانت المعاهدة تنص على أن يدفع البرقيون مبلغاً معيناً للملك ، وعلى أن لا يُلحق الفرس بالبرقيين أي أذى . ولم يخامر البرقيين أي ريب بعد عقد الاتفاق والقسم على احترامه ، ففتحوا أبواب مدينتهم كلها وخرجوا منها وسمحوا لمن شاء من أعدائهم ، الذين طالما تحرقوا شوقاً الى اختراق الأسوار ، بدخولها . لكن الفرس كسروا الجسر الخفي وهرعوا الى داخل المدينة . وهم كسروا الجسر الذي صنعوه ليكون في وسعهم عندئذ احترام اليمين التي أقسموها للبرقيين ، وكان فحواها احترام هذه المعاهدة طالما بقيت الأرض كما هي عليه ، فاذا ما كسروا الجسر فان المعاهدة لم تعد قائمة .

فقرة ٢٠٢

انتقام فريتيمي

وقد أخذت فريتيمي أكثر البرقيين اتصالاً بالجريمة ، عندما سلمهم إليها الفرس ، وقضت بخوزقتهم ووضعهم فوق الأسوار على طول امتدادها ، كما قضت بقطع أثداء نسائهم ونثرها كذلك على قمة الأسوار . وقد طلبت فريتيمي الى الفرس أن يأخذوا كل من بقي بعد ذلك من البرقيين غنيمة

لهم ، فيما عدا من كان هناك من أسرة باتوس ولم يشاركوا في جريمة القتل ، وعهد الى هؤلاء بحكم المدينة .

فقرة ٢٠٣ وهكذا استرقّ الفرس بقية البرقيين ورحلوا الى بلادهم . وحينما ظهروا أمام مدينة قورينا سمح لهم القورينيون بالمرور عبر مدينتهم كي تتحقق نبوءة معينة . وبينما كان الجيش ماراً كان بادريس – أمير الأسطول – يرى أخذ المدينة لكن أماسيس – قائد الجيش البري – لم يوافق ، قائلاً إنه أرسل ضد برقة وليس ضد أية مدينة إغريقية أخرى [١] . وأخيراً عبروا قورينا ، وعسكروا على تل (زيوس لوكايوس) [٢] . وهناك ندموا على أنهم لم يأخذوا المدينة ، وحاولوا دخولها ثانية غير أن القورينيين لم يسمحوا لهم بذلك . وعندئذ استولى الرعب على الفرس رغم أن أحداً لم يهاجمهم ، وهربوا الى مكان يبعد ستين فرسخاً وعسكروا فيه . وبينما كانوا هناك لم يلبث أن جاء الى المعسكر رسول من أرياندس يأمرهم بالرجوع . وطلب الفرس من القورينيين مؤناً لمسيرتهم وحصلوا عليها ، فارتحلوا ذاهبين الى مصر . لكنهم بعد ذلك وقعوا في أيدي الليبيين ، فقتلوا المتمهلين

الفرس يدمرون برقة والليبيون الشرقيون ينتقمون

(١) لعل لهذه المعارضة من قبل اماسيس في احتلال قورينا صلة بثورته على فرعون مصر أبرييس (خفرع) الذي ينحدر من أصل ليبي ، ثم بزواجه من (لاديكي) السيدة القورينية اليونانية بعد ذلك .

(٢) Zeus Lycaeus وهو تل شمال شرق قورينا ، و كلمة Lycaeus هي أحد ألقاب أبولو وتعني باليونانية الحامي من الذئاب .

والمتخلفين عن الجيش من أجل ثيابهم وممتلكاتهم ، حتّى بلغوا مصر أخيراً .

فقرة ٢٠٤ وقد تقدمت هذه الحملة الفارسية الى (يوهسبريداي) [١] في ليبيا وليس أبعد من ذلك . أما بالنسبة للبرقيين الذين أخذهم الفرس عبيداً فانهم ،وقد نفوهم ، أتوا بهم من مصر الى الملك دارا الذي أعطاهم بلدة في (باكتريا) [٢] ، ليعيشوا فيها ، فأطلقوا على هذه البلدة اسم (برقة) وظلت مكاناً آهلاً حتّى يومي هذا .

برقة جديدة في أقاصي فارس

فقرة ٢٠٥ لكن الحال تعسرت بفريتيمي أيضاً ، ولم تكن نهاية حياتها طيبة ، إذ إنها ما لبثت – بعد أن انتقمت لنفسها من البرقيين وعادت الى مصر – أن ماتت ميتة شنيعة بعد أن تقيح جسمها الحي وأخذ ينتج ديداناً . ويبدو أن الآلهة تغضب غضباً شديداً من الانتقام الإنساني البالغ العنف وعلى هذا النحو ، وإلى هذا المدى ، كان الانتقام الذي أنزلته بأهل برقة فريتيمي ابنةُ باتوس !

نهاية فريتيمي

(٢) Euhespiridae بنغازي الآن .

(٣) Bactria مقاطعة في اقصى الامبراطورية الفارسية شرقاً ، غزاها الاسكندر الأكبر المقدوني وعرفها العرب باسم (بلخ) فيما بعد . وقد اشتهرت بثرائها وازدهارها الذي كان سببه موقعها على طريق ذهب سيبيريا وعلى الطريق الرئيسي للتجارة بين الشرق والغرب.

نُصُوصٌ مِن سترابو

هو – في الحق – فلسفة للجغرافيا ؛ ذلك لما يحويه من بحوث في اتصال الفلسفة بهذا العلم ولما يبثه فيه من آراء في السياسة والتاريخ والجندية وارتباطها بالجغرافيا .

ويبدو أن سترابو لم يرَ الكثير من العالم المعروف يومذاك ، وانما اعتمد على النقل والاقتباس وتسجيل ملاحظاته بعينه الفاحصة الناقدة . ومن المدهش حقاً أن مؤلفه كان أكثر شهرة في الشرق منه في الغرب ، حتى أن « بليني » لم يشر إليه .

وقد اعتمدت في نقل ما سجله سترابو عن ليبيا على ترجمة « هوراس ليونارد جونس » H.L.Jones الانجليزية عن اليونانية التي نشرتها سلسلة « لويب » طبعة ١٩٥٩ م .

الكتاب السابع عشر

الفصل الثالث

فقرة ١٩

من قرطاجنة إلى رأس مصراتة

وعلى طول الساحل الممتد من قرطاجنة إلى (كيفالاي) [١] وإلى أرض (المساسيلي) [٢] تقع بلاد الليبيين الفينيقيين الممتدة إلى بلاد (الغايتولي) [٣] الجبلية حيث تبدأ ليبيا [٤] . والأرض التي تعلو (الغايتولى) هي أرض (القرمنت) الواقعة بازاء الأولى ، وهي الأرض التي يؤتى منها بالحجر القرطاجني [٥] . ويقال ان القرمنت بعيدون عن الأثيوبيين الذين يعيشون على شاطىء المحيط ، على بعد رحلة تسعة أو عشرة أيام وعلى بعد خمسة عشر يوماً من (آمون) [٦] . وبين (الغايتولى) وشواطىء بحرنا [٧] يوجد ثمة سهول عديدة وجبال كثيرة أيضاً وبحيرات

---

(١) Cephalae تعني « الرؤوس » – والمقصود رأس مصراته .

(٢) Masaesylians بطن من قبيلة الغايتولي .

(٣) Gaetulians أنظر : بليني – الكتاب الخامس – فقرة ٨ .

(٤) يعني ليبيا الحقيقية بمفهوم سترابو وهي أفريقيا المعروفة آنذاك ، متميزة عن ليبيا الفينيقية .

(٥) أنظر : سترابو – 11 .3 .17 وبليني : 30 - 25 .37 .

(٦) Ammon واحة سيوة .

(٧) البحر الابيض المتوسط (بحر الروم).

واسعة وأنهار يختفي بعضها في جوف الأرض بحيث لا يرى .

نمط حياة السكان

والسكان هنا على بساطة متناهية في أنماط حياتهم وثيابهم ، غير أن للرجال زوجات كثيرات وأولاداً كثيرين ، وهم في جوانب معيشتهم كالعرب الرحل .

وخيول كلا الفريقين وأبقارهم ذات رقاب أطول من سواها في البلاد الأخرى . ويمارس ملوكهم تربية الخيول بشغف لا نظير له ، حتى أن عدد الأمهار ليبلغ كل عام مائة ألف مهر . وتربى الأغنام من أجل ألبانها ولحومها وبخاصة في المنطقة القريبة من أثيوبيا [١] . كذا هو تقديري للمنطقة الداخلية .

فقرة ٢٠

خليج سرت العظمى

لسرت العظمى محيط يبلغ ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثين فرسخاً ، وقطر يبلغ – في تجويفه الأقصى – ألفاً وخمسمائة فرسخ . والصعوبة في سرت هذه ، وفي سرت الصغرى ، تكمن في أن مياهها العميقة تحتوي في مواقع كثيرة على ضحاضح [٢] . وتكون النتيجة أن يقع البحارة ، في أثناء المدّ والجزر ، في هذه الضحاضح وينغرزون هناك ، وأن نجاة السفن نادرة . وعلى هذا فإن البحارة يحفظون مسافة بينهم وبين الساحل حين يبحرون بحذائه متحوّطين لكيلا يؤخذوا على غرة وتدفعهم الرياح في هذه الخلجان . وعلى كل

(١) Aethiopia وليس المقصود مايسمى الحبشة الآن ، بل ما نسميه (السوادين) .

(٢) مناطق ضحلة غير عميقة . قارن : بليني – الكتاب الخامس فقرة ٤ .

حال فان طبيعة الانسان ركوب الأخطار تدفعه لتجريب أي شيء في الوجود وبخاصة الإبحار بحذاء الساحل .

وحين يبحر المرء في سرت العظمى ، على اليمين ، هناك بعد أن يتجاوز (كيفالاي) فانه يأتي إلى بحيرة طولها حوالي ثلاثمائة فرسخ وعرضها حوالي سبعين فرسخاً . وهي تصب في الخليج وتحتوي على جزر صغيرة ومرسى في مصبها . ويصل بعد المرفأ الى مكان يدعى (آسبيس) [١] ، والى أفضل مرفأ في سرت العظمى .

التهريب بين قورينا وقرطاجنة

واستمراراً لهذا نجد (برج يوفرانتاس) الحد الفاصل بين بلاد القرطاجنيين السابقة والبلاد القورينية كما كانت تحت حكم بطليموس [٢] . ثم يأتي إلى مكان آخر يدعى (كاركس) ، وهو الذي استخدمه القرطاجنيون كميناء تجاري ؛ فكانوا يحملون إليه الخمر ويتسلمون في مقابلها أحمال السلفيوم من التجار الذين كانوا يحضرونه إليهم خفية من قورينا . ثم تأتي بعد ذلك إلى نصب الأخوين فيلايني ، وبعد ذلك الى (أوتومالا) – وهو حصن ذو حامية يقع في

(١) Aspis وتعني « الدرع » .

(٢) أنظر : 17.1.5 – حيث يتحدث ستّرابو عن حدود مصر فيقول : إن الكتّاب الأقدمين كانوا يطلقون اسم مصر Aegypt على شريط نهر النيل من أسوان حتى البحر الابيض المتوسط ليس غير ، ثم ضم اليها المنطقة بين النيل والبحر الاحمر من جهة الشرق والواحات إلى قورينا من جهة الغرب . وفي عهد بطليموس الاول (سوتر) الذي حكم مابين عامي ٣٢٣ – ٢٨٥ ق. م. وحدّت قورينا مع مصر ، حتى جاء الرومان ففصلوا قورينا وجعلوها دولة حليفة Civatas foederata عام ٩٥ ق. م. وصيروها عام ٨٨ ق. م. مقاطعة رومانية ، ثم وحدوها في مقاطعة واحدة مع كريت .

أقصى عمق الخليج برمته . وخط العرض المار بهذا الخليج هو أمعن قليلاً إلى الجنوب من ذلك الذي يمر بالاسكندرية بألف فرسخ ، ومن ذلك الذي يمر بقرطاجنة بأقل من ألفي فرسخ . غير أنه يتطابق مع خط العرض الذي يمر بمهرنوبوليس الواقعة في أقصى عمق الخليج العربي (١) والذي يمر بداخل بلاد (المساسولي) والموريسيين وبقية الساحل من هنا إلى مدينة (برنيكي) طوله ألف وخمسمائة فرسخ .

بلاد النسامونيين

أما الأراضي الداخلية أعلى هذا الشريط الساحلي والممتدة أيضاً حتى نصب الأخوين فيلايني فهي بلاد النسامونيين كما يدعون . وهم قبيلة ليبية . وهناك، على كل حال، رعن (٢) يسمى (بسيدوبيناس) هو الذي تقع عليه (برنيكي) ،قرب بحيرة تدعى (تريتونياس) (٣) أهم ما فيها جزيرة عليها معبد أفروديت . وفي هذه المنطقة هناك أيضا ميناء (٤) (هسبريديس). وقدما في الداخل بعد برنيكي يقع رعن صغير يسمى (بوريوم) — وهو الذي يشكل مع كيفالاي فم خليج سرت .

حملة كاتو

وتقع برنيكي مقابلة لرؤوس (البيلوبونيز) في مواجهة (اخثوس) كما تدعى ، وأيضاً في مواجهة (زيكونثوس) حيث تبلغ المسافة ثلاثة آلاف وستمائة فرسخ . وقد خرج «ماركوس كاتو» من هذه المدينة وارتحل دائراً حول خليج سرت براً في خلال ثلاثين يوماً (٥) ، وهو يقود جيشاً قوامه

---

(١) يعني البحر الاحمر .
(٢) لسان أو جزء من الأرض داخل في البحر .
(٣) Tritonias = Tritonis
(٤) يصلح البعض « ميناء » إلى « بحيرة » .
(٥) في مسيرته عام ٤٧ ق. م ليلحق بمتيلّوس سكيبيو M. Scipio.

أكثر من عشرة آلاف رجل ، مقسماً إياهم إلى فرق بسبب من ندرة مواقع الماء ، وسافر وهو على قدميه في الرمال الغامرة والحرارة اللاهبة .

بعد برنيكي

بعد برنيكي يأتي المرء الى مدينة (توخيرة) التي تسمى أيضاً (أرسنوي) . ثم إلى مدينة كانت تدعى فيما سبق (باركي) أما الآن فهي تسمى (بتوليمايس) (١) ، ثم إلى (لسان فوكوس)(٢) المنخفض والخارج أكثر نحو الشمال اذا قورن ببقية الساحل الليبي . وهو يقع مقابلاً (لتاريناروم) في (لاكوينا) . وتبلغ المسافة ألفين وثمانمائة فرسخ . وهناك أيضاً بلدة صغيرة تحمل الاسم ذاته الذي يطلق على اللسان .

وغير بعيد من فوكوس توجد قاعدة القورينيين البحرية (أبولونيا) على بعد حوالى مائة وسبعين فرسخاً من فوكوس وألف فرسخ من برنيكي وثمانين فرسخاً من قورينا — مدينة كبيرة في سهل شبه معين ، كما بدت لي من البحر .

فقرة ٢١ من تاريخ قورينا

أنشئت قورينا على يد المستوطنين من (ثيرا) (٣) ، وهي جزيرة لاكونية كانت تسمى في غابر الأيام (كاليستي) كما يقول كاليماخوس : « كاليستي كان اسمها أولاً ، لكن اسمها أخيراً كان ثيرا ، أمّ أرض آبائي . شهيرة بجيادها الصافنات». وتقع القاعدة البحرية للقورنيين في مواجهة لسان كريت

---

(١) هنا يخلط سترابو بين مدينة برقة (المرج) وميناءها (طلميثة) .
(٢) Phycus رأس سم الحالية . قارن : بليني — الكتاب ٥ فقرة ٥ .
(٣) راجع : هيرودوتس ، الكتاب الرابع — فقرة ١٥٠ وما بعدها .

الشرقية (كريوميتوبوم) حيث تبلغ المسافة ألفي فرسخ. ويقام بالرحلة اعتماداً على الريح الجنوبية[١]. ويقال: إن قورينا أنشئت على يد باتوس ويزعم كاليماخوس أن باتوس كان جده.
وقد نمت قورينا بسبب خصوبة أرضها، فهي أرض جيدة جداً لتربية الخيول، وهي تنتج فاكهة رائعة. وكان بها رجال كثيرون ذوو احترام وقدرة على الدفاع عن حريتها بطريقة تستحق الاكبار، وعلى مقاومة البرابرة [٢] الذين كانوا يعيشون أعلاهم بقوة. وقد كانت هذه المدينة في العصور السالفة مستقلة، ثم نمت قوة المقدونيين الذين ملكوا مصر وهاجموا القورينيين بقيادة «ثيبرون» ورفاقه الذين قتلوا «ربولوس». وبعد أن حكمها البطالمة [٣] لفترة من الزمان صارت المدينة تحت سلطان الرومان. وهي الآن مع كريت تضمها مقاطعة

---

(١) Leoconotus

(٢) Barberians وكان اليونان – وتبعهم في ذلك الرومان قبل انهيار امبراطوريتهم – يطلقون هذا التعبير على كل من عداهم من الشعوب التي لا تتكلم لغتهم. ومن المناسب هنا أن نـــذكر رأي ايراتوسثنيس القوريني في هذا الامر، ولموقفه دلالة خاصة. اذ يورد سترابو هذا النص: «وقرب نهاية بحثه – بعد أن أضرب عن الثناء على اولئك الذين يقسمون البشر الى جماعتين، أغارقة وبرابرة – وكذلك الذين نصحوا الاسكندر أن يعامل الاغارقة كأصدقاء والبرابرة كأعداء– يمضي ايراتوسثنيس ليقول بأنه من الافضل أن نأتي بهذه التقسيمات طبقاً للخصال الحميدة والخصال السيئة، ليس لأن كثيرين من الاغارقة سيئون فحسب بل لأن كثيرين من البرابرة متمدينون، كالهنود والفرس مثلا، وكذلك الرومان والقرطاجنيين ...»

(٣) الاصل: الملوك Kings.

واحدة. ولكن أبولونيا وباركي وتوخيرا وبرنيكي والبلدان القريبة الأخرى ملحقة بقورينا.

فقرة ٢٢

سبب انقراض السلفيوم

تحد قورينا البلادُ التي تنتج السلفيومَ والعصيرَ القوريني، والأخير ينتج عن السلفيوم عن طريق استخلاص عصارته [١]. غير أنه أوشك على الانقراض حين أغار البرابرة على البلاد بسبب بعض الإحن وقضوا على جذور النبات [٢]. وأهل البلاد بدوٌ رحل.

مشاهير قورينا

والقورينيون الذين اشتهروا كانوا: «أرستبوس» الفيلسوف السقراطي الذي وضع أسس الفلسفة القورينائية، وابنته المسماة «آريتي» التي خلفته على رأس المدرسة، ثم ابنها «أرستبوس» خليفة آريتي، الذي كان يدعى «من علمته أمه» [٣]، «وأنيكرس» الذي عرف بأنه نقّح آراء الفرقة القورينائية

---

(١) راجع: بليني – الكتاب الثالث/ فقرة ٣٢ وما بعدها.

(٢) هذا هو تعليل سترابو لانقراض السلفيوم. واذا كان لما حمله الليبيون من إحن ضد الاغريق والبطالمة والرومان جميعاً هذا الأثر الذي دفعهم لاجتثاث جذور السلفيوم انتقاماً ممن كانوا يستنزفون ثروة بلادهم فهو أمر مقبول كمحاولة لتفسير اختفاء هذا النبات الغامض. وقد يكون للظروف الطبيعية والتغيرات المناخية تأثير في هذا الاختفاء. ومن الممكن مقارنة اختفاء السلفيوم من الجبل الاخضر باختفاء الزعفران من جبل غريان، وقد كان حتى عهد قريب يستنبت بكثرة ويصدر كأفضل زعفران في العالم.
قارن: ليون الافريقي عند حديثه عن جبل غريان.

(٣) Metrodidactis

وأدخل عوضاً عنها آراء الفرقة الأنيكرية ، و«كاليماخوس» كان قورينياً أيضاً ، وكذلك « إيراتوسثنيس » — وكلاهما كرمه الملوك المصريون [١] .

وكان الأول شاعراً وفي الوقت ذاته دارس آداب متحمس . وكان الثاني متفوقاً ليس في هذه الجوانب فحسب بل في الفلسفة والرياضيات كما لم يكن رجل . وفضلاً عن ذلك كان « كارنيادس » الذي هو باجماع الآراء خير فلاسفة الأكاديمية ، « وأبولونيوس كرونوس » أيضاً من قورينا . وكان الأخير أستاذاً «لديودروس الجدلي» الذي لقب « بكرونس » ، فأطلق بعض الأشخاص لقب الأستاذ على التلميذ .

بعد أبولونيا

وبعد أبولونيا يأتي المرء إلى بقية ساحل القورينيين الذي يمتد حتى (كاتابوثموس) [٢] مسافة قدرها ألفان ومائتا فرسخ . وليس الابحار على هذا الساحل يسيراً بالمرة ، اذ ليس هنالك سوى عدد قليل من المرافىء والمراسي والمنازل ومواقع المياه .

ومن جملة الأماكن المعروفة أكثر على طول الساحل : (ناستاثموس) و (زفوريوم) ذات المرسى (وزفوريوم) ثانية ، ولسان (خرونيسوس) الذي به مرفأ . ويقع هذا اللسان مواجهاً (لسوكلوس) في كريت ، والمسافة بينهما ألف وخمسمائة فرسخ إذا كانت الريح جنوبيةً غربية . ثم يأتي بعد ذلك الى

(١) قارن : بليني — الكتاب ٥ / فقرة ٥ و ٦ والتعليق .
(٢) السلوم الآن .

ما يشبه معبد هرقل ، ثم أعلاه إلى قرية تسمى (باليريوس) ثم يأتي من بعد ذلك الى مرفأ (منيلاوس) [١] ، ثم الى (أردونيس) وهي عبارة عن لسان منخفض ذي مرسى . ثم إلى مرفأ متسع يقع مواجهة خرونيسوس في كريت ، وتبلغ مسافة ما يفصل بين المكانين حوالى ألفي فرسخ . ومن الممكن أن أقول تقريباً إن كريت ككل ، لكونها ضيقة ومستطيلة ، تقع في مقابلة هذا الساحل موازية له . وبعد المرفأ المتسع يأتي إلى مرفأ آخر يسمى (بلونوس) ، وتقع أعلاه الأبراج الأربعة غير أن المكان يدعى (كاتابوثموس) . ويصل امتداد قورينا إلى هذا الحد . والجزء الباقي من الساحل ، الممتد من باراتيونيوم [٢] الى الاسكندرية سبق أن ذكرته في حديثي عن مصر .

فقرة ٢٣

القبائل الليبية في داخل البلاد

إن البلاد الواقعة في عمق الداخل أعلى سرت وقورينا — وهي منطقة قاحلة جرداء — يشغلها الليبيون : النسامونيون أولاً ، ثم البسولي وبعدهم بعض الغايتولى ، ثم القرمنت ، ثم — في ناحية الشرق — المارماريداي الذين يتاخمون قورينا وينتشرون حتى آمون . ويقال إن الذين يقطعون المسافة مشياً على الأقدام من نهاية طرف سرت العظمي الجنوبي ، من نواحي أوتومالا تقريباً في اتجاه الجنوب الشرقي ، يصلون أوجلة في اليوم الرابع . وهذه المنطقة تشبه آمون لكونها منتجة للنخيل وبها

(١) ميناء صغير شرق خليج بومبا . قارن : هيرودوتس / فقرة ١٦٩ .
(٢) مرسى مطروح الآن .

وصف هذا الداخل

مياه كثيرة ، وهي تقع أعلى قورينا نحو الجنوب . وهي تنتج أشجاراً لمسافة مائة فرسخ ، لكن الأرض لا تنبت سوى ما يبذر فيها بعد مائة فرسخ ، وهي – بسبب جدبها – لا تنبت الأرز (١) . وأعلى هذه المنطقة توجد البلاد التي تنتج السلفيوم . ثم يأتي المرء إلى البلاد غير المأهولة وإلى بلاد القرمنت . والأرض التي تنتج السلفيوم ضيقة مستطيلة وجدباء بشكل ما . وهي تمتد طولاً ، حين يمضي المرء تقريباً نحو الشرق ، حوالي ألف فرسخ . ويبلغ عرضها ثلاثمائة فرسخ أو أكثر قليلاً ، هذا على الأقل بالنسبة للجزء المعروف ، إذ أنه من الممكن أن نستنتج أن كل الأراضي المتتابعة ، دون أن يفصلها فاصل على خط العرض نفسه ، تتشابه من حيث المناخ والنبات . لكن بما أن عدة صحراوات تقطعها فإننا لا نعرف جميع هذه المناطق . وبالمثل فان المناطق أعلى آمون والواحات حتى أثيوبيا مجهولة هي الأخرى ، كما أننا لا نستطيع أن نحيط بحدود ليبيا أو أثيوبيا ، ولا أن نقرر ما هي بالضبط حدود البلاد ما بعد مصر ، وأقل من هذا نعرفه عن تلك التي يحدها المحيط .

---

(١) في بعض المحفوظات تقرأ « جذور » Roots بدلا من « أرز » Rice وهو الأقرب للصحة .

مُقتطفات مِن سترابو

الكتاب الأول

الفصل الثالث

فقرة ٤

هل كان البحر يغمر الصحراء الليبية ؟

ويضيف إيراتوسثنيس إلى هذا قوله إن هذه القضية (١) على وجه التخصيص أثارت مشكلة هي : كيف يتأتى أن توجد كميات هائلة من القواقع البحرية والصدف والودع البحريين ، بل والملاحات ، في مواطن كثيرة في الداخل على بعد ألفين أو ثلاثة آلاف فرسخ من البحر – مثلاً (ولنقتبس من ايراتوسثنيس) بجوار هيكل آمون وعلى الطريق المؤدية اليه والتي يبلغ طولها ثلاثة آلاف فرسخ ؟

فهو يقول إن في ذلك المكان مستودعاً ضخماً من الأصداف وطبقات من الملح لا تزال توجد هناك ، وفوارات من الماء المالح ترتفع نوعاً ما . وبالاضافة إلى هذا فهم يبينون عن قطع من حطام سفن بحرية قال أهل البلاد إنها ظهرت فجأة من

---

(١) الإشارة هنا إلى نظرية إيراتوسثنيس القوريني عن تأثير الأحداث الجيولوجية كالبراكين والانهيارات ونحوها في تغيير المواقع وطبوغرافية الكرة الأرضية .

خلال بعض الانهيارات الأرضية . وعلى عمد صغيرة رصدت عليها درافيل تحمل النقش التالي : « من سفراء قورينـــا المقدسين » . . .

فقرة ١٥ — وأيضاً ، حين يقول «هيبارخوس » [١] إن النقش على الدرافيل الذي صنعه سفراء قورينا المقدسون ، مزيف ، فهو يقدم سبباً غير مقنع حين يقول انه رغم أن انشاء قورينا يقع في نطاق الأزمنة المؤرخ لها وما من مؤرخ سجل أن الهيكل أقيم على بحر . حسن .. وماذا لو أنه ما من مؤرخ سجل هذه الحقيقة ، مع أن الدرافيل كانت في الواقع قد رصدت والنقش قد حفر بيد سفراء قورينا المقدسين ، طبقاً للدليل الذي نبني عليه ظننا أن المنطقة كانت ذات يوم أرضاً تقع على ساحل البحر ؟ ...

(١) Hipparchus (١٥٠ ق. م.) فلكي وجغرافي شهير ، وأول من وضع نظام تقسيم الكرة الأرضية إلى خطوط الطول وخطوط العرض .

الكتاب الثاني

الفصل الخامس

فقرة ٣٣
وصف ليبيا

— ... وليبيا — كما يبين الآخرون ، وكما أخبرني فعــلا « كنايوس بيسو » الذي كان ذات يوم حاكماً لتلك البلاد — تشبه جلد الفهد ؛ إذ أنها منقّطة بمواطن مأهولة محاطة بأرض صحراء لا ماء فيها .

ويسمي المصريون هذه المواطن العامرة «أواسيس» . لكن رغم أن هذا ما تميزت به ليبيا فان بها خواص أخرى تجعل لها تقسيماً

وتقسيمها

ثلاثيّاً . فأولاً : إن معظم ساحلها المواجه لنا خصب للغاية ، وبخاصة قورينا والبلاد حول قرطاجنة حتّى ماوروسيا وأعمدة هرقل . وثانياً : إن ساحلها الواقع على المحيط ينتج من مقومات الحياة شيئاً وسطاً . وثالثاً : إن المنطقة الداخلية التّي تنبت السلفيوم ، تنتج من الغذاء النزر القليل ، حيث أنها في الجزء الأكبر منها صخرية وصحراء رملية . ويصح الوصف نفسه على امتداد هذه المنطقة في أثيوبيا وأرض التّروغلوديين [١] والجزيرة العربية وجيدروسيا [٢] حيث يعيش أكلة الأسماك .

(١) Troglodytes سكان الكهوف

(٢) Gedrusia بلاد الاخثيوفاجي Ichtheophagi (أكلة الاسماك)

سبب الجهل بليبيا

إن أغلب أهل ليبيا مجهولون لدينا ، لأن كثيراً منها لم تبلغه الجيوش ، ولا زارهم أناس من أمم غريبة عنهم . وفضلاً أن عدداً قليلاً جداً من سكانها القاطنين في داخلها زارنا ، فان ما يخبروننا به ليس موثوقاً به أو كاملاً . وعلى كل حال

شعوب ليبيا

فإن ما يلي مبني على ما يقولون : فهم يسمون أبعد الشعوب نحو الجنوب الأثيوبيين . ويدعون أولئك الذين يعيشون شمال الأثيوبيين — على الجملة — القرمنت ، والفاروسي ، والنيغريتاي . ويسمون أولئك الذين يعيشون شمال النيغريتاي ؛ الغايتولي ، ومن يعيشون قرب البحر أو حتى على ساحله ، بعد مصر حتى قورينا ؛ المارمايداي . بينما يسمون من خلف قورينا وسرت ؛ البسولوي ، والنسامونيس وبعض الغايتولي، ثم الأسبوستاي ، والبوزاكي الذين تبلغ أرضهم حتى قرطاجنة . .

الكتاب السابع عشر

الفصل الأول

فقرة ٣٠

— من (هليوبوليس [١]) ، اذن ، يأتي المرء إلى النيل أعلى الدلتا . فاذا أبحر صُعُداً تسمّى الأجزاء التي عن يمينه ليبيا ، كما تسمّى كذلك الأجزاء حول الاسكندرية وبحيرة مريوط . وعلى هذا فان هليوبوليس تقع في بلاد العرب ، لكن مدينة (كيركيسورا) الواقعة قرب مراصد «ايودوكسوس» [٢] ، تقع في ليبيا . . .

فقرة ٤٤

— ... ويقول البعض انه بالضبط كما أن هناك ضرباً من التنافر [٣] بين البسولي بجوار قورينا والثعابين، فان هذا التنافر موجود بين (التينتوريتاي) والتماسيح ، ولذا لا يخافون منها ، بل انهم ليغطسون في النهر دون خوف ويعبرون فوقها ، رغم أن أحداً غيرهم لا يجرؤ على هذا الفعل ...

(١) مدينة الشمس = عين الشمس الآن .

(٢) Euboxus احد الفلاسفة العلماء يذكره اديوجين اللائرتي في كتابه «حياة الفلاسفة» . ويذكر انه انشأ مرصداً على شاطىء النيل الغربي هل هناك علاقة يا ترى بين اسمه واسم حي «الدقي» المعروف في القاهرة ؟ !

(٣) التنافر الروحي Antipathy والمقصود الحصانة من هذه الحيوانات .

الفصل الثالث

فقرة ٧ ـ والليبيون بوجه عام يرتدون الثياب نفسها ، وهم متشابهون في المظاهر الأخرى جميعها ، مستخدمين الخيول الصغيرة الحجم لكنها سريعة العدو ، وهي مطواعة حتى أنهم يسوسونها بقضيب صغير . وتلبس الخيول أطواقاً من خشب أو شعر يثبت فيها اللجام ، رغم أن بعضها يتبع صاحبه دون أن يقاد ، كالكلاب . ولهؤلاء الناس دروع صغيرة مصنوعة من جلد غير مدبوغ ، ورماح ذات رؤوس عريضة وهم يرتدون عباءة غير ذات نطاق بأطراف فضفاضة ، ويستعملون ـ كما قلت ـ الجلود والأوشحة والدروع ...

ثياب الليبيين وخيولهم

ولكنه هو ذاته [1] يذكر رواية أسوأ كثيراً عن المنطقة ذاتها ، حين يروي قصة بعض الرحل ، أعني اللوتوفاجي ، الذين يجوسون خلال بلد لا ماء فيه ويطعمون اللوتس ، وهو ضرب من النبت والجذر ، فلا يحتاجون إذا أكلوه الى شراب ، وأنهم ينتشرون حتى أعالي قورينا . لكنه يقول أيضاً إن أهل تلك المنطقة يشربون اللبن ويأكلون اللحم أيضاً ، رغم أنهم على خط العرض نفسه . . .

أكلة اللوتس

(١) الإشارة هنا إلى أرتيميدورس الأفسوسي (١٠٠ ق. م.) جغرافي معروف في أثناء نقاشه لبعض آراء إيراتوسثنيس القوريني عن ليبيا .

نصوص من بليني الأكبر

تعريف

بليني الأكبر أو Plinius Secundus عرف (ببليني الأكبر) تمييزاً له عن ابن أخيه الأصغر . وهو مؤلف لاتيني يحتمل أنه ولد في مدينة Novum Comum في غاليا سنة ٢٣م. وقد عمل في الجيش في إفريقيا ورأس فرقة الفرسان سنة ٤٦ م واستقر في روما عام ٥٢م. كما شغل منصب حاكم اقليم في اسبانيا من عام ٦٨ – ٧٢ م ومراكز عليافي عهد فسباسيان ، وقائد اسطول في مسينا في عهد نيتوس . وكان فضوله العلمي وإحساسه بالواجب سبباً في نهاية حياته ، فقد أقلع في أثناء ثورة بركان فيزوف الشهيرة عام ٧٩ م الى هناك ليشاهد ظاهرة البركان وليساعد بعض أصدقائه . فمات اختناقا بالغازات السامة المتصاعدة من البركان .

وكانت مؤلفات بليني قد شهرته بأنه أكثر الناس علماً في عصره. وان كان الزمن لم يبق لنا من هذه المؤلفات ، في التاريخ والتكتيك الحربي واللغة ، سوى كتابه (التاريخ الطبيعي) وهو دائرة معارف فريدة تقع في ١٧ كتاباً في الفلك والزراعة والجغرافيا والمناجم والحيوانات ومختلف موضوعات العلم والفن والتاريخ الطبيعي .

وقد نقلت من هذا المؤلف الفقرات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، من الكتاب

الخامس ، وهي التي تتحدث عن جغرافية بلادنا وطبيعتها وقبائلها وبعض الأحداث التاريخية التي وقعت فيها . ومن الكتاب الثالث عشر الفقرتين ٣٢ ، ٣٣ وهما الخاصتان بشجرة اللوتس والغار اللتين اشتهرت بهما ليبيا قديماً . ونقلت الفقرة ١٥ من الكتاب التاسع عشر والفقرتين ٤٨ – ٤٩ – من الكتاب الثاني والعشرين ، وهما ترويان قصة نبات السلفيوم الشهير بتفصيل كبير .

الكتاب الخامس

فقرة ٤

ينقسم الجون الثالث الى خليجين يصبحان شاسعين بمياه مدّ السرتين [١] الضحلة . والمسافة بين سرت الدنيا — وهي صغرى الاثنتين — وقرطاجنة هي — كما يقول (بولوبيوس)[٢]

---

(١) The Two Syrtes يعني سرت الكبرى (خليج سدرة) وسرت الصغرى (خليج قابس) .

(٢) Polybius آخر أعظم المؤرخين الاغريق (٢٠٥–١٢٥ ق. م) شاهد سقوط قرطاجنة وكورنت في ١٤٦ ق . م . وكان له أثر كبير على الحياة الأدبية الرومانية . ويغطي (تاريخه) الفترة ما بين ٢٢١ – ١٤٦ ق . م أما بالنسبة لقرطاجنة فإن مرحلة جديدة تبدأ في تاريخ البحر الأبيض المتوسط عندما بدأ الفينيقيون يحوّلون محطاتهم التجارية فيه الى مستعمرات واستقرار دائم ؛ فأسسوا قرطاجنة عام ٨١٤ ق. م . ولم تلبث أن اصبحت زعيمة المدن الفينيقية في مقاومة التوسع الإغريقي في صقلية وغرب البحر المتوسط . لا سيما ان صور وصيدا كانتا قد اضعفهما العدوان الآشوري الى حد كبير . ونحن لا نعرف بالضبط ظروف إنشاء المستعمرات الفينيقية في طرابلس ، ولا شك أن تأسيس لبدة وصبْراته وأويا قد حدث في زمن متأخر بالنسبة لتأسيس قرطاجنة وربما كان تحت رعاية قرطاجنة نفسها . (المراجع)

الحديث عن أهم البلدان والمعالم في ليبيا

— ثلاثمائة ميل . وهو يقدر عرضها بمائة ميل ومحيطها بثلاثمائة ميل . غير أن هناك طريقاً لها من البر كذلك يمكن التعرف عليه بملاحظة النجوم عبر صحراء مهجورة تغطيها الرمال وتعج بالحيات. ويلي ذلك غابات ملأى بعدد وفير من الحيوانات المفترسة . وعند التوغل في الداخل هناك مساكن الفيلة المتوحشة ، ثم صحراء شاسعة ، وخلفها قبيلة (القرامنتس) (١) على مسيرة اثني عشر يوماً من أوجلة (٢) . ووراء هؤلاء كانت توجد قبيلة (البسولوي) (٣) ، وخلفهم بحيرة (لونكساما) (٤) تحيط بها الصحراء . وتقع أوجلة ذاتها في الوسط تقريباً على بعد متساوٍ من كلا الجانبين ، من اثيوبيا

(١) أنظر : هيرودوتس — الكتاب الرابع — فقرة ١٨٣ . وقد كان هناك صراع طويل بين القرامنتس والرومان . ولعل أول حملة رومانية كبيرة ضدهم من قبل الرومان كانت بقيادة (بالبوس) Balbus سنة ٢١ ق. م. ويذكرها بليني في كتابه الخامس فقرة ٥ كما سيأتي .

(٢) قارن : هيرودوتس — الكتاب الرابع فقرة ١٧٤ والتعليق .

(٣) Psylii وقد اشتهرت هذه القبيلة بأن سم الأفاعي والعقارب لا يؤثر في افرادها . وكانوا يعرضون الصبي حين ولادته لعضة أفعى ، فإن لم يمت كان هذا دليلا على شرعيته وأنه منهم . وهناك حادثة مشهورة تروى عن اشتهار أفراد قبيلة البسولوي بقدرتهم على شفاء المعضوض والملدوغ ، ويذكر أن أكتافيوس (الامبراطور أغسطس) دعا واحداً منهم لينقذ (كليوباترة) — الملكة المصرية الشهيرة — من نهشة الأفعى التي انتحرت بواسطتها بعد موت حبيبها (انطونيو) غير أنه لم يفلح ؛ فقد فات الأوان . ويعتقد Bates ان الحية كانت بالنسبة لهذه القبيلة طوطماً تعبده .

أنظر : The Eas. Lib. P. 180 .

قارن : هيرودوتس . الكتاب الرابع . فقرة ١٨٣ .

(٤) Lynxama وهي ربما كانت بحيرة تشاد .

التي تمتد غرباً ، ومن الإقليم الواقع بين السرتين . لكن الشريط الساحلي بين السرتين يبلغ مائتين وخمسين ميلاً . وهنا توجد مدينة (أويا) (١) المستقلة ، (ونهر كينوبس) والاقليم المسمى بذاك الاسم ، ومدن (نيابولس) و (تافرا) و (هابروتونم) ولبدة الثانية المسماة (لبدة الكبرى) (٢) ثم تأتي سرت الكبرى ومقياسها ستمائة وخمسة وعشرون ميلاً محيطاً ، وثلاثمائة واثنا عشر ميلاً عرضاً عند المدخل ، حيث يعيش بالقرب منه شعب (الكسيبادس) (٣) . وفي نهاية هذا الجون كان يوجد ذات يوم ساحل « أكلة اللوتس » (٤) وهو الشعب الذي يدعوه البعض « المخرواي » (٥) منتشرين الى

(١) Oeo وهي مدينة طرابلس الغرب الحالية . وقد كانت ثالث (امبوريا) تكمل لبدة وصبراته أو المدن الثلاث Tripolis ثم انصرف الاسم الى أويا وحدها بعد اضمحلال المدينتين الأخريين . والأصل الفينيقي لأويا هو (أويات) بزيادة حرف التاء ، وهو ما يطلقه عليها ابن خرداذبة في كتابه (المسالك والممالك) .

(٢) Leptis magna عند مدينة الخمس الآن. ووجدت صعوبة في التعرف على مدن Neapolis و Taphra و Habrotonum

(٣) Cisippades غرب سرت الصغرى .

(٤) أنظر : هيرودوتس — الكتاب الرابع فقرة ١٧٧ ، والتعليق .

(٥) Machroae وقد يدعون الماخرواس Machroas أو الماخلويس Machlyes ويخلط بليني بينهم وبين (أكلة اللوتس) كما يحدد موطنهم شرقي موقعه الحقيقي بكثير ، وهذا خطأ يخالف ما أتى به هيرودوتس وبطليموس اللذان يضعانهم حول بحيرة تريتونيس (شط الجريد) ومن الممكن الربط بين الماخرواي و (مغراوة) وهي بطن من زناتة كانت تعيش في القرن السابع الميلادي الى الغرب . (انظر : . Eas. Lib. Bates ص ٥٧ — ٥٨ — ٦٤ — ٧١) .

« نصب فيلايني » (١) المكونة من أكوام الرمال . وبعد هؤلاء غير بعيد عن شاطىء البر الأصلي هناك مستنقع واسع يصب فيه نهر « تريتونس » (٢) وهو نفس الاسم الذي يحمله ،

---

(١) كان لا بد من تعيين الحدود على الساحل الليبي بين الاغريق في الشرق والفينيقين أو القرطاجنيين في الغرب وكان القرطاجنيون قد نجحوا في طرد حملة إغريقية عام ٥١٤ ق. م. بغية الاستيطان في طرابلس (وادي كعام) ، هذا الى جانب أن مصالحهم التجارية بدأت تنتشر تدريجياً الى الشرق في خليج سرت . ولم تكن قرطاجنة لتسمح بأي تسلل إغريقي الى مناطق نفوذها في طرابلس ، فأصبح من الواضح إقامة الحدود كبديل وحيد للحرب .

وتروي الاسطورة ان الجانبين اتفقا على ان يجري عدّاءان منهما بحيث تكون الحدود عند ملتقاهما ولكن – لأسباب غير واضحة – وصل الاخوان فيلايني Philaeni الى الطرف الشرقي لخليج سرت قبل وصول العدائين القورينيين . وبنظرة الى الخريطة تتضح استحالة هذا الأمر إلا اذا فرضنا أن عدائي قورينا كانوا يتحركون ببطء شديد اذا كانا قد تركا مدينتهما في نفس الوقت . واتهم القورينيون القرطاجنيين بالغش ، فأصر الأخوان فيلايني على انكار هذه التهمة ، وأبديا استعدادهما لأن يدفنا حيين في المكان الذي وصلا إليه في سبيل اعتماد هذا الموقع حداً فاصلاً بين الطرفين ، وقبل الإغريق . وبالفعل قدم الأخوان نفسيهما ضحية في سبيل قرطاجنة وأقيمت فوق قبريهما ربوتان سميتا (مشهد الاخوين) وهو (القوس) الان . (المراجع) .

(٢) انظر : هيرودوتس – الكتاب الرابع فقرة ١٧٨ – ١٨٠ – والتعليق

ويدعوه كاليماخوس (١) « بحيرة بالاس » (٢) – وهو يعين موقعها على الجانب الأدنى من سرت الصغرى – لكن كتّاباً كثيرين يجعلونها بين السرتين . ويدعى الرأس الذي يغلق على سرت الصغرى « رأس تراجوني » ومن ورائه مقاطعة قورينا.

فقرة ٥ من الأمكنة الشهيرة في مقاطعة قورينا (التي اسمها اليوناني ؛ بلاد المدائن الخمس) هيكل آمون ، وهو على بعد ٤٠٠ ميل من مدينة قورينا ، وينبوع الشمس ، والمدائن الخمس خاصة، برنيكي ، أرسينوي، بتولومايس، أبولونيا ، وقورينا نفسها(٣)

---

(١) Callimachus عالم من أكبر علماء القرن الثالث قبل الميلاد . وشاعر من أشهر شعراء العصر البطلمي ، إن لم يكن أشهرهم على الاطلاق وهو مواطن قوريني ينتسب الى اسرة بانوس . ولد حوالي ٣١٠ ق. م. وتوفي بالاسكندرية حوالي عام ٢٤٠ ق. م. وقد عاش في رعاية بطليموس الثاني وبطليموس الثالث . وتولى امانة مكتبة الاسكندرية . وكتب – في ما يقال – ما لا يقل عن ٨٠٠ كتاب في مختلف فنون المعرفة والادب . وهو كان عالماً طبيعياً وجغرافياً ومؤرخاً وناقداً وشاعراً . وقد نشرت أشعاره التي عثر على بعضها في البردي المصرية عدة مرات بتَرجمات مختلفة وهي تمثل اتجاهاً خاصاً به قاوم الملحمة الهومرية . ووقف في وجه التقليد . ومن أشهر تلاميذه العالم الجغرافي إيراتوسثنيس – القوريني هو الآخر – وارستوفان البيزنطي وابوللونيوس الرودسي . وكانت بينه وبين الأخير معركة ادبية تعد من أشهر وأول معارك النقد الأدبي في العالم وابلغها أثراً .

(٢) Pallas اسم آخر لأثينا .

(٣) Berenice بنغازي ، Arsinoe طوكرة ، Ptolimais طلميثة ، Apollonia سوسة ، وCyrene قورينا .

أشهر معالم قورينا

وتقع برنيق على رأس طرف خليج سرت . وكانت تدعى سابقاً (مدينة سيدات الغرب) (١) المذكورة آنفاً ، إذ غالباً ما تغير أساطير اليونان مواطنها . وأمام المدينة غير بعيد هناك نهر (الليثي) (٢) مع غابة مقدسة معروفة بأنها موقع جنائن سيدات الغرب . وتبعد برنيق ٣٧٥ ميلاً عن لبدة ، كما تبعد أرسينوي ٤٣ ميلاً عن برنيق ، وهي تدعى عموماً (تاوخيرا) (٣) . ثم بتولومايس بعد ٢٢ ميلاً ، وهي التي كان اسمها القديم « برقة » (٤) ، ثم ٤٠ ميلاً عن رأس

---

(١) Hesperedis بنغازي الآن . وهي سميت في عصر البطالمة برنيق Berenice باسم زوجة بطليموس الثاني .

(٢) تعني كلمة Lethe أو Lethon باليونانية النسيان ، أو السلوى . وكان اليونان يعتقدون أن الأرواح لا بد أن تمر بعد وفاة المرء بهذا النهر لتتطهر وتنسى آلامها في الحياة الدنيا لتدخل بعد ذلك العالم السفلي ، أو Hades . وقد لعب نهر النسيان هذا دوراً كبيراً جداً في الأساطير اليونانية منذ عصر هوميروس حتى وقت متأخر من الحضارة اليونانية . وامتد أثره إلى العالم الروماني والعصر الحديث أيضاً . كما هو الحال بالنسبة للغابة المقدسة أو حدائق الهسبيرديس (سيدات الغرب) .

(٣) Tauchira طوكرة . وكانت تسمى في عصر البطالمة Arsinoe زوجة بطليموس الثالث .

(٤) Barce والواقع أن برقة لم يكن اسم بتولومايس القديم . وقد أسست برقة على إثر خلاف أسري بين أركسيلاوس الثاني (القاسي) وبين إخوته ، وازدهرت في برقة ، رغم خلافها مع قورينا ، العلاقات الطيبة مع الأهالي الوطنيين ، وأصبح اقليمهما يدعي (برقايا Barcaia) وكان لا بد لمدينة برقة وهي مدينة داخلية من ميناء لتجارتها ، فكان موقع بتولومايس أحسن المواقع لهذا الغرض ، وهكذا نشأت بتولومايس ميناءً لبرقة (المراجع) .

« فوكو » (١) داخل البحر الكريتي ، على مسافة ٣٥٠ ميلاً من رأس « ماتابان » في « لاكونيا » ، و ٢٥٠ ميلاً من كريت ذاتها . وبعد رأس فوكو تقع قورينا على بعد ١١ ميلاً عن البحر ، ومن رأس فوكو الى مرفأ قورينا ٢٤ ميلاً (٢) ، والى « خرسونيس » (٣) ٨٨ ميلاً . ومن خرسونيس الى « كاتاباتموس » (٤) ٢١٦ ميلاً .

وسكان هذا الساحل هم « المارماريداي » (٥) ، وهم يشغلون كل المنطقة على وجه التقريب من إقليم « باريتونيوم » (٦) حتى سرت الكبرى . وبعد هؤلاء هناك « الأكروكيلس » ثم النسامونس (٧) عند نهاية خليج سرت ، وكان الإغريق

---

(١) Phycus رأس سم الحالية .

(٢) النص : من رأس فوكو إلى أبولونيا .

(٣) Chersunnes رأس الطين الآن .

(٤) Catabathmus السلوم الحالية .

(٥) Marmaridae وقد ظهر اسمهم أول مرة عند (سكيلاكس Scylax) كتب حوالي ٣٢٠ ق.م. وأعطوا اسمهم للاقليم الذي استوطنوه – وهو اقليم مارماريكا أو المرمريق – شرق ليبيا . عبد العليم : دراسات . ص ٧٥ .

ويقول (يوسفوس) في كتابه (الحرب اليهودية) ص ٤٧٣ من طبعة (لويب) في معرض حديثه عن قوة الرومان الذين لم يستطع ان يقهرهم (لا القورينيون أعقاب الإسبرطيين ، ولا المارماريداي ذلك الجنس الممتد على طول الأقاليم المجدبة ، ولا السرتيّون الذين يلقي اسمهم الرعب في القلوب) .

(٦) Paraetonium مرسي مطروح الآن .

(٧) Nasamones قارن: هيرودوتس . الكتاب الثاني . فقرة ٣٢ الكتاب الرابع فقرة ١٧٢ .

يدعونهم (المسامونس) (١) بسبب موطنهم ، إذ إن هذه

سرت وما حولها

الكلمة تعني (في وسط الرمال) .

وتعتبر منطقة قورينا الى عرض ١٥ ميلاً من الساحل صالحةً حتى لنمو الأشجار ، ولكن لا ينمو عند التوغل في الداخل

نباتات قورينا

نفس المسافة إلا الحبوب ، وبعد ذلك – وعلى شريط عرضه ٣٠ ميلاً وطوله ٢٥٠ ميلاً – لا ينمو نبات سوى (السلفيوم).

ونأتي بعد النسامونس الى مساكن (الأسبوتاي) و (المكاي)(٢) ومن ورائهم على مسيرة إثني عشر ميلاً من سرت الكبرى يأتي (الأمانتس) . وهؤلاء محاطون كذلك بالرمال في الناحية

سرت وما بعدها غرباً وجنوباً

الغربية ، ولكنهم مع هذا يجدون الماء دون مشقة على عمق حوالي ثلاثة أقدام ، حينما تستقبل المنطقة فيض ميـاه « موريتانيا » (٣) وهم يبنون مساكنهم من قطع الملح تقطع من جبالهم كالصخر .

ومن هؤلاء – وعلى مسيرة سبعة أيام تقريباً إلى الجنوب – نجد « سكان الكهوف » وهم الذين لا تتعدى صلتنا بهم تجارة

سكان الكهوف

الحجر الكريم المجلوب من إثيوبيا ، وهو ما نسميه نحن

---

(١) Masamones أنظر : بليني . الكتاب الكتاب التاسع عشر . فقرة ١٥ والتعليق .

(٢) Asbytae أو Asbystae و Macae
قارن : هيرودوتس . الكتاب الرابع . فقرة ١٧٠ ، ١٧٥ .

(٣) Mauritania والمقصود المنطقة في شمال غرب أفريقيا ، بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي وجبال أطلس .

وفزّان

« العقيق الأحمر » . وقبل بلوغهم – وفي اتجاه الصحراء الافريقية التي ذكرنا من قبل أنها تقع خلف سرت الصغرى – توجد (فزان) حيث أخضعنا (١) قبيلة فزان ومدن (أليلن) و (كليبا) مثلما فعلنا مع (كيداموس)(٢) في اتجاه (صبراتة) (٣)

وبعد هؤلاء تمتد سلسلة جبال من الشرق إلى الغرب . ويدعوها قومنا (الجبل الأسود) (٤) إذ هي تبدو كأنها قاست من النار ، أو لفحتها أشعة الشمس . وبعد هذه السلسلة الجبلية هناك صحراء ، ثم بلدة للقرامنتس تـدعى (ثلغاي) وكذلك (دبريس) (٥) ، وبقربها نبع يغلي ماؤه حاراً من منتصف

أهم معالم فزان

النهار حتى منتصف الليل ، ثم هو قارس البرودة بعدد الساعات نفسها حتى منتصف النهار (٦) . ثم (جرمة) عاصمة القارامنتس الشهيرة (٧) . وقد أخضعت جميع مواطنهم بيدي روما حين فتحها (كورنيليوس بالبوس) (٨) الذي أعطي

---

(١) يعني الرومان .

(٢) Cydamus هي غدامس الآن .

(٣) Sabratae ويشير بليني في هذا الموضوع إلى حملة كورنيليوس بالبوس سنة ١٩ ق.م. على فزان . والواقع أن محاولة التعرف على اسماء المدن التي أوردها بليني في هذه الحملة بأسماء مواقع حديثة لم تستقر حتى الآن ، ويرى بعض الباحثين أن Cilliba أو Cillaba هي زويلة . (المراجع) .

(٤) هي جبال الهروج السود .

(٥) Thelgae و Debris ودبريس هي ما تعرف الآن بأوباري .

(٦) راجع هيرودوتس . الكتاب الرابع . فقرة ١٨١ .

(٧) Garama ولا تزال آثارها حتى الآن .

(٨) C. Balbus مواطن من قادش، عمل مع بومبي وقيصر وأغسطس =

نصراً هو الأجنبي الوحيد الذي نال شرفه ، وحقوق المواطنة كذلك ؛ ولذا فانه منح وعمه الأكبر (بالبوس) مواطنيتنا على الرغم من أنه من أبناء قادش [1] .

بالبوس والصحراء الكبرى

وهناك كذلك هذه الحادثة المشهورة ، وهي أن كتابنا سجلوا أسماء البلدان المذكورة آنفاً كأنما أخذها هو ، وذكروا أنه حمل في موكب نصره الى جانب غدامس وجرمة أسماء وصور جميع الأجناس والمدن الأخرى التي سارت على هذا الترتيب : بلدة « تبستي » قبيلة « نيتريس » بلدة « ملجيس جميلا » . قبيلة أو بلدة « فيبابو » قبيلة « الأنيبي »، بلدة « ثوبين » ، الجبل المعروف بالجبل الأسود ، البلدتان المدعوتان « نيتبروم » و « رابسا » ، قبيلة « فسكيرا » . بلدة «ديكري » نهر « ناثابور » بلدة « تابساغوم » قبيلة « تامياجي » ، بلدة « بوين » . بلدة « بيجي » نهر « داسيباري » . سلسلة بلدان « باراكوم » « بولوبا » ، « آلاسيت » ، « غالسا » ، « بالا » « ماكسالا » ، « كيزانيا » وجبل « غيري » الذي قدمت صورته في نقش على أنه كان موضعاً تستخرج منه الحجارة الكريمة [2] .

= ومنح حق المواطنة الرومانية وكان أول من حصل عليها ، وذلك في القرن الأول ق.م.

(١) Cadiz أو Gadiera في الطرف الغربي من إسبانيا .

(٢) بلدة Tibesti قبيلة Niteris، بلدة M. Gemella ، قبيلة أو بلدة Febabo، البلدتان المدعوتان Nitibrum و Rabsa (لعلها غات الآن) قبيلة Viscera(امزيرة الآن) ، بلدة Decri (أم العبيد الآن) ، نهر Nathabus(نهر (ثيسافا)، بلدة Thabsagum (سافا)، قبيلة =

وقد كان مستحيلاً قبلئذ أن تشق طريق الى بلاد القرامنت ، إذ أن قاطعي طرق ذلك الجنس يملأون الآبار بالرمل ، وهذه الآبار لا تحتاج الى حفر عميق لو كنتَ معاناً بمعرفة مواقعها .

اكتشاف طريق جديدة

وفي الحرب الأخيرة التي شنت على أهل أويا في بداية قنصلية (فسباسيان) [1] اكتشفت طريق قصيرة لمسافة أربعة أيام فقط ، وهي المعروفة بطريق (رأس الصخرة) .

آخر حدود قورينا

ويدعى آخر موقع في مقاطعة قورينا (كاثاباثموس) وهي بلدة وواد يهبط فجأة . وطول قورينا الافريقية من سرت الصغرى الى هذا الحد هو ١٠٦٠ ميلاً وعرضها – بالقدر المتحقق منه – يبلغ ٨١٠ أميال .

فقرة ٦

وتدعى المنطقة التالية « ليبيا ماريوتيس » [2] وهي تحد بمصر ويشغلها المرماريداي والادورماخيداي ، ثم المريوتاي . والمسافة بين كاثاباثموس وبرايتونيوم هي ٨٦ ميلاً ، وبينهما في داخل تلك المنطقة توجد « أبيس » [3] – وهو مكان له

= Thamiagi، بلدة Boin ، بلدةPege(ونيغا) ، نهر Dasibari (لعله نهر النيجر الآن) سلسلة بلدان : Baracum (براك) Buluba, Alasit, Gala, Balla, Maxala, Cizaniaوجبل Gyri.

(١) Flavius Vespasianus امبراطور روماني (٦٩ – ٧٩ ب.م.) .

(٢) Libya Mareotis أو ليبيا مريوط .

(٣) Apis زاوية الرخم ، إلى الشرق من السلوم على الحدود الليبية – المصرية .

مواقع ليبيا الشرقية والمسافات بينها

شهرته في الديانة المصرية . والمسافة من أبيس الى برايتونيوم هي ٦٢,٥ ميل . ومن برايتونيوم الى الاسكندرية ٢٠٠ ميل . وعرض المنطقة ١٦٩ ميلاً . ويقدر « ايراتوسثنيس »[١] المسافة بطريق البر من قورينا الى الاسكندرية بـ ٥٢٥ ميلاً . وقد جعل « أغريبا »[٢] طول أفريقيا كلها من « الأقيانوس »[٣] متضمنة مصر السفلى ٣٠٠٠ ميل. وجعل بولوبيوس وايراتوسثنيس – اللذان يعتبران كاتبين دقيقين تمام الدقة – المسافة من الأوقيانوس الى قرطاجنة الكبرى ١١٠٠ ميل ، ومن قرطاجنة الكبرى حتى أقرب فرع للنيل ، وهو الفرع الكانوبي[٤] ، ١٦٢٨ ميلاً . ويجعل (ايزدوروس)[٥] المسافة من (طنجة) الى الفرع الكانوبي ٣٥٩٩ ميلاً ، وهذه

---

(١) Eratosthenes عالم رياضي شهير ، وكاتب أثّر في عصره وما بعده ، وجغرافي عظيم كانت له منجزات رائعة . ولد في قورينا سنة ٢٧٦ ق.م. تقريباً ، وتتلمذ لكاليماكوس – مواطنه – في الاسكندرية . ودرس الفلسفة على يد أرستون واركسيلاوس في أثينا . وتولى في عهد بطليموس الرابع أمانة مكتبة الاسكندرية، حيث انجز مؤلفه (الجغرافيا) الذي استفاد منه (سترابو) استفادة لا تحد . وقد كان ايراتوسثنيس رياضياً وفلكياً وجغرافياً وعالماً بالفلسفة وشاعراً وناقداً عظيماً .

(٢) Agrippa ولعله السياسي الروماني. M. Vepsanius Agrippa القرن ١ ق.م. وكان له مؤلف جغرافي فقد .

(٣) المحيط الاطلنطي .

(٤) Canupus يعني الفرع الغربي من النيل بعد تفرعه عند الدلتا وهو فرع دمياط .

(٥) Isidorus Hespalensis وله كتاب Etymologeae وكتاب Origines .

فقرة ٨

في داخل افريقيا

المسافة ذاتها تقل ٤٠ ميلاً حسب تقدير « أرتميدوروس »[١] . وفي محيط إفريقيا الداخلي صوب الجنوب وخلف (الغيتولي)[٢] بعد شريط صحراوي متوسط ، فان أول السكان جميعاً هم الليبيون المصريون ، ثم الشعب المسمى في اليونانية (الأثيوبيين البيض) ثم توجد خلف هؤلاء بطوز (النيغريتاي)[٣] الاثيوبية المسماة باسم النهر المذكور آنفاً . وقبيلة (الغمنوتيس الفاروسيين)[٤] . ثم بعد ذلك هناك على تخوم الأوقيانوس

---

(١) Artemidorus جغرافي يوناني عاش في القرن الثاني ق.م. له ١٢ كتاباً عن الجغرافيا العامة لم يبق منها شيء ، إلا أن سترابو Strabo استفاد منها وحفظ عن طريقه بعض شذراتها .

(٢) Gaetullii كانت قبائل الغيتولي تعيش في صحراء الجزائر تقريباً . وان كانت تمتد شرقاً وغرباً . وهي على امتداد قبائل القرامانتس في فزان . وقبائل الغيتولي بدوية عرفت بفنها في القتال . وقد قاد (كورنيليوس كورسوس) حملة ضدها عام ٦ م . ولعل اسم الغيتولي يرتبط في النزاع مع الرومان اكثر ما يرتبط بـ (تاكفاريناس Tacfarinas) وهو جندي نوميدي كان يعمل في الفرق المساعدة الرومانية وخبر الشئون العسكرية الرومانية ، وأصبح زعيماً لقبيلة (الموسولاي) احدى قبائل الغيتولي ، ثم هزمه الرومان بعد حرب استمرت ثماني سنوات (المراجع) .

(٣) Nigritae قارن : سترابو . الكتاب السابع .

(٤) Pharusian Gymnetes او الفاروسي Pharusii ويقول المؤرخ الروماني سالوست Sallust إن هرقل اختفى في إسبانيا فتبعثرت فلول جيشه المكون من الميديين والأرمن والفرس في شمال افريقيا ، واختلط هؤلاء الفرس (أو الفاروسي) بقبائل الليبيين والغيتولي الموجودة قبلهم . (انظر Bates صفحة ٢٥٥) وكان الفاروسيون يركبون الخيول ، ويستخدمون العربات (سترابو . الكتاب السابع) .

(البيرورسي) الذين تحدثنا عنهم على حدود موريتانيا . وإلى الشرق من كل هؤلاء هناك أقاليم واسعة غير آهلة تمتد حتى القرامنت والأوجليين (١) وسكان الكهوف .

والرأي الذي يمكن الاعتماد عليه أكثر من سواه هو رأي أولئك الذين يميزون بين قسمين من الأثيوبيين وراء الصحراء الافريقية ، وخاصة « هوميروس » الذي يخبرنا بأن الأثيوبيين قسمان ؛ قسم شرقي وآخر غربي .

نهر النيجر

ولنهر « النيجر » (٢) نفس طبيعة نهر النيل ؛ فنباته الغاب والبردى ، وحيواناته نفس حيوانات النيل ، وهو يفيض في نفس الفصول من السنة . ويقع منبعه بين قبائل « الترايلي » و « الأويخاليكاي » وعاصمة القبائل الأخيرة هي « ماجيوم »(٣) . وفي وسط الصحراء — كما يرى البعض — توجد قبيلة « أطلس » (٤) وتليها قبيلة « ماعز البان » (٥) « والبلمّاي » (٦)

---

(١) Augilae انظر : هيرودوتس الكتاب الرابع . فقرة ١٨٢ .

(٢) الراجح أنه ليس النهر المعروف بهذا الإسم الآن .

(٣) قبائل Tarraelii والـ Oechalicae والعاصمة هي Magium.

(٤) Atlas انظر : هيرودوتس . الكتاب الرابع فقرة : ١٨٤ .

(٥) Goat - Pans و(البان) عند اليونان هو إله الرعي وقطعان الماشية. وكان يظهر للمسافرين وفي الغابات بأقدام ماعز وشعر كثيف فيسبب لهم الخوف الرهيب . وعرف عنه الرومان باسم Faunus .

(٦) Blymmyes هم في رأي الكثير من الباحثين (البجاة Beja) الحاليون الذين يسكنون بين النيل النوبي والبحر الأحمر ، وكانوا يغيرون على مصر العليا مما دفع الامبراطور (دقلديانوس ٢٨٤ — ٣٠٥م) إلى أن يدعو النوباتيين للاقامة في النوبة السفلى كاجراء مضاد لغارات البليميين (المراجع).

و « القمفزانتس » (١) و « الساتير » (٢) و « الهيمانتوبوديس »(٣) . وقد انحدرت قبيلة أطلس الى ما دون مستوى المدنية الانسانية .

قبيلة أطلس

اذا صدقنا ما يقال ، اذ لا يخاطب أحدهم الآخرين بأيٍّ من الأسماء . وعندما يدركون شروق الشمس أو غروبها يسبونها سبّاً مقذعاً ، لأنها سبب البلاء لهم ولحقولهم . وعندما ينامون لا يحلمون كبقية الناس (٤) . أما سكان الكهوف فيجوّفون

سكان الكهوف

مغارات هي مساكنهم . وهم يعيشون على لحم الثعابين . ولا صوت لهم ، ولكنهم يحدثون أصواتاً كالصراخ ، وهم محرومون كلية من التفاهم عن طريق الكلام (٥) . ولا يمارس

---

(١) Gamphasantes وقد عناهم هيرودوتس أيضاً (الكتاب الرابع — فقرة ١٧٤) عندما اسماهم (بالقرامنتس) — يسكنون في أرض الوحوش ويتحاشون رؤية الناس وينفرون من صحبتهم . ولم تكن لهم أسلحة حرب ولا يعرفون كيف يدافعون عن انفسهم (المراجع) .

(٢) تمثل الساتير Satyrs في الأساطير اليونانية الأرواح الأولية للغابات والجبال : فهي جنس من (جن الغابات) التي يثير ظهورها المفاجىء الذعر والرعب بين الرعاة والمسافرين . لها آذان مدببة وقرون قصيرة وأجسام بشرية تنتهي بسيقان ماعز . (المراجع) .

(٣) Himantopodes وهو اسم يوناني مركب من كلمتين : القدم والسيور الجلدية . مما يشير إلى أن هذا الشعب — عند بليني — عرف بأقدام تشبه السيور الجلدية إلى حد كبير . (المراجع) .

(٤) قارن : هيرودوتس . الكتاب الرابع فقرة : ١٨٤ — ١٩١ .

(٥) يعني أنه ليست لديهم لغة بشرية مركبة من حروف وأسماء وأفعال.

القرمنت القرامنت الزواج ، بل يعاشرون نساءهم مختلطين [1] . ويعبد
والأوجليون الأوجليون قوى العالم السفلي فقط [2] . أما القمفزانتس فأنهم
القمفزانتس يسيرون عراة ولا يشتبكون في معركة . ولا يتصلون بالاجانب
البليميون على الإطلاق . ويروى ان البليميين دون رؤوس ، أفواههم
الساتير وعيونهم ملتصقة بصدورهم [3] . ولا يشترك الساتير مع
البشر في أي شيء ما عدا الشكل الانساني . وشكل أفراد
قبيلة ماعز البان هو ذاك الذي يرى في صورهم عموماً .
الهيمانتوبوديس والهيمانتوبوديس شعب بأقدام كالسيور الجلدية ، ومن
والفاروسي طبيعتهم أن يزحفوا بدلاً من أن يمشوا . ويقال إن (الفاروسيين)
– وهم في الأصل شعب فارسي – رافقوا (هرقل) [4]
في رحلته الى سيدات الغرب (الهسبيرديس) .

وليس هناك شيء آخر بقي علينا أن نذكره عن إفريقيا .

* * *

---

(١) قارن : هيرودوتس . الكتاب الرابع فقرة ١٧٢ والتعليق .

(٢) ربما كان يعني أنهم لا يعبدون الشمس والقمر ككثير من الليبيين غيرهم . أما إله العالم السفلي عند اليونان فهو بلوتو Pluto وتدعى مملكته السفلى عالم الهايدس Hades وهو اسمه الأصلي . وقد عبده الرومان كذلك باسم Dis .

(٣) قارن : هيرودوتس الكتاب الرابع . فقرة ١٩١ . وكل هذا ضرب من الخيال العلمي الذي لا يصمد للنقد .

(٤) Heracles بطل إغريقي أُلِّه . أنظر : ديودوروس الصقلي . الكتاب الثالث . فقرة ٥٥ – وكان من جملة أعمال هرقل العظيمة التي كلفته بها الآلهة أن يحضر التفاحات الذهبية من حدائق الهسبيرديس التي يقال انها كانت تقع عند نهر الليثي قرب بنغازي الآن .
وهناك صارع التنين حارس التفاحات حتى حصل عليها وحملها إلى الآلهة التي أعادتها إلى موضعها بعد ذلك .

اللوتس
شجرة السلوان

تعريف

نبتان كانا من أشهر نباتات ليبيا قديماً ، وكان لهما صيت ذائع وشهرة فائقة . أولهما شجرة اللوتس ، وثانيهما نبات السلفيوم . وسيلي الحديث عن الأخير بعد قليل .

وقد انتشر خبر شجرة اللوتس العجيبة في العالم القديم ، منذ أن أتى به الشاعر اليوناني الأشهر (هوميروس) في الأوذيسة حين روى مغامرة أوديسيوس – أوعيلوس – وبحارته على ساحل أكلة اللوتس غربي ليبيا . ووصف كيف كان يصيب من يأكله بسلوان كل شيء إلا طلب المزيد من هذه الفاكهة ذات الطعم العسلي المدهش ، فينسى أهله ووطنه وصحبه ويرتمي على الساحل السحري يستمتع بغيبوبة منتشية ويذيب حشاشة نفسه مع كل حبة يأكلها من هذه الشجرة المدهشة . يقول هوميروس على لسان أوديسيوس :

« من ذاق مرة ذاك الطعام الشهي
سلا وطنه ورغب عن الإياب إليه أبداً .
لن يعرف صحبه مصيره ؛
فمن اشتهى من رسلي أن يحيا

بين أكلة اللوتس ويطعم تلك الفاكهة .

فلن يعود أبد الدهر » .

ثم أغرق الشعراء وكتاب الأساطير في الحديث عن فاكهة اللوتس . وذكرها هيرودوتس، الكتاب الرابع . فقرة ١٧٥ كما مضى . ولم يقتصر الأمر على الشعراء الأقدمين ؛ بل هو امتد إلى المحدثين منهم ممن تأثروا بأساطير العالم القديم . فنرى الشاعر الانجليزي المعروف (تنيسون) يتحدث عنه في قصيدة كاملة أطلق عليها اسم (أكلة اللوتس) فيقول : —

« حملوا أغصان تلك الشجرة المسحورة ،

وتبادلوها مثقلة بالزهر والثمار ..

فمن تناولها وتذوقها حمله تيار الموج

إلى بعيد ..

فيظل ينتحب ويهذي على السواحل الغريبة .

واذا تكلم رفيقه جاء صوته خافتاً ،

كأنه يصدر من قبر .

ويمضي في سبات عميق وهو الصاحي كل الصحو .

ودقات قلبه ترسل في أذنيه انغاماً شجية » .

ويقارن بليني بين هذا اللوتس الذي يؤكل ثمره وبين اللوتس المصري وهي مقارنة جديرة بالتسجيل . ذلك أن اسم النباتين واحد مع الفارق الكبير بينهما ، فاللوتس المصري عشب كان ينمو في أحراش الدلتا ومستنقعاتها ويكتمل نموه عند انحسار مياه فيضان النيل . ويشبه نبات الفول في ساقه وأوراقه . وتنمو ثمرته على رأس النبات ، وهي تشبه ثمرة الخشخاش تماماً ، وتحتوي على حبوب دقيقة مثل حبات الذرة الرفيعة (القصب) . وقد كانت زهرة اللوتس المصرية شائعة جداً في رسوم المصريين القدماء وزخارفهم وفنونهم المختلفة .

ولعل عدم تحديد ماهية نبات اللوتس الليبي هذا واختلاط الأمر بينه وبين

اللوتس المصري حتى عند المؤرخين الأقدمين كان سبب بلبلة في تعيينه ، فقال البعض إنه فصيلة من النبق ، وقال آخرون انه هو ضرب من نبات الخشخاش المعروف في ساحل الاقليم الغربي من ليبيا باسم (القنقيط) والمنتشر فيها انتشاراً عظيماً حتى اليوم . وهو يشبه اللوتس المصري وبه خواص تخديرية يعرفها عامة الشعب في ليبيا . وتأكله العذارى مخلوطاً بالكسكسي لمعرفة حظهن في الزواج . فيكون له تأثير مخدر ويحدث هذياناً وأحلاماً قد يستمران اليوم بطوله .

* * *

الكتاب الثالث عشر

فقرة ٣٢ وتنتج إفريقيا أيضاً – في أجزائها التي تتجه نحونا – شجرة شهيرة هي (اللوتس) وتسمى باللغة الدارجة (كلثيس) ، وهي التي أدخلت كذلك إلى ايطاليا لكنها فسدت بتغير التربة . ويوجد أفضل اللوتس حول سرت ومنطقة النسامونس . وهي في حجم الكمثرى رغم أن (كورنيليوس نيبوس)[1] يذكر أنها ثمرة صغيرة . وتشبه الحزات التي في أوراقها حزات أوراق السنديان ، الا أنها أكثر عدداً . وهناك أنواع عديدة من اللوتس تختلف أساساً في ثمارها . وهذه التي نتحدث عنها الآن ، في حجم حبة الفول . وفي لون الزعفران ، لكنها تغير من لونها عدة مرات قبل أن تنضج ، كالأعناب .

اللوتس في ايطاليا

أفضله حول سرت تحديده

---

(١) Cornelius Nepos مؤرخ روماني وصديق شيشرون أشهر خطباء الرومان (القرن ١ ق.م.) مات في عهد اغسطس وقد حفظ لنا الزمان من مؤلفاته :

«De Excellentibus Ducibut Exteranum Gentium»

وهو جزء من مؤلف باسم : «Deviris Illustribus» انظر ترجمة J. C. Rolfe في سلسلة Loeb .

وهي تنمو في عناقيد كثيفة فوق الاغصان مثل حب ثمار الآس . وليست كالكرز كما هو الحال في ايطاليا . وهي في موطنها لذيذة حينما تؤكل حتى لقد أعطت اسمها لجنس من الناس [1] ولبلاد مضيافة للغرباء الذين يأتونها فتجعلهم ينسون بلدهم الأصلي . ويروى أن مضغ هذا اللوتس يمنع أمراض المعدة . ولا يحتوي أفضل انواعه على حب في باطنه ، أما الأنواع الأخرى فتحتوي على نواة ذات مظهر عظمي . كذلك يعصر من هذه الثمرة خمر يشبه البتع [2] وهو – طبقاً لقول نيبوس مرة أخرى – لا يصلح لأكثر من عشرة أيام . وهو يذكر أن الحب يفرم مع الحنطة ويحفظ في براميل خشبية للطعام ، ونحن نعرف بالفعل أن جيوشاً اقتاتت بهذا الطعام عندما كانت تجوب إفريقيا جيئة وذهوباً .

اللوتوفاجي

استعمالات اللوتس وخشبه ذو لون أسود . وهو مطلوب لعمل النايات المطربة [3] بينما يتخذ من الجذع مقابض المدى وأدوات قصيرة أخرى .

فقرة ٣٣ ويضع اقليم قورينا اللوتس في مرتبة أدنى من شجرة غاره [4] . وهذا أقرب ما يكون في طبيعته إلى الشجيرات . وثمرته أشد

(١) هو شعب اللوتوفاجي Lotophagi قارن: هيرودوتس . الكتاب الرابع . فقرة ١٧٧ .

(٢) شراب يتخذ من العسل .

(٣) نذكر أن للشاعر الانجليزي « تنيسون » قصيدة بديعة عن حوريات الهسبيرديس ونايات اللوتس العجيبة . قارن أيضاً : اثيناوس في (مائدة الفلاسفة) .

(٤) يعني ان القورينيين يفضلون ثمرة الغار على اللوتس .

بين اللوتس والغار احمراراً ، وهي تحتوي على نواة تؤكل أو هي مستساغة في حد ذاتها . ويحسن طعمها بأن تغمس في الخمر . كما أن اضافة عصيرها إلى الخمر يجوِّد نوعه ، أما داخل افريقيا فينتشر فيه النخيل حتى القرامنت والصحراء . وهو نخيل مشهور بحجمه وثمره المفرط الحلاوة ، وأشهره ما كان مجاوراً لمعبد آمون [1] .

* * *

(١) في سيوه ، ولا يضاهي ثمر نخيل فزان جودة إلا بلح سيوه .

السِّلفيوم
الذهبُ الأخضر

تعريفٌ

« ما أروع أرضك يا ليبيا وما أكثر مباهجها !

هناك يجود السلفيوم بعصيره في قورينا .

وهناك معبد آمون المثير .

وهناك قبر باتوس المقدس العريق » .

بهذه الكلمات غنى الشاعر الروماني (كاتلوس) لحبيبته (لسبيا) وهو يحدثها عن حبه الذي جعله يطوف العالم في سبيلها :

ويقول (انثيباتس) في روايته (العشاق التعساء) .

« أواه ! أنا لن أأوب إلى الوطن الذي نفيت منه .. فلأقل وداعاً لكل العواطف ، لكل الخيول ، وعرباتها ، ولسباق الحواجز ..

وداعاً للسلفيوم ، وحزمه ، وأوراقه ، وعصيره العجيب ! !»

وقد ذكر «أرستوفان» الشاعر الكوميدي اليوناني «٤٤٥ – ٣٨٠ق.م.»

السلفيوم في عدد من مسرحياته . في « الطيور » تشكو إحدى الشخصيات قائلة : « إنهم لا يشوونك ويعذبونك فحسب ، بل يبشرون جُبْنهم وسلفيومهم أيضاً ! » . وفي مكان آخر من نفس المسرحية تقول شخصية :

« ناولني البشارة .. احضر السلفيوم ، ثم الجبن بعدئذ » . وفي مسرحية « بلوتوس » هناك ملاحظة عن قيمة السلفيوم : « ثم انك لن تغيّرني حتى وان أعطيتني سلفيوم باتوس جميعه » . وفي « الفرسان » تقول شخصية متحسرة : « ألا تذكر عندما كان ساق السلفيوم يباع بسعر التراب ؟ ! » .

وأورد الكاتب الروماني « بلاوتوس » في مسرحية « رودنز » حواراً ممتعاً عن السلفيوم بين شخصيتين من شخصيات مسرحيته يتبين منه القيمة العظيمة التي كان يمثلها هذا النبات العجيب .

فما سر هذا النبات وشهرته تلك يا ترى ؟ .

الحق أن سر السلفيوم ظل مستغلقاً على الأفهام الحديثة التي وجدت فيما نسج الكتاب والشعراء حوله من قصص وأشعار مجالاً خصيباً للنظر والتحقيق ، وتعارضت فيه الآراء والنظريات والأقوال .

ولقد كُتبت مقالات عديدة عن السلفيوم ، وظهرت بعض المفهومات عن هذا النبات واستعمالاته ، غير أنه لم يكن في المستطاع تحديده في عالم النبات . وإذا كان اكتشافه من قبل الإغريق قد حدث بعد سنة ٦٣١ ق.م. أي بعد استيطان اليونان في قورينا ، فان هذا الحكم يعتمد في الأساس على حساب (ثيوفراستوس) من أن هذا النبات ظهر بعد هطول مطر غزير ولم يكن موجوداً قبله . غير أن الدلائل والبحث عن أصل كلمة السلفيوم تشير إلى أنه عرف قبل مجيء اليونان وإنشاء قورينا بسنوات طويلة .

ومن الصعب تحديد السلفيوم نباتياً بوضوح – لأنه كان قد انقرض منذ عهد بليني الأكبر – ولكن يمكن القول إنه من العائلة الجزرية ؛ فان

ثيوفراستوس يصفه بأنه نبات ذو جذر غليظ وساق مثل ساق الفيرولا (الفيونكا) وورقه كورق الكرفس أو الكزبرة – بالاضافة إلى أوصاف بليني له ، والرسم الذي وجد على خاتم محفوظ في المتحف البريطاني بلندن . ويقول السيد (شالمرز جيمل) (١) : إن هناك نوعاً من النبات ينمو في الحدائق النباتية الملكية في (كيو) ببريطانيا يشبه السلفيوم .

وقد كان السلفيوم عماد ثروة قورينا وأساس ازدهارها ، وكانت الدولة تحتكره وتصدره إلى مختلف أنحاء العالم القديم . فكان بحق هو (الذهب الأخضر) يومذاك ، كما يقال عن النفط إنه الذهب الأسود وعن القطن الذهب الأبيض . وقد وجد قدح في (لاكونيا) صور عليه الملك (اركسيلاوس) الرابع وهو يشرف بنفسه على وزن السلفيوم وتعبئته ، وكان يباع بوزنه فضة . واستمر الحال حتى بداية العهد الروماني حيث انقرض هذا النبات فجأة ، كما ظهر فجأة . وان كان بعض الباحثين يحاول القاء المسئولية على أهل البلاد الذين عملوا على افنائه برعي ماشيتهم عليه نكاية في الدولة التي كانت تستولي على أرباحه لنفسها دون أن يستفيدوا منها .

وبلغ من أمر السلفيوم شهرةً أن أتُخِذ رمزاً لقورينا ، ونقش على نقودها التي أصدرتها خاصة بها في مختلف العهود .

ونوّه العلماء والكتاب والحكماء بفوائده الجليلة واستعمالاته العديدة ، منذ زمن طويل . فترى الطبيب اليوناني الشهير (جالينوس) يذكر أن السلفيوم يعالج نشاف الرأس وينتج الحرارة . ويقول (ديوسكوريدس) إنه يثير الرطوبة على الجسم ، وأوصى به في حالات الصلع العام وأمراض العيون ووجع الاسنان وعضة الكلب والجروح والنزلة الشعبية . وذكره

---

(١) راجع :

Chalmers L. Gemell. Silphium, Bulletin of The History of Medicine, Vol XI, No. 4, July - Aug. 1966)

وقد استفدت من مقالته القيمة في هذه المقدمة .

(أثيناوس) في « مائدة الفلاسفة » كنوع فاخر من التوابل في الطعام مثلما فعل (كولوميلا) و (أبيكيوس) . وقد عرف الاقباط السلفيوم ، وهو يوصف في كتاب (الطب السرياني) كدواء لأمراض البرد والمعدة والسخونات .

أما عند العرب فيبدو أنه عرف باسم (الحلتيت) الذي حل محل السلفيوم منذ عصر بليني . فنرى أبا بكر الرازي في كتابه (الحاوي) يوصي باستعمال الحلتيت (السلفيوم) ذي الرائحة الطيبة ، ويعني القوريني منه . ويذكره الرئيس أبو علي بن سينا تحت باب (الحلتيت) ويعدد فوائده فيقول : (حلتيت ، الماهية ، قال ديسقوريدوس في كتابه ان الحلتيت صمغ الأنجدان وذلك بأن يشرط أصله وساقه ، ثم بعد الشرط يسيل منه الحلتيت . والحلتيت الذي يجلب من قورينا اذا ذاق منه اللسان فانه في الحال يظهر في بدنه كله شيء نحو الحصف ، ورائحته ليست بكريهة ولذلك مذاقه لا يغير النكهة تغييراً شديداً . ونوع آخر من الحلتيت المعروف بسوريا ، أي من الشام ، وهو أضعف قوة من القوريني .. وقد ينبت ببلاد لوبية (ليبيا) شيء شبيه بأصل شجرة الأنجدان الا أنه أدق منه . وهو حريف وليس له صمغ ويدعى مأخوذ السف ويفعل فعله . وبالجملة الحلتيت صنفان ، منتن ، وطيب ليس بقوي الرائحة . وأسخنهما الطيب وهو أشد جنسية نارية في جميعه وأكثر هذا النوع قوريني) .

ويضيف الرئيس ابو علي بن سينا إلى هذا استعمالات السلفيوم فيذكر أنه يعالج : ريح البطن ، تخثر الدم في الجوف ، الصلع مايطيِّب الطعام ، كما يعالج التآليل ، والأورام ، والبثور ، والجراح ، والقروح ، وآلام المفاصل ، والأعصاب ، والفالج ، والأضراس المتآكلة ، والصَّرَع ، يزيل العلق من الحلق ، ماء العين ، السعال المزمن ، وورم اللهاة ، اليرقان ، البواسير ، ويستعمل كمسهل وقابض . كما أنه عظيم النفع في حمى الربيع ، والسموم – خاصة العقرب والرتيلاء وعضة الكلب والسهام المسمومة ، شرباً وطلاءً بالزيت .

أما علي بن العباس المجوسي فقد أشار في كتاب « الملكي » إلى فائدة

السلفيوم في حالة مرض القولنج « التهاب المخاط الغشائي للمعي الغليظ » ، وفي طلب الإسهال وإسقاط الأجنّة الميتة. كما أشاد به ابن البيطار (١) وأحمد ابن محمد الغافقي الطبيبان . وقد تسرب خبر السلفيوم في العصور الوسطى إلى أوروبا عن طريق « فينيسيا » وهو انتقل إليها باسم Cuccus Cyrenaicus . فنرى أن « جون جيرارد » في القرن السادس عشر يقول : ان السلفيوم « وأفضله ما جاء من أعالي جبال قورينا في إفريقيا وذو رائحة طيبة » يداوي تجلط الدم كما يزيل العلامات الزرقاء والسوداء من على الجسم ، ويعالج مرض الاستسقاء ، والورم الحاد ، والنقرس أوداء المفاصل .

ثم لا نعود نسمع عن السلفيوم إلا خبره المتواتر . وان ظل استعمال الحلتيت – أو أبو كبير – شائعاً في كثير من المواطن ، وصار يؤتى به من سوريا وفارس ، كبديل لسلفيوم قورينا الطيب العجيب الذي حارت الأذهان فيه وشغل بال كثير من العلماء والشعراء والمفكرين .

---

(١) يجد القارىء في نهاية هذا النص ما كتبه ابن البيطار في كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » عن السلفيوم حتى نلم بصورة عن تصور الأطباء العرب لهذا العقار العجيب وقد الم ابن البيطار بما كتبه سابقوه وجمعه في هذا النص .

الكتابُ التاسع عشر

فقرة ١٥ وبعد هذا سنتكلم عن (عصير السلفيوم)[1] وهو نبات مهم مشهور ، و (السلفيوم) هو الإسم اليوناني لهذا النبات ،

كيف انقرض وقد وجد أصلاً في مقاطعة قورينا . ويدعى عصيره (لازر) وهو يحتل مكانة عظمى في الاستعمال العام وكذلك في

---

(١) يرجح أنه النبات الذي يطلق عليه علمياً اسم : Ferula Tingitana وكذلك F. Marmarica (انظر تعليق H. Rackham في ترجمته لبليني Nat. Hist. ص ٤٤٤) . ويحسن أن أورد هنا ما ذكره C. t. Lewis وزميله في A Latin Dictionary ص (١٠٣٨ ، ص ١٦٩٩) حيث يقول : « إن اللازر هو عصير نبات الـ Laser Pitium وهو الـ Asafoetida ، وقد أطلق عليه فيما بعد اسم Laser Picium وهو ليس السلفيوم الذي كان العصير Laser يحصل عليه منه . وقد كانت كلمتا سلفيوم Silphium ولازر Laser تستعملان بنفس المعنى عند الإغريق والرومان (المراجع) . وقد كانت الترجمة الانجليزية لكلمة Laser Picium هي Laser - Wort وربما أمكن ترجمتها إلى العربية بـ (ساق العصير) لكنني فضلت الأصل اليوناني (سلفيوم) كنبات و (عصير السلفيوم) المستخرج منـه ، لأنه أشهر وأسهل عند التعبير ، وهو كذلك المقصود على كل حال .

العقاقير ، ويباع بما يساوي وزنه من الدنانير الفضية . وهو لا يوجد في تلك البلاد الآن منذ سنوات عديدة لأن ملتزمي الضرائب الذين يستأجرون المراعي جردوها منه تماماً برعي الغنم عليه ، مدركين أنهم يستفيدون أكثر بتلك الطريقة (١) .

وقد وجد هناك ساق واحدة فقط – على ما تعي ذاكرتنا – أرسل إلى الامبراطور (نيرون) (٢) .

دليل أكل السلفيوم

واذا تصادف أن وقع قطيع يرعى على احدى نباتاته اليانعة الغضة وأكلها فانه يمكن الاستدلال على ذلك من أن الأغنام سرعان ما تنام بعد أكلها له ، كما ينتاب الماعز نوبة من العطس . ولم يجلب الينا السلفيوم منذ زمن طويل خلا ما ينمو في فارس وميديا وارمينيا (٣) بكمية وافرة ، لكنه أدنى نوعاً بكثير من النوع القوريني . بل إنه يغش كذلك بصمغ

روما والسلفيوم

(الساكوبنيوم) (٤) أو بالبقول المجروشة . ولعل هذا يلزمنا أن لا نغفل ما حدث في عهد قنصلية (كايوس فاليروس) و (ماركوس هيرنيوس) ، من استيراد ثلاثين رطلاً من

---

(١) هذا يخالف تفسير (سترابو) لانقراض السلفيوم .

(٢) Neron إمبراطور روماني حكم في سنة ٥٤ – ٦٨ م . وقد أصيب في أواخر أيامه بلوثة جعلته يعتقد أنه شاعر عبقري وهو الذي قام بحرق روما . ومات منتحراً بعد أن فتك بعدد كبير من خيرة شخصيات الرومان .

(٣) Armenia البلاد الواقعة ما بين البحر الأسود وبحر قزوين .

(٤) Secopenium وفي اليونانية Sagapenon وهو نبات ذو عصير صمغي تشبه زهرته المظلة أو الخيمة .

عصير السلفيوم عن طريق الحكومة . وان قيصر (١) – اثناء دكتاتوريته في بداية الحرب الاهلية – سحب من الخزينة – مع الذهب والفضة – ١٥٠٠ لبرة (٢) من نبات السلفيوم .

كيف ظهر لأول مرة

ويذكر أكثر مؤلفي اليونان ثقة أن هذا النبات ظهر للمرة الأولى بجوار « حدائق سيدات الغرب » (٣) وسرت الكبرى ، بعد أن تشبعت الأرض فجأة بالمياه فأصبحت في لون القار ، على أثر وابل من مطر . وقد كان هذا قبل تأسيس مدينة قورينا بسبع سنوات (٤) ، وهو عام ١٤٣ لمدينتنا (٥) وأن أثر هذا امتد عبر ٥٠٠ ميل من افريقيا . وأن نبات السلفيوم كان نما على نطاق واسع في تلك البلاد كعشب بريٍّ تماماً . وهو إن زرع أفلت إلى الصحراء . وأن له جذراً عليه كبيراً وساقاً يشبه ساق الشمر (الفيونكا) ويماثله في السمك .

أوراق السلفيوم وساقه

وتدعى أوراق هذا النبات (ماسبيتوم) وهي قريبة الشبه بالبقدونس ، وبذرته تشبه الورقة . أما الورق الحقيقي فيسقط في الربيع ، وكان المألوف أن ترعاه الماشية . وكان أثره في البداية كأثر المسهل ، ثم تسمن الحيوانات وتصبح

---

(١) يعني يوليوس قيصر ، من أشهر وأعظم ساسة وأباطرة الرومان . ولد عام ١٠٢ ق.م. تقريباً واغتاله خصومه السياسيون – ومعهم صديقه بروتوس – سنة ٤٤ ق. م.

(٢) ميزان روماني يساوي رطلاً واحداً تقريباً .

(٣) انظر : بليني – الكتاب الخامس . فقرة ٥.

(٤) المعروف أن قورينا انشئت سنة ٦٣١ ق.م.

(٥) يقصد مدينة روما .

لحومها من نوع مستطاب إلى درجة عجيبة . وبعد أن يسقط النبات أوراقه يأكل الناس ساقه الحقيقي مطهواً بشتى طرق الطهو ، مسلوقاً ومشوياً . وهو يفعل معهم أيضاً فعل المسهل في الأسابيع الستة الأولى .

كيف يحصل منه على العصير

ويحصل على العصير في العادة بطريقتين ، من الجذر ومن الساق . وكان الإسمان المطابقان له هما : (ريزيـــاس) و(كاوليـاس) [1] ، والثاني أدنى من الأول نوعاً وقابل للفساد . وللجذر قشرة سوداء . وكان العصير نفسه يغش – لأغراض تجارية – بأن يوضع في أوعية ويضاف اليه خليط نخالة . ثم يرج حتى يبلغ حالة النضج ، وهو يفسد لولا هذه المعالجة . وكان دليل نضجه لونه وجفافه واختفاء العصير الرطب منه تماماً .

جذره وبراعمه

وتذكر روايات أخرى أنه كان لهذا النبات جذر يزيد طوله عن ١٨ بوصة ، عليه دائماً نتوء بارزة فوق سطح التربة ، فاذا ما أحْدِث حَزٌّ في هذه النتوء فان عصيراً يشبه اللبن يتدفق منه . وانه كان هناك ساق ينمو فوق النتوء يدعونه (ماجيداريس) [2] ، كما كان للنبات أوراق ذات لون ذهبي

---

(١) من الكلمتين اليونانيتين Rizias وتعني الجذر ، Caulias وتعني الساق .

(٢) Magidaris ونلاحظ أن ابن سينا يسمى السلفيوم نبات «الإنجدان». فيقول : إن الحلتيت صمغ الانجدان وذلك بأن يشرط أصله وساقه ، ثم بعد الشرط يسيل منه الحلتيت » . « القانون في الطب » ص ٣١٦ من الكتاب الثاني في الأدوية المفردة . طبعة بولاق ١٢٩٤ هـ . قارن : ابن البيطار ؛ « الجامع لمفردات الأدوية والاغذية » . مادة : أنجدان . =

تقوم مقام البذرة ، تسقط عقب ظهور كوكب الشعرى وعندما تهب ريح جنوبية . ومن هذه الأوراق المتساقطة كانت تنبثق براعم السلفيوم . ويكتمل نمو الجذر والساق معاً على مدى عام .

وقد ذكر هؤلاء المؤلفون كذلك أنه كان من العادة أن يحفر حول جذور النبات وأنه لم يكن يفعل فعل المسهل مع الماشية ، بل انه كان يشفيها إن مرضت ، وإلا فانها كانت تموت في الحال . وكان هذا الأمر الأخير لا يحدث في كثير من الحالات .

وهذه الصورة التي أوردناها تطابق نوع السلفيوم الفارسي كذلك .

* * *

=وقد حدثني الأستاذ عبدالله القويري بأنه سمع عن نبات لا يزال موجوداً في الجبل الأخضر يسمى (الدرياس) إذا أكلته الغنم في الصيف ولم تكن أكلته في الربيع ماتت في حينها . فإن كانت أكلته في فصل الربيع وأطعمته صيفاً لم يصبها شيء . ويقال للأغنام الطيبة « غنم مدريسة » – أي أصابت من (الدرياس) – وهو بما يكون تحريفاً لكلمة (ماجيداريس) .

الكتابُ الثاني والعِشرون

فقرة ٤٨ إن جميع هذا الكمأ [١] يظهر بعد هطول وابل . والسلفيوم كذلك – كما ذكر – نما للمرة الأولى أثر وابل من المطر . وهو يجلب في الوقت الحاضر من سوريا [٢] . وهذا السلفيوم السوري ليس في جودة السلفيوم البارثي وإن كان أفضل من الميدي [٣] . أما سلفيوم قورينا فقد انقرض الآن تماماً كما قلت .

بين السلفيوم والفقاع

---

(١) Fungus يعني النباتات الفطرية أو ما يسمى باللهجة الليبية « الفقاع » ويقول أثيناوس Athenaeus في كتابه (مائدة الفلاسفة - Daipnosophistae) : « ويدعى الكمأ الذي ينمو في قورينا ميسي Misy وهو طيب المذاق جداً وله رائحة اللحم، مثل الأويتون Oiton في تراقيا » . ٦٢أ د .

(٢) قارن : ابن سينا (القانون في الطب . الكتاب الثاني ص ٣١٦ ط . بولاق سنة ١٢٩٤ هـ) حيث يقول : « .. ونوع آخر من الحلتيت (يعني السلفيوم – راجع التعريف) المعروف بسوريا أي الشام، وهو أضعف قوّة من القوريني » .

(٣) البارثي نسبة إلى Parthia وهي مملكة قديمة كان موقعها جنوب شرق بحر قزوين ، في موضع ما يعرف الآن بمقاطعة خراسان الإيرانية.=

الأوراق والجذر: استعمالات في الطب مختلفة

وتستعمل أوراق السلفيوم في الطب لتوسيع الرحم واخراج الجنين الميت . كما يستعمل عصيرها المغلي في صناعة خمرة بيضاء زكية الرائحة تشرب بعد الحمام في جرعة تعادل حقاً واحداً . أما جذره فعلاج جيِّد لالتهابات القصبة الهوائية ، ويستخدم كذلك لعلاج رشح الدم . لكن من الصعب هضمه كطعام ، إذ يؤدِّي إلى انتفاخ البطن بالغازات كما يسبب التجشوء . وهو ضار بخروج البول . لكنه مع الخمر والزيت عظيم الفائدة في علاج الكدمات . ومع الشمع في علاج أورام داء الخنازير . وتسقط البواسير إذا ما بُخِّر به عدة مرات .

فقرة ٤٩

استعمالات عصير السلفيوم

يستعمل عصير السلفيوم — الذي يستقطر من السلفيوم بالطريقة التي ذكرتها ويعد من أثمن نعم الطبيعة — كعنصر في وصفات طبية كثيرة جداً . وهو وحده يدفىء مرضى البرداء ، واذا أخذ في شراب فإنه يخفف آلام الأعصاب . وهو يعطى للنساء في الخمر ، ويستعمل على صوفة ناعمة (كتصويفة) ليثير الطمث . وهو يستخدم مخلوطاً بالشمع في التخلص من ثآليل القدم ، بعد أن تجتث دائرياً بسكين . وان قطعة في حجم حبة الحمص — مخففة — تدر البول . ويؤكد لنا (أندرياس) أنه — رغم أخذه في جرعات كبيرة — لا يسبب انتفاخاً في البطن . وهو مساعد عظيم على الهضم للمسنين والنساء ، وانه كذلك أكثر نفعاً في الشتاء منه في

=والميدي نسبة إلى Media وهي مملكة أخرى كانت في شمال غرب إيران. وقد ضمتا كلتاهما إلى فارس الساسانية عام ٢٢٦ ق. م.

الصيف . وهو أكثر نفعاً للممتنعين عن المسكرات . وينبغي على كل حال ان يراعى خلو المريض من قرحة باطنية . وهو عظيم الأثر عند النقاهة حين يؤخذ في الطعام ، لأنه إذا ما أعطي في الوقت الصحيح فإن له خصائص الدواء الكاوي (١) ، بل إنه أكثر فائدة للذين اعتادوه من غيرهم . ويقدِّم استعمال السلفيوم خارجياً براهين مؤكدة على قوته الشافية . وهو عندما يُتناول في شراب يبطل سموم الاسلحة والافاعي ، فيوضع في ماء حول هذه الجروح ولا يضاف اليه الزيت إلا في حالات لدغ العقارب . وللدمامل التي لم تتكون لها رؤوس بعد يدهن بالعصير مع دقيق الشعير أو التين المجفف . وللجمرة مع نبات السذاب (٢) أو مع العسل أو وحده — يدهن مع مادة لزجة ليلتصق بالجسم . وهو يعد بالطريقة نفسها لعضة الكلب . ويستخدم مغليّه في الخل مع قشر الرمان للدّوالي حول فتحة الشرج ، وللثآليل المعروفة عموماً بالثآليل الميتة يجب أن يمزج بشيء من القلي (٣) مع عصير السلفيوم . ويجب أن يعالج الحكاك (٤) كله أولاً بالقلي ثم يُستَردّ الشعر بوضع عصير السلفيوم مع الخمر والزعفران ، أو الفلفل ، وروث الفأر والخل . وتعالج تشققات الأصابع وتورمها بتكميدها بالخمور وبوضع مغلي عصير السلفيوم

---

(١) يعني الذي يدفىء ويجفف .

(٢) نبات ورقه كالزعتر ورائحته كريهة .

(٣) الصودا .

(٤) جرب الحيوانات .

في الزيت . وهو يستعمل بالطريقة ذاتها للجسأة الجلدية [1] والثآليل التي على القدمين على أن تقشط أولاً .

وعصير السلفيوم ذو قيمة خاصة ضد المياه الفاسدة والمناطق غير الصحية أو الهواء غير الصحي . وهو يستعمل للكحة ، وأمراض اللهاة ، والصفراء المزمنة ، والاستسقاء ، والبحة ، إذ هو ينقي الحلق في الحال ويستعيد الصوت وهو – مخففاً بالخل والماء ومستعملاً بإسفنجة – يلطف نقرس الاطراف . ويُعطى في ثريد للمرضى بذات الجنب عندما يشربون الخمر ، وعلى هيئة حبات من حجم حبات الحمص مكسوة بالشمع لمن يقاسون من تقلص العضل ومرض الكزاز [2] . ويستعمل لالتهاب اللوزتين غرغرةً ، ولنشيج الصدر والكحة المزمنة يعطي مع الكرات في الخل ، ومع الخل أيضاً لمن ابتلعوا لبناً مختثراً [3] . وهو يعطى مع الخمر لآلام السوداء الدرنية ، وللصرع ، وفي الصَّعف [4] لشلل اللسان . ويستعمل مغليه مع العسل كمروخ لعرق النسا وروماتزم القطن [5] . وينبغي أن لا أقر نصيحة المصادر التي تقول ان الضرس النخر الموجع يجب أن يُحْشى بمعجون عصير السلفيوم والشمع ، بعد

---

(١) أي اللحم المتيبس أو المتصلب الذي ماتت خلاياه .

(٢) مرض التيتانوس Tetanus وهو مرض خطير يقضي على صاحبه سريعاً ، وينتج عن تسمم الجروح ودخول مواد غريبة إلى الجسم عن طريقها .

(٣) كان يظن قديماً أن اللبن المتخثر ضار بالصحة .

(٤) شراب يتخذ من العسل .

(٥) اللمباغو .

التجربة الرهيبة التي عاناها رجل ألقى بنفسه من علٍ نتيجة لهذا . والحقيقة أنه يهيج الثيران اذا ما مسحت به خطمها . وإذا مزج بالخمر فإنه يجعل الافاعي تهترىء وهي تشتهي الخمر اشتهاءً كبيراً . ولهذا السبب فإنه ينبغي أن لا أنصح بأن تنظف الاسنان به . وعلى الرغم من أنه يوصي بفعل ذلك بعناصر السلفيوم وعسل أتيكا [1] .

إن استعمالات عصير السلفيوم ممزوجاً بعناصر أخرى ، تبدو عديدة لا حصر لها عند ذكرها . وأنا أتناول الآن أدوية يتكون كل منها من مادة واحدة [2] ، ذلك لأن الطبيعة الأساسية لهذه المواد واضحة . وعلى كل حال فإنه يوجد في التركيب عادة خطر سوء التقدير ، اذ أنه لا أحد يتمتع بحرص كافٍ – عند عمل الخلطات – يمكنه من ملاحظة تجاذب وتنافر طبائع العناصر الأساسية .

* * *

---

(١) نسبة إلى اقليم أتيكا Attica في اليونان .

(٢) سيتضح من هذا أن بليني يعتبر هذه المواد – مثل الخل والعسل والزيت والخمر والشمع والشعير والتين .. الخ .. – اضافات إلى عصير السلفيوم – كمجرد عوامل لا تأثير لها على طبيعة العنصر الاساسي .

مُلحق لِنصّ بليني الأكبر عن السّلفيُوم

مِن كِتاب

« الجامع لمفردات الأدوية والأغذية »

لضياء الدين أبي محمد بن البيطار الأندلسي

أنجدان [1] : قال بعض الأطباء هو ورق شجرة الحلتيت والحلتيت صمغه والمحروث أصله . إسحاق بن عمر : هو صنفان أحدهما الأبيض الطيب المأكول الذي يسمى السرخس وتسمى عروق أصله المحروث ويستعمل في الأغذية والأدوية ، والآخر الأسود المنتن الذي خلط ببعض الأدوية ، وصمغ الأنجدان هو الحلتيت والطيب منه يكونمن الأنجدان الطيب والمنتن من الأنجدان المنتن . أبو حنيفة : المحروث أصل الأنجدان ومنابته في الرمل التي بين بست وبلاد القيقان [2] ،

(١) الاسم اللاتيني له هو Ferula Tingitana « فيرولا تنجتانا ».

(٢) لعلها : بين سرت وبلاد القيروان . والعرب يسمون قورينا بالقيروان أحياناً .

والحلتيت صمغ يخرج من أصول ورقه ، وأهل تلك البلاد يطبخون بقلة الحلتيت ويأكلونها ، وليست مما تبقى في الشتاء . محمد بن عبدون : هو نبات كالكاشم ينبت ببابل يبيعه البقال مع التوابل . أبو عبيدة البكري : الأنجدان الأسود المنتن الذي هو صمغه الحلتيت المنتن هو أصل غليظ يطلع ورقاً منبسطاً على الأرض ، جعداً ، كالكف في السعة ، متركب من ورق صغير كهدب الجزر ، أشبه شيء بالصفائح المخرمة التي تكون تحت حلق الأبواب ، يطلع من بين ذلك الورق عسلوج في رأسه جمّارة كجمارة الشبت إلا أنها أعظم تمراً ، يعقد حبّاً في غلف دقاق مفرطحة إلى الطول ما هي كريهة الريح . ديسقوريدوس في الثالثة : سلفيوم ، وهو شجرة الأنجدان ينبت في البلاد التي يقال لها قورينا وأرمينيا وميديا [1] وهي ماؤه ، وله ساق يسمى يسقطس (؟) شبيه في شكله بالقنا وهو الكلخ ، وورق شبيه بورق الكرفس وبزر منبسط شبيه ببزر يسمى ماعدطارس [2] . وأصله منقٍ نافع مجشيء مجفف عسر الانهضام مضر بالمثانة ، وإذا خلط بالقيروطي وتمرخ به أبرأ الخنازير والجراحات ، وإذا تضمد به مع الزيت ابرأ كمنة الدم العارضة تحت العين ، وإذا خلط بقيروطي معمول بدهن الأرساد ودهن الحناء وتضمد به وافق عرق النساء ، وإذا طبخ بخل في قشر رمان وتضمد به أذهب البواسير النابتة في المقعدة ، وإذا شرب

(١) قارن مقالة بليني الأكبر عن السلفيوم .

(٢) لعلها ماجيداريس أو ماغداريسMagidaris . قارن : بليني . الكتاب التاسع عشر فقرة ١٥ .

كان باد زهراً للأدوية القتالة . وطعمه طيب إذا وقع في أخلاط الصباغات أو خلط بالملح . جالينوس في الثامنة : لبن هذا النبات حار جداً وكذا ورقه وقضبانه وأصوله تُسَخِّن إسخاناً شديداً ، وجوهرها كله جوهر نفاخ هوائي ، ولذلك صارت كلها عسرة الانهضام ، وإذا وضعت على البدن من خارج كان أكثرها وأبلغها فعلاً نفس الصمغة . مسيح : وقوته حارة يابسة في الدرجة الثالثة ينفع من عسر البول وبرد المقعدة ويدر الطمث . ابن ماسويه : مجفف لرطوبة المعدة بطيء فيها يغير رائحة القئل والبدن محمد بن الحسن : يستخرج الأجنة ويسهل الطبيعة وينفع الأكلة اذا سحق وذر عليها . الرازي : المحروث مقوٍّ للكبد والمعدة معين على الهضم . وقال في دفع مضار الأغذية : هو حارٌّ غليظ الجرم مع حدة ولطافة وحرافة بها يلطف الأغذية الغليظة ويجشيء جشاءً كثيراً ويدوم طعمه في الجشاء مدة طويلة ، فيتوهم من ليس له علم ولا تجربة أنه ليس معه معونة على هضم الطعام وليس الأمر كذلك . وذلك لمبالغته ومداخلته جرم المعدة ، ولأن هذا المطعم منه في جرم له بعض الغلظ فيطول لذلك بقاؤه . والأنجدان أيضاً شيء عجيب وهو أنه نفخ الأغذية النافخة ويولد هو من ذاته نفخاً يسيراً ... وينفع الأنجدان أيضاً مع الخل الخفيف فيلطف الأغذية ويكسبها لذاذة وسرعة هضم ويكسر من حره في نفسه . وقال : وكامخ الأنجدان حار لطيف جداً ملهب يعطش أيضاً . وقال مرة أخرى : وكامخه شديد الحرارة مصدع ، جيد للمعدة الكثيرة الرطوبة ولمن في هضمه تخلف شديد . (ص ٥٨ ــ ٥٩ من الجزء الأول) .

حلتيت : هو صمغ الانجدان ... ديسقوريدوس في الثالثة : وقد يجمع من الأنجدان صمغ وهو الحلتيت بأن يشرط أصله وساقه ... والحلتيت المعروف بقوريناس (القوريني) وهو الذي من قورينا إذا ذاق إنسان منه قليلاً فإنه على المكان يبدل ببدنه كله ، ورائحته ليست بكريهة ، ولذلك إذا تنوول منه لا يكون للفم رائحة شديدة [1] .. ومن الناس من يسمي ساق هذا النبات سلفيون (سلفيوم) ويسمى أصله ماء عنطارس (ماجيدارس) ويسمى ورقه مسقسطس (؟) ، وأقوى هذا كله الصمغ وبعده الورق وبعده الساق [2] .

« ص ٢٧ — ٢٨ من الجزء الثاني » .

* * *

(١) قارن : ابن سينا ؛ القانون في الطب ٣١٦ — الكتاب الثاني عن الأدوية المفردة . ط . بولاق ١٢٩٤ هـ .

(٢) يورد ابن البيطار فوائد استعمال الحلتيت، أو السلفيوم ، كما أوردها بليني الأكبر ، ويضيف إليها مقالة الرازي وحبش بن الحسن وابن سينا بتفصيل كبير .

نصوصٌ مِن ديودوروس الصِّقلّي

تعريف

ديودوروس الصقلي أو Diodorus Siculus مؤرخ يوناني وأحد مواطني صقلية . عاصر يوليوس قيصر وأغسطس . ويعتبر مؤلفه الذي أسماه (المكتبة التاريخية) عملاً تحليلياً مذهلاً يغطي فترة من أقدم العصور حتى بداية حرب القيصر الغالية (٥٨ ق.م) . وقد وجد من هذا المؤلف كتب ١ – ٤ ، ٩ – ٢٠ وبالتحديد كتاب التاريخ الأسطوري لليبيا ومصر وآشور وإثيوبيا واليونان وأحداث السنوات ٤٨٠ – ٣٠٢ ق.م. إلى جانب فقرات وشذرات متفرقة .

وقد تحدث ديودوروس في الكتاب الثالث – الذي نقتطف منه النصوص التالية – عن الاثيوبيين في أعالي نهر النيل ، ثم مناجم الذهب بين مصر وإثيوبيا ، ثم عن البحر الأحمر والشعوب التي تعيش حوله ، والقبائل حول المحيط الهندي والخليج العربي .. حتى يصل في فقرة ٤٩ إلى ليبيا ، فيصف أساطير الليبيين عن الغرغونات والأمازونات ، وهو الموضوع الذي يقوده بعد ذلك إلى الأساطير اليونانية ونشأتها وموالد الأرباب ومغامراتهم وهذا مدخل الكتاب الرابع . ومن النصوص التالية يتبين لنا أن ديودوروس يعمد أولاً إلى وصف الجماعات الليبية (فقرة ٤٩) ثم يتحدث عن المظاهر الجغرافية والطبيعية لليبيا (فقرة ٥٠) حتى يصل إلى وصف ظاهرة طبيعية عجيبة (فقرة ٥١) ويتجه بعدها إلى الحديث عن مغامرات الأمازونات – وهن طراز من النساء أوتين قوة البدن وشجاعة القلب وشدة المراس – فيصف مغامراتهن المثيرة في ليبيا

واكتساحهن الشرق حتى وصلن آسيا الصغرى بقيادة ملكتهن (مورينا) وهي أشبه ما تكون بالكاهنة (داهية) التي قاومت الفتح العربي (فقرة ٥٢ – ٥٤) .

وينبغي أن لا تفوتني الاشارة هنا إلى أن منهج ديودوروس في التاريخ كان يميل إلى التقاط الجوانب الطريفة المثيرة يغلفها برداء أسطوري غامض تختلط فيه الحقائق التاريخية بالخيال اختلاطاً شديداً ، فيصعب التمييز بين الحق والباطل . لكن هذا لا يمنع من اعتبار ديودوروس كاتباً ومؤرخاً عظيماً ، كثيراً ما استند إليه من جاء بعده من الكتاب والمؤرخين .

الكتابُ الثالِث

فتوحَات الملكة مُورينَا

فقرة ٤٩ أما الآن وقد تناولنا هذه الأمور [(١)] فإنه من المناسب أن نتحدث عن الليبيين الذين يعيشون بالقرب من مصر والبلاد

الليبيون الشرقيون التي تتاخمهم ..

ويسكن الأجزاء القريبة من قورينا وخليج سرت – مثلما هو الحال في داخل أرض هذه المناطق – أربع قبائل من

قبائل متنوعة الليبيين . ومن هؤلاء يسكن الناسامونس [(٢)] – كما يدعون – في الأجزاء الجنوبية والآوسخيساي [(٣)] في الأجزاء الغربية ، ويشغل المارماريداي [(٤)] الشريط الضيق بين مصر وقورينا ثم

---

(١) يعني بلاد العرب التي كان يتحدث عنها في الفقرة السابقة .

(٢) Nasamones قارن : هيرودوتس . الكتاب الثاني . فقرة ٣٢، والرابع فقرة ١٧٢ .

(٣) Auschisae قارن : هيرودوتس الكتاب الرابع فقرة ١٧١ .

(٤) Marmaridae وكانوا يستوطنون ما يسمى الآن خليج مارماريكا. ولم يذكرهم هيرودتس .

يهبطون إلى الساحل ، ويعيش المكاي [1] – الذين هم أكثر نفراً من رفاقهم الليبيين – في المناطق التي حول خليج سرت .

منهم الرحل والزراع

والليبيون الذين ذكرناهم منذ قليل مزارعون يملكون أرضاً يمكنها أن تنتج محاصيل وافرة ، في حين أن أولئك بدو رحّل يحصلون على غذائهم من أسراب الماشية وقطعان الغنم التي يقتنونها . ولكل من هاتين الجماعتين ملوك ، ويعيشون حياة لا تختلف كثيراً عن حياة المتحضرين .

جماعة ثالثة

أما الجماعة الثالثة فإنها ، على كل حال ، لا تطيع ملكاً ولا تهتم – أو حتى تفكر – في العدل ، وتجعل من الغزو شغلها الشاغل ، تهاجم على حين غرة من الصحراء وتنهب كل ما تقع عليه ثم تنسحب مسرعةً إلى حيث أتت .

معيشتهم وسلاحهم

ويحيا جميع الليبيين الذين هم من هذه الجماعة الثالثة حياةً بدائية ، يمضون أيامهم لا يظلهم سقف ، ويسترون أجسامهم بجلود الماعز . وليس لرؤسائهم مدن بأي شكل من الأشكال بل قلاع بالقرب من موارد المياه . وإلى هذه القلاع يأتون بفضلة غنيمتهم ويخزنونها فيها وهم يفرضون على الخاضعين لهم يمين ولاء لسلطتهم سنوياً . ويبسطون حمايتهم على من أذعنوا لهم كحلفاء . وتلائم أسلحتهم كلاً من طبيعة البلاد ونمط حياتهم ، إذ لما كانوا خفيفي الأجسام ، يسكنون

(١) Macae قارن: هيرودتس . الكتاب الرابع فقرة ١٧٥ وهم الذين أخرجوا دوريوس الاسبرطي من وادي كينوبس (كعام) بالتعاون مع قرطاجنة ، حينما أراد أن ينشىء مستعمرة فيه كما فعل مواطنوه في قورينا .

أرضاً هي عبارة عن سهل مستوٍ في جزئها الأكبر ، فانهم يواجهون الأخطار التي تحدق بهم مسلحين بثلاثة رماح وحجارة في أجربة من الجلد . وهم لا يحملون سيفاً ولا خوذة ولا أي سلاح آخر . فان غايتهم أن يتفوقوا على عدوهم في سرعة الحركة عند الكر والفر . ولذا فقد برعوا في صقل الحجارة وقذفها ، وساروا بالمزايا التي وهبتهم الطبيعة اياها إلى الغاية القصوى بالدربة والعادة [1] .

فقرة ٥٠

قورينا الخصيبة

ويتميز ذلك الجزء من البلاد الذي بالقرب من قورينا بتربة خصبة ، وهو يحمل محاصيل متنوعة ، إذ لا ينتج الحنطة فحسب بل إن فيه مزارع كروم شاسعة ، وبساتين زيتون ، وغابات لم يستنبتها أحد ، وأنهاراً ذات نفع عظيم .

أما المنطقة الممتدة خلف تخمها الجنوبي حيث يوجد (النطرون) [2] فهي لم تستغل للزراعة وتعوزها ينابيع المياه ، وتبدو في مظهرها كالبحر . وهي بالإضافة إلى أنها ذات

(١) كان لهذه الصورة عن الجماعة الثالثة من الجماعات الليبية أثر في الميثولوجيا اليونانية . وتقول السيدة J. E. Harrison في كتابها Mythology ص ٣٩ – ٤٢ . إن « بيرسيوس » قاتل الغرغونة «ميدوسا» كان يصور وهو يحمل رأسها في الـ Kibisis أو الجراب الذي هو عبارة عن حقيبة الليبي التي ذكرها ديودوروس الصقلي . وقد رسم برسيوس على زهرية كورنثية وهو يهاجم الوحش بالحجارة ووقفت بجانبه حبيبته (أندروميدا) تزوده بها من كوم عظيم . والمعروف ان أهم مغامرات برسيوس كانت في ليبيا .

(٢) أو البوتاس .

ومن ورائها صحراء قاحلة

منظر عام واحد محاطة بأرض صحراء – أعني الصحراء التي تقع وراء حدودها في إقليم يشق منه الخروج . وتبعاً لهذا فانه لا طائر واحد يرى هناك ولا أي حيوان من ذوات الأربع فيما عدا الغزلان والثيران . كما لا يرى في الواقع أي نبت أو أي شيء يبهج العين ، لأن الأرض الممتدة إلى الداخل تشمل على طولها تقريباً كثباناً رملية متوالية . وهي

أفعى الكيراستس

بقدر ما تفتقر إلى ما يناسب الحياة المتمدينة تعج بالأفاعي المختلفة الأشكال والأحجام ، وخاصة تلك التي يسميها الناس (كيراستس) [1] ذات اللدغة القاتلة . ولون هذه الأفاعي أصفر كلون الرمل فتبدو لهذا السبب شبيهة بالأرض التي ترقد فوقها ولا يفطن اليها سوى قليل من الناس ، أما أغلبهم فانهم يطأونها دون أن يدروا فيأتيهم البلاء من حيث لا يحتسبون . وتضيف الرواية قائلة : إن هذه الأفاعي غزت في الأيام الخالية جزءاً كبيراً من إقليم مصر الذي يجاور هذه الصحراء وأحالته إلى يباب .

ظاهرة طبيعية عجيبة

ويحدث شيء عجيب في هذه الأرض القاحلة ، كما يحدث في الأرض الليبية الواقعة وراء خليج سرت . فإنه تُرى في بعض الأوقات ، وخاصة عندما تسكن الريح ، أشكال

(1) Cerastes وهي تعني حرفياً : « الأفاعي القرناء » . قارن : أرسطو. تاريخ الحيوان ٦٠٦/أ/٨ ، ١٨ – وقد روى « لوكان الساموساتي » في « محاوراته » حديثاً عجباً عن أفعى الدبساس Dipsas في فزان ، أو أفعى العطش . فاذا ما نهشت إنساناً ظل يعب الماء شراباً دون أن يرتوي ؛ بل يزداد عطشه كل لحظة بسبب تفاعل السم والماء حتى يموت .

تتجمع في السماء تظهر صور حيوانات من كل نوع [1] ، ويظل بعض هذه الصور ثابتاً بينما يتحرك بعضها الآخر . تفر تارة أمام الإنسان وتطارده تارة أخرى . وهي على كل حال ، لما كانت ذات حجم كبير ، فإنها تصيب من لم يعرفوها قط بذعر وفزع مذهلين . ذلك لان هذه الأشكال حين تدرك الأشخاص الذين تطاردهم تغشى أجسامهم فتسبب لهم شعوراً بالرعدة والقشعريرة ، فيسود الخوف الأغراب الذين لم يألفوها ، غير أن الوطنيين الذين طالما واجهوا مثل هذه الاشياء لا يلقون لهذه الظاهرة بالاً .

فقرة ٥١
الحكماء يفسرون الظاهرة

وعلى الرغم من أن هذا الأمر يبدو بعيداً عن التصديق وكأنه قصة خيالية ، الا أن بعض الحكماء الطبيعيين يحاولون تعليل هذه الظاهرة على النحو التالي :

فهم يقولون ان الرياح التي تهب في هذه البلاد ضعيفة بطيئة الحركة حتى لتكاد تكون ساكنة تمام السكون . وغالباً ما يعم الجوَّ هدوء شامل وافتقار شديد إلى الحركة ، إذ الواقع أنه لا يوجد بالقرب منها أودية ذات أحراش ولا وهاد وارفة الظلال . كما أنه ليس هناك أية مرتفعات تكون تلالاً .

(1) راجع : أرستوفان . السحب ٣٤٦ : « ألم تر قط سحابة في السماء ربما كانت قنطروساً أو فهداً أو ذئباً أو بقرة ! » ؟ وكذلك : ليو كريتيوس ٤/ ١٣٩ – ١٤٢ : (إذ تظهر غالباً صور عمالقة تحلق في الجو وتجر ظلالها إلى بعيد وأحياناً تبدو جبال باردة أو صخور قدت من الجبال تسير أمام الشمس وتمر بها ، ومن خلفها وحوش كاسرة تدفع وتشد السحب الأخرى) .

وأكثر من ذلك فانه ما من نهر في هذه البقاع ، ولا تخرج المنطقة المحيطة بها بخاراً ، وقد تجردت من النباتات . ثم يوضحون أن هذه الاشياء المعتادة جميعها هي التي تولد بدايات وتجمعات التيارات الهوائية . وتبعاً لذلك فان الظاهرة التي نشاهدها تحدث حين ينتشر هواء خانق فوق الأرض الجرداء بسبب السحب في الأيام الرطبة ، حين يتكون كل ضرب من هذه الأشكال ، توجد كذلك في ليبيا عندما يتكثف الهواء محدثاً اشكالاً وهمية متنوعة . وعندما تدفع نسيمات بطيئة هذا الهواء يرتفع إلى أعلى مسبباً حركات مرتعشة ومرتطماً بالأجسام الأخرى التي هي من نفس الجنس . لكن حينما يلي ذلك السكون فانه يهبط نحو الأرض بسبب ثقله ، وفي نفس الشكل الذي يتصادف أنه يخيله . ولما لم يكن هناك ما يقشع الهواء فانه يعلق بمثل هذه الكائنات الحية حينما تكون في طريقه عرضاً ..

أما عن الحركات التي تقوم بها هذه الأجسام في كلا الاتجاهين [1] فإنهم يقولون انها لا تشير إلى ارادة من جانبها ؛ فمن المستحيل أن تسكن إرادة الهرب والطراد شيئاً لا روح فيه . وعلى هذا فإن الكائنات الحية هي سبب هذه الحركات في الهواء دون أن تدري . فهي حين تتقدم تدفع بحركتها الإرادية الهواء الموجود تحتها . وهذا هو سبب تراجع الصورة التي تشكلت أمامها ، فتبدو كأنها تفر . وإذا ما تقهقرت الكائنات الحية فإن الأمر يمضي في الاتجاه المضاد ، حين تنعكس الآية ؛ إذ إن ما هو خلاء يجذب الأشكال نحوه .

(١) تطارد الانسان أو تفر منه .

فتظهر تبعاً لذلك وكأنها تطارد من يتقهقر أمامها من الناس ؛ إذ تنسحب الصورة إلى الفراغ فتندفع قدماً متجمعة بتأثير حركة الكائنات الحية الخلفية . أما بالنسبة لمن يولّون منها فإن من المعقول تماماً أن تشعر أجسامهم بلمسة خفيفة من الصورة التي تتبعهم ، سواء داروا حولها أم وقفوا مكانهم . ثم تتناثر هذه الصور قطعاً بمجرد أن تقع على جسم صلب . وحينما تتطاير في كل تجاه ترسل رعدة في جسم كل من تلامسه .

فقرة ٥٢

أما الآن وقد تناولنا هذه الأمور فإنه من المناسب ، فيما يتعلق بهذه المناطق التي ذكرناها ، أن نعرض للقصة التي يسجلها التاريخ عن « الأمازونات » [1] اللاتي كن في ليبيا في سالف الأيام . ذلك لأن أغلب الناس يعتقدون أنه ليس هناك أمازونات سوى من ذكر أنهن عشن بجوار نهر « ثرمودون » في اقليم « البونتوس » [2] . لكن الحقيقة خلاف ذلك ، فإن أمازونات ليبيا كن أقدم عهداً وقمن بأعمال باهرة . ونحن لسنا غافلين عن أن تاريخ هذا الشعب سيبدو

قصة الأمازونات

للكثيرين ممن يقرأون هذه القصة شيئاً لم يبلغ الأسماع وغريباً كل الغرابة . ولما كان جنس هذه الأمازونات قد اندثر تماماً منذ أجيال عديدة قبل حرب طروادة [3] ، بينما كانت

(١) مفردها « أمازونة» Amazon وتعني باليونانية : منزوعة الثدي. وسيشير ديودوروس لهذا بعد قليل .
(٢) منطقة بحر مرمرة .
(٣) كانت حرب طروادة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد .

النساء حول نهر ثرمودون في عنفوانهن قبل تلك الحرب بقليل ، فإنه ليس جزافاً القول بأن الأخيرات اللائي كن أكثر شهرة من أمازونات ليبيا قد ورثن هذه الشهرة عن سابقاتهن اللائي جهلهن أغلب الناس جهلاً تاماً بمرور الزمن .

مصدر القصة

أما نحن – على كل حال – فاننا لما وجدنا كثيراً من الشعراء والمؤرخين الأوائل يذكرونهن ، كما لم يغفلهن عدد كبير من المتأخرين ، فاننا سنحاول تعديد أعمالهن بايجاز متبعين ما رواه (ديونوسيوس) (١) الذي ألف قصة عن (بحارة الآرغو) و (ديونيسوس) كما كتب عن أشياء كثيرة أخرى حدثت في الأزمان الغابرة .

الغرغونات

كان في ليبيا عدد من اصنـــاف النســـاء على قدر كبير من الجرأة وتثير شدتهن الرجولية عظيم الأعجاب . فتحدثنا الأخبـــار مثلاً عن جنس من (الغرغونـــات) (٢) شن

---

(١) Dionysius عاش في الاسكندرية في أواسط القرن الثاني ق.م. وألف قصة خيالية نقل منها ديودوروس القصة التالية عن الأمازونات ووصف الاطلنطيين (انظر فقرات ٥٦ – ٥٧ – ٦٠) . وولادة الإله ديونوسيوس في ليبيا وعن بحارة الآرغو . وتعتبر الحكاية التالية مثلاً ممتازاً لنزعة التوفيق والتعقيل بالنسبة للأسطورة اليونانية القديمة .

(٢) Gorgons وهي عند هوميروس وحش من العالم السفلي ثبت رأسه في وسط درع زيوس . وعند هزيود ثلاث غرغونات كن يعشن في أقصى الغرب وعند يوربيدس موطنهن ليبيا . وكانت ميدوسا Medussa رئيستهن قد حاربت بيرسيوس فقتلها وقطع رأسها ، فانبثق من دمها بيغاسوس Pegasus ، الجواد المجنح وملاك الشعر وأفاع كثيرة ملأت الصحراء . وتمثل الغرغونة ميدوسا دائماً بشعر على هيئة حيات .

عليهن (برسيوس) (١) حرباً ، كما يروى عنه ، وهو جنس تميز ببأس شديد . والواقع أن ابن (زيوس) (٢) – أعظم الإغريق قدراً في زمانه – هو الذي قام بالحملة ضد هذه النساء . وان هذا العمل كان أعظم أعماله ، وهو ربما يؤخذ دليلاً على قوتهن ورفعة شأنهن على حد سواء . وفضلاً عن ذلك فإن البسالة الرجولية لتلك النسوة اللاتي سنكتب عنهن تدل على تفوق مدهش إذا ما قورنت بطبيعة النساء في أيامنا هذه .

فقرة ٥٣

مجتمع تحكمه النساء

لقد أخبرنا – على وجه الخصوص – أنه وجد ذات يوم في الأجزاء الغربية من ليبيا على اطراف المعمورة شعب تحكمه النساء . وكان هذا الشعب يتبع سبيلاً في الحياة يختلف عما يسود حياتنا من سبل . فقد كان من عرفهم أن تقوم النساء بمهام الحرب ويطلبن للخدمة العسكرية لفترة معينة . اعني الفترة التي يحتفظن فيها بعذريتهن . ثم كن يمضين إلى الرجال – حينما تنقضي سنو خدمتهن في الجيش – من أجل إنجاب الأطفال . لكنهن يظللن ممسكات بزمام الحكم وأمور الدولة في أيديهن . وكان الرجال ، مثلهم في ذلك مثل

---

(١) Perseus وهو في الأساطير اليونانية ابن « أيجيبتوس » وهو الوحيد من بين اخوته الخمسين الذي نجا حين طلب « دناوس » عمه من بناته الخمسين قتل ابناء اخيه ليلة زفافهن لسبب مجهول . فقتل عمه وحل محله وله مغامرات عديدة .

(٢) Zeus رب الأرباب . وهو هنا يعني برسيوس .

لم سمين بالأمازونات

نسائنا المتزوجات ، يمضون حياتهم في البيت ، ينفذون ما تصدره إليهم زوجاتهم من أوامر . ولم يكونوا يساهمون في الحملات الحربية أو في السياسة ، كما لم يكن لهم حق حرية الكلام في شئون المجتمع خوفاً من أن يجرأوا يوماً ويشقوا عصا الطاعة على النساء . وعندما يولد الاطفال فإنهم يسلمون إلى الرجال الذين يربونهم على اللبن وأطعمة أخرى مطهوة تناسب سن هؤلاء الرضع . وإذا ما حدث وولدت أنثى فإن ثدييها يجففان بالكي حتى لا ينموان عندما تصل سن البلوغ ، فقد كانت الأمازونات يعتقدن أن الأثداء تشكل عائقاً كبيراً في أثناء القتال حين تبرز من الجسم . والحق أن هذا هو السبب الذي جعل اليونان يطلقون عليهن هذا الاسم (الأمازونات) الذي يعني (المنزوعة الثدي) .

وكان موطنهن – كما تحكي الاساطير – على جزيرة تدعى (هسبيرا) [1] لأنها كانت في الغرب . وكانت تقع في سبخة (تريتونيس) [2] ، وكانت هذه السبخة بجوار الأوقيانوس الذي يحيط بالأرض ، وهي سميت كذلك بسبب نهر (تريتون) الذي كان يصب فيها . كما كانت هذه السبخة كذلك قريبة من (اثيوبيا) [3] وذلك الجبل عند ساحل

(١) Hespera وتعني الغرب وكانت بنغازي تدعى هسبير ديس .

(٢) Tritonis ويقول السيد Goodchild في كتيبه (بنغازي .. قصة مدينة) استناداً على ما رواه (سترابو) في كتابه (الجغرافيا) ولو كان في (محاوراته) ان هذه السبخة كانت تحتل ما يسمى الآن (سبخة السلماني) شرقي مدينة بنغازي حالياً .

(٣) Etheopia وتعني بلاد ذوي الوجوه السمراء التي لفحتها الشمس .

الأوقيانوس وهو أعلى جبل هناك بالقرب منه ويدعوه اليونان جبل (أطلس) . وكانت هذه الجزيرة المذكورة كبيرة الحجم وملأى بأشجار مثمرة من كل نوع ، كان الأهلون يحصلون على طعامهم منها . كما كانت تشتمل على قطعان هائلة من الماعز والاغنام يتخذ أصحابها من لبنها ولحمها غذاء لهم . لكن هذا الشعب لم يكن يستعمل الحنطة على الاطلاق إذ لم يكن استخدام ثمرة الأرض هذه قد عرف بينهم بعد .

بداية المغامرات

وتمضي القصة فتقول : إن الأمازونات – وقد أصبحن سلالة فائقة القوة تواقة إلى القتال – قمن أولاً بإخضاع مدن الجزيرة كلها فيما عدا واحدة تدعى (ميني) كانت تعتبر حرماً مقدساً ويسكنها (الأخثيوفاغي الأثيوبيون) [1] ، كما كانت موضعاً لثوران بركاني عظيم وبها كميات وفيرة من الأحجار الكريمة التي يسميها اليونان (الانثراكس) و(الساردیون) و (الزماراكدون) [2] . ثم أخضعن بعد ذلك كثيراً من قبائل الليبيين المجاورة لهن وقبائل البدو الرعاة . وشيّدن وسط سبخة تريتونيس مدينة عظيمة أسمينها (خرونيسوس) [3] نسبة إلى شكلها .

(١) Etheopian Ichthyophagi والاختوفاغي تعني باليونانية : أكلة الأسماك . وهو يعني أكلة الأسماك السمر .

(٢) Anthrax حجر كريم يشبه الياقوت و Sardion ولعله العقيق Smaragdon وهو الزمرد .

(٣) Cherronesus وتعني حرفياً : شبه الجزيرة . وهناك على خليج بومبة شرقي ساحل ليبيا موقع يعرف بهذا الاسم ويسمى الآن : رأس الطين .

فقرة ٥٤

الهجوم الأول

وتمضي القصة فتقول : إن الامازونات انطلقن من مدينة (خرونيسوس) ليقمن بمغامرات فائقة ، يدفعهن شوق إلى اكتساح أجزاء كثيرة من المعمورة . وطبقاً للقصة فان أول شعب زحفن اليه كان (الاطلنطيون) [1] ، أكثر الأمم تمدناً بين سكان هذه الاقاليم . وكانوا يسكنون بلاداً مزدهرة ويقتنون مدناً عظيمة . وقد أنبئنا أن الأساطير تحدد مولد الأرباب بين ظهرانيهم في المناطق التي تحاذي ساحل الاوقيانوس ، وهي تتفق في هذا الجانب مع رواة الخرافات من اليونان ، وسنتحدث عن هذا الأمر [2] بعد قليل .

جيش وعدة حرب

وقد قيل ان ملكة الأمازونات (مورينا) جمعت جيشاً تعداده ثلاثون ألفاً من الجنديات المشاة وثلاثة آلاف فارسة ، فقد كانت هذه النسوة يفضلن استخدام الخيل في حروبهن إلى درجة غريبة [3] . وكنّ يستعملن جلود الأفاعي الضخمة كأدوات دفاع ، إذ إن ليبيا تحتوي على عدد هائل من هذه الحيوانات ذات الحجم البعيد عن التصديق ، أما أسلحة الهجوم فقد كانت السيوف والرماح . كما كن يستعملن الأقواس والسهام ، ولا يضربن بها عند مواجهة العدو فحسب بل حتى عندما يلذن بالفرار ، وذلك بأن يرمين مطارديهن بالسهام من وراء ظهورهن بتصويب دقيق .

(١) Atlantians وأمرهم في عالم الأساطير معروف .

(٢) يعني ميلاد الآلهة الذي يتبعه بالتفصيل بعد الحديث عن الأمازونات الليبية .

(٣) هذا حكم لا يتفق مع عدد الخيالة القليل بالنسبة للمشاة .

الأمازونات يهزمن الاطلنطيين

وعندما دخلت الأمازونات بلاد الأطلنطيين هزمن أهل مدينة « كيرني » — كما تسمى — في معركة ضارية ، ثم شققن طريقهن عبر أسوار العدو الهارب واستولين على المدينة . ورغبة منهن في إلقاء الرعب في قلوب الشعوب المجاورة عاملن أسراهن بقسوة بالغة ، فوضعن السيف في أعناق الرجال من الشباب وما فوقهم ، واسترّققن الأطفال والنساء ، ودمرن المدينة تدميراً شاملاً . وقيل إنه لما عرف بقية القبائل الأخرى مصير إخوانهم أهل كيرني سلم الاطلنطيون — وقد عمهم الرعب — مدائنهم صلحاً ، وأعلنوا أنهم سيفعلون كل ما يؤمرون به . وأن الملكة مورينا سلكت نحوهم مسلكاً

مسلك كريم

كريماً ، فوطدت صداقتها معهم وأنشأت مدينة لتحمل اسمها بدلاً من المدينة التي قوّضت ، ووطنت فيها الأسرى ومن شاء من أهل البلاد . فهاداها الاطلنطيون من ثم بهدايا رائعة وأسبغوا عليها ضروب التكريم والتبجيل بمرسوم عام . فقابلت هي لطفهم بلطف ووعدتهم — فضلاً عن ذلك — بأنها ستسدي لأمتهم فضلاً .

ولما كان أهل تلك البلاد كثيراً ما أقضّ مضاجعهم الغرغونات — كما كن يسمين — وهن شعب كان يقيم على تخومهم ، وكانوا يتحينون الفرصة للإيقاع بهن ، فإن الاطلنطيين سألوا مورينا أن تغزو أرضهن . ولما استنفر الغرغونات قواتهن

القتال بين جيشين من النسوة وانتصار الأمازونات

لمقاومة الأمازونات نشبت معركة عنيفة انتصر فيها الأمازونات ، وقتلن أعداداً هائلة من عدواتهن وأسرن ما لا يقل عن ثلاثة آلاف أسيرة . ولما هرب من بقي من الغرغونات إلى غابة طلباً للنجاة قررت مورينا أن تحرقها رغبة منها في ابادة

هذا الجنس ابادة تامة . لكنها عادت إلى حدود بلادها حين تبين لها أن التوفيق لن يكون حليفها في محاولتها تلك .

فقرة ٥٥

ويقولون : ان الامازونات اهملن الحراسة ليلاً اطمئناناً إلى فوزهن . فوثبت الأسيرات من الغرغونات واستللن السيوف

محاولة الغرغونات الانقضاض وسحقهن

من تلك المغرورات بانتصارهن وقتلن عدداً كبيراً منهن . غير ان الأمازونات تكاثرن عليهن من كل جانب وذبحت الاسيرات عن بكرة ابيهن بعد ان قاتلن بشجاعة فائقة . ثم أقامت مورينا جنازاً لمن سقطن صرعى من رفيقاتها على ثلاثة اكوام من الخشب ، واعلت ثلاثة تلال عظيمة من التراب كمقابر لا تزال تدعى « روابي الأمازونات » حتى اليوم .

لكن قوة الغرغونات اشتدت فيما بعد واخضعهن برسيوس ابن زيوس مرة أخرى ، حين كانت ميدوسا ملكة عليهن ، ثم أبادهن (هرقل) (١) تماماً ، كما أباد أيضاً جنس الأمازونات ،

هرقل يبيد الغرغونات

حين زار الاقاليم الغربية وركز اعمدته في ليبيا . فقد شعر هرقل بأنه مما لا يتفق مع عزمه على أن ينعم على الجنس البشري كله ان يسمح بان تحكم النساء أي أمة من الأمم . وتقول القصة ايضاً ان سبخة تريتونيس اختفت عن الأنظار

(١) Heracles ويدعى عند الرومان Hercules . وهو بطل يوناني ، أله وعبد على مر الأيام . وكانت له مغامرات عديدة أمرته بها الآلهة عندما رمى زوجته خطأ فقتلها . ومن بينها في ليبيا احضار التفاحات الذهبية من جنائن سيدات الغرب أو الهسبيريديس ومصارعة حارسها التنين (لادن) ومقاتلة الامازونات .

في اثناء زلزال ، حين شطرت اجزاؤها التي كانت تقع عند المحيط إلى شطرين .

أما عن مورينا فان القصة تمضي فتقول : انها زارت القسم الاكبر من ليبيا ، واجتازتها إلى مصر فعقدت معاهدة صداقة مع (حورس بن ايزيس) (١) الذي كان ملك مصر آنذاك .

انتصارات الملكة مورينا وتأسيسها المدن في ما احتلته من بلاد

ثم اخضعت سوريا ، بعد ان شنت حرباً حتى النهاية على الاعراب وقتلت كثيراً منهم . لكن عندما خرج (القليقيون)(٢) بهداياهم لاستقبالها ووافقوا على اطاعة اوامرها تركتهم احراراً لانهم اذعنوا لها بمحض ارادتهم . ولهذا السبب يدعى هؤلاء « القليقيون الاحرار » حتى اليوم . وهي انتصرت كذلك في حرب شنتها على الاجناس التي في اقليم (طوروس) وهي شعوب على قدر كبير من الشجاعة ، ثم هبطت عبر (فروجيا الكبرى) إلى البحر (٣) . ثم استولت على البلاد الممتدة على الساحل وثبتت حدود حملتها عند نهر (كايكوس) (٤) . واختارت في الاقليم الذي استولت عليه بالقوة مواقع تصلح

(١) Isis إلهة مصرية زوجة اوزريس وأم حورس . عبدت في مصر وليبيا ثم في اليونان وروما .

(٢) Cilicians سكان جنوب آسيا الصغرى ما بين بامفيليا وسوريا ، تحدهم جنوباً جبال طوروس .

(٣) Great Phrygia في آسيا الصغرى ، ويعني بالبحر البحر الابيض المتوسط .

(٤) Caicus وهو النهر الذي يمر ببرغاموم ويصب في البحر الايجي .

لاقامة المدن . وبنت عدداً لا بأس به منها ، كما أسست مدينة حملت اسمها [١] .

أما المدن الأخرى فقد أطلقت عليها أسماء النسوة اللاتي شغلن أكبر المناصب معها مثل (كومي) و (بيتانــا) و (بيريني) [٢] .

مدن أنشأتها وأخرى استولت عليها

هذه إذن هي المدن التي أنشأتها بحذاء البحر ، غير أنها أنشأت مدناً أخرى أكثر عدداً في الأقاليم الممتدة إلى الداخل . وهي استولت كذلك على بعض الجزر ، خاصة (لسبوس) [٣] التي أنشأت عليها مدينة (ميتوليني) [٤] وقد اسمتها باسم اختها التي كان لها دور في الحملة . وبعد ذلك أمسكت بمورينا عاصفة في البحر بينما كانت تقوم باخضاع بعض الجزر الباقية ، فراحت تدعو من أجل نجاتها وتنذر النذر لأم الأرباب [٥] . فألقت بها الريح إلى إحدى الجزر الخالية ، فجعلت من هذه الجزيرة حرماً مقدساً لهذه الربة إطاعة لرؤيا رأتها في منامها ، وبنت هناك نصباً وقدمت قرابين عظيمة .

---

(١) مدينة مورينا في موسيا شمال غرب آسيا الصغرى . انظر : سترابو : ١٣/٣/٦ .

(٢) Cumè مدينة في ايونيا ، و Pitana ميناء على الساحل الغربي من موسيا ، و Prienè مدينة في ايونيا لا زالت آثارها الرائعة حتى اليوم .

(٣) Lesbos جزيرة غرب آسيا الصغرى عند مدخل الدردنيل .

(٤) Mitylenè أكبر مدن جزيرة لسبوس .

(٥) هي Cybelê وكان يعبدها اليونان والرومان . وتعرف بأسماء كثيرة منها : ريا ، أتيس ، جي ، ديمتريس .

وهي أطلقت عليها كذلك اسم (ساموثراكي) الذي يعني حين يترجم إلى اليونانية « الجزيرة المقدسة » ، رغم أن بعض المؤرخين يقول إنها كانت تدعى سابقاً (ساموس) ثم سماها (التراكيون) الذين سكنوها ذات يوم (ساموتراكيا) . وعلى كل حال فان الأسطورة تقول إنه بعد أن عادت الأمازونات إلى ليبيا أسكنت أم الأرباب الجزيرة — وقد رضيت عنها كل الرضا — شعباً آخر ، كما أسكنتها ابناءها المعروفين بأسم (الكوروبانتس) [١] ، وهم الذين كان من شعائرهم أن لا يبوحوا بسر والدهم . ثم أنشأت الطقوس المحتفى بها الآن في الجزيرة وفرضت فرضاً يتيح للمنطقة المقدسة التمتع بحق الملجأ الحرام .

التراقيون يردون الامازونات الى ليبيا

ويمضون فيقولون : إن (موبسوس) التراقي الذي نفاه (لوكورغوس) [٢] ملك التراقيين ، غزا في هذه الأزمان بلاد الأمازونات بجيش مؤلف من رفاق المنفى . وكان مع موبسوس كذلك في الحملة (سيبولوس) السكيذي الذي كان هو الآخر منفياً من ذلك الجزء من سكيذيا الذي يتاخم تراقيا . وحدثت معركة رهيبة انتصر فيها موبسوس وسيبولوس ، وقتلت مورينا ملكة الأمازونات والقسم الأكبر من بقية جيشها . وعلى مر الأيام ، وباستمرار انتصارات

---

(١) Corybantes أنصاف آلهة علاقتهم بأم الأرباب كعلاقة الـ Curetes بزيوس أبي الأرباب . وكان من جملة الطقوس التي تقام لهم رقصة كان يعتقد أنها تبرىء مختلي العقول .

(٢) Lycurgus اسطورياً هو ملك Edones في تراقيا . دفع إلى الجنون ثم قتل لأنه عذب ديونيسوس وصحبه .

التراقيين في معاركهم ، انسحبت بقية الأمازونات نهائياً إلى ليبيا مرة أخرى .

وهكذا كانت نهاية الحملة التي قامت بها أمازونات ليبيا — كما تقول الاسطورة .

نصوصٌ مِن بروكوبيوس القيصري

تعريفٌ

بروكوبيـوس القيصري أو Procopius of Caesareas مؤرخ بيزنطي ولد في قيصرية بفلسطين حوالي نهاية القرن الخامس بعد الميلاد . وهو ربما اشتغل بالمحاماة في القسطنطينية ، ثم عين أمين سرٍّ خاصاً للقائد « بيلاسيريوس » عام ٥٢٧ م . وصاحبه في حملاته على فارس وافريقيا وإيطاليا . ثم عاد إلى القسطنطينية عام ٥٤٠ م . ولا يكاد يعرف عنه شيء بعد ذلك عدا أنه كان يعيش عام ٥٥٩ م .

وتقع كتابات بروكوبيوس في ثلاثة أقسام : « التواريخ » عن حروب فارس والوندال وافريقيا – في ثمانية كتب ، و « عمائر جستنيان » – في ستة كتب ، و « الذكريات غير المنشورة » – وهي سميت كذلك لأنها لم تنشر في حياة الكاتب .

ويحوي كتاب « العمائر Buildings » قائمة بأعمال ومنشآت عامة انجزت في عهد جستنيان ، ويبدو أنه كتب برغبة امبراطورية خاصة ، كما يعتقد بعض الباحثين ، إذ هو يحوي انطباعات شخصية كثيرة ، ويتميز بطابع التقرير الرسمي وتملق الإمبراطور وتمجيد أعماله .

ويسمّي بروكوبيوس « التواريخ Histories » باسم « كتب عن الحرب » واشتهرت بكتاب « الحروب » . وهي تتحدث عن الحرب الفارسية والحرب الوندالية التي تحكي قصة التغلب على الوندال في افريقيا ، ثم الحرب القوطية .

وينبغي أن لا تفوت الإشارة إلى أن بروكوبيوس كان مناصراً متعصباً للنصرانية الكاثوليكية ، وهي المذهب الذي كان يدين به جستنيان، مما يظهر أثره واضحاً في كثير من رواياته وأحكامه في النصوص التالية.

كتاب « العمائر »

الكتابان الرابع والخامس

ليبيا في عصر جستنيان

النيل بين آسيا وليبيا

يقسم نهر النيل ، الذي ينبع من الهند ويصب في مصر [١] ، تلك البلاد [٢] إلى قسمين اثنين حتى يبلغ البحر [٣] . ويطلق على هذه البلاد – وقد شقها مجرى النهر – بعد ذلك اسمان مختلفان [٤] .

أما المنطقة التي على يمين النهرفتسمى (آسيا) حتى تبلغ جبال الأورال التي تفصل آسيا عن قارة (أروبا) ، أو حتى كل

---

(١) كان الاعتقاد القديم أن الهند تمتد في اتجاه الغرب حتى جنوب مصر ، وقد فكر الاسكندر الأكبر في العودة إلى مصر من الهند عن طريق اليابسة .

(٢) يعني قارة افريقيا الآن .

(٣) البحر الأبيض المتوسط .

(٤) في كتاب (الحروب) مجلد ٨ قسم ٦ يقول بروكوبيوس ان الآراء تختلف حول الحدود بين آسيا وأروبا ، ويقرر أن الناس يزعمون أن النيل يجري بين آسيا وليبيا .

الطريق إلى البوغاز الكمبري ونهر (تانايبس) [1] . وعند النظر في هذه المسألة نرى المتضلعين في هذه الأمور يختلف كل منهم مع صاحبه مثلما هو موضح في « الكتاب عن الحرب »[2]

اختلافات في هذا التقسيم

في سياق وصفه لبحر (يوكسين) [3] . واما الأرض التي تقع على يسار النيل فانها تحمل اسم (ليبيا) حتى تبلغ الأوقيانوس [4] الذي يبين الحد في الغرب بين القارتين بأن يمد ذراعاً [5] تدخل في بحرنا هذا [6] . ويطلق على باقي ليبيا كله عدة اسماء مختلفة ؛ فسميت كل منطقة — على

ماذا يعني اسم ليبيا

الأرجح — باسم القوم الذين يعيشون فيها . وعلى كل حال فان المنطقة الممتدة من حدود الاسكندرية حتى مدينة قورينا ، شاملة (المدن الخمس) ، هي الآن الإقليم الوحيد الذي يدعى باسم ليبيا .

وفي ذلك القطر توجد مدينة تبعد مسيرة يوم واحد عن الاسكندرية ، اسمها (تافوزيريس) حيث يقولون إنها مثوى إله المصريين (اوزيريس) [7] . وقد بنى الامبراطور (جستنيان) في هذه المدينة منشآت كثيرة اذكر منها على

---

(١) نهر الدون Don الآن .

(٢) مجلد ٨ قسم ٦ .

(٣) البحر الأسود .

(٤) المحيط الاطلنطي .

(٥) مضيق جبل طارق .

(٦) البحر الابيض المتوسط « بحر الروم » .

(٧) Osiris إله مصري يسميه هيرودوتس وديودورس الصقلي (ديونوسوس). كان زوج ايزيس ووالد حورس .

وجه الخصوص محلات إقامة الحكام والحمّامات .

ويتفق أن يكون الجزء الأعظم من أرض ليبيا هذه صحراء لم يعتنَ بها على وجه العموم ، غير ان امبراطورنا [1] نظر إلى

انشاءات جستنيان في ليبيا الشرقية

هذه البلاد كذلك بعين الاهتمام حتى لا تكون عاثرة الحظ فتقاسي من غارات المور [2] الذين يسكنون البلاد المجاورة ؛ فأسس من أجل هذا حصنين بحاميتيهما يدعى أحدهما (باراتونيوم) [3] ، بينما أطلق على الآخر الذي يقع بعيداً عن المدائن الخمس ، اسم (انتيبيورغوم) [4] .

في برنيق وما حولها

وتبعد المدائن الخمس عن الاسكندرية مسيرة عشرين يوماً ، لمسافر لا حمل له [5] ، وقد أحاط الامبراطور جستنيان في منطقة المدائن الخمس هذه مدينة (توخيرا) [6] بتحصينات

---

(١) يعني جستنيان .

(٢) The Moors ومن الصعب تحديد اللفظ ، إلا أن الأغلب انه كان يطلق على سكان شمال افريقيا ما بين ليبيا والمغرب . وهم ، كسواهم من الاجناس ، ذوو نشأة اسطورية . ويقال ان جدهم الاعلى هو Tidrarin ويعني : إنسان الجبل . إذ ان معنى كلمة Adrar بالبربرية « الجبل » . انظر للتفصيل :

L. C. Briggs. Tribes of The Sahara, London. 1960, p. 277

(٣) Paratonium مرسي مطروح. وكانت تدعى أيضاً Ammonia.

(٤) Antipyrgum – طبرق الآن .

(٥) حوالي ٤٠٠ ميل .

(٦) Tauchira طوكرة الآن .

قوية جداً . وهو أعاد بناء سور (برنيق) [1] الدائري من أساساته السفلى ، وابتنى في تلك المدينة أيضاً حماماً يستعمله الشعب . وفضلاً عن ذلك فقد شيّد على أقصى حدود المدائن الخمس من ناحية الجنوب قلاعاً في ديرين يحملان اسمي (اغريولدي) و (دينارثيسوم) ، وهما يقفان كحصنين في وجه أهل ذلك الإقليم حتى لا يهبطوا خلسة إلى المنطقة الرومانية ويهاجموها على حين غرة .

وبتولومايس

وتوجد هناك مدينة تدعى (بتولومايس) [2] ، وكانت في الأزمنة الغابرة مزدهرة وآهلة بالسكان ، لكنها كادت تهجر تماماً بمضي الزمن نظراً لافتقارها الشديد إلى الماء ، فإن أغلب السكان تركوها منذ زمن طويل ، وقد أمضّهم الظمأ ، وذهب كل منهم إلى وجهته . وعلى كل حال فإن هذا الامبراطور أعاد بناء قناطر المدينة الآن ، فأعاد لها بهذا ازدهارها القديم .

وتدعى أقصى مدينة من المدن الخمس ناحيـــة الغرب (بوريوم) [3] ، وهنا تقترب الجبال من بعضها البعض ، فتكوّن بالتحامها حصناً فتسد المدخل على العدو تماماً . وقد أحاط الامبراطور هذه المدينة ، التي لم يكن لها سور من قبل ، بتحصينات قوية حتى يجعلها آمنة جهد الطاقة في المستقبل ، هي وكل ما يحيط بها من البلاد .

---

(١) Berenice بنغازي الآن .

(٢) Ptolimais طلميثه الآن.

(٣) Boreium راجع ما نشره Goodchild عنها في مجلة Hellenistic Studies لندن . العدد ٤١ .

جالو وأوجلة

وهناك مدينتان تعرف كل منهما بذات الاسم ، تدعى كل منهما (اوجلة) [1] . وهما تبعدان عن بوريوم جنوباً بحوالي مسيرة أربعة ايام لمسافر لا حمل له [2] . وهما مدينتان قديمتان احتفظتا كلتاهما بعبادات الأقدمين ، إذ كانوا جميعاً في ضلال الشرك حتى يومي هذا . وتوجد هنا معابد من الأزمنة الغابرة مكرسة (لآمون) [3] و (الإسكنـــدر المقدوني) [4] ، وقد تعوّد الأهالي فعلاً أن يقدموا لها القرابين حتى عهد جستنيان ، وكان في هذا المكان عدد كبير ممن يدعون (عبيد الهيكل) [5] . لكن الامبراطور أخذ أهبته

نشر النصرانية

الآن ، لا لأمن أشخاص رعاياه فحسب ، بل هو وضع في اعتباره خلاص أرواحهم كذلك ، فاعتنى من كل سبيل بمن يعيش هناك من الناس . والحق انه لم يترك وسيلة للتفكير في حاجاتهم المادية تفكيراً يفوق العادة . وهو علمهم كذلك مذهب العقيدة الحقة [6] ، فحول السكان جميعهم إلى

---

(١) لعله يعني ما يدعى الآن واحتي جالو وأوجله . قارن : هيرودوتس . الكتاب الرابع فقرة ١٧٢ .

(٢) هذا يعني حوالي ٨٠ ميلاً .

(٣) Ammon ومعبده في سيوه ، ولعل له معابد اخرى متفرعة عنه .

(٤) ابن فيليب المقدوني . ولد سنة ٣٥٦ ق.م. وتوفي عام ٣٢٣ ق.م. وأمره معروف مشهور . وقد زار الاسكندر معبد آمون في سيوه واعلن انتماءه إليه . وهناك نقود سكت باسم الاسكندر تحمل صورته يزينها قرن الكبش الذي كان رمزاً لآمون .

(٥) Temple - Slaves لعلهم كانوا مكرسين لخدمة المعبد، أو هم سدنته .

(٦) يعني النصرانية المؤمنة بالتثليث .

النصرانية ومهد السبيل لتبديد عادات أجدادهم الرجسة .

وبنى لهم فضلاً عن ذلك كنيسة لأم الرب (١) ، لتكون حارساً لأمن المدينتين والعقيدة الحقة . وحسبنا من هذا الآن .

اليهود ومعبد سليمان

أما مدينة بوريوم ، التي تقع بالقرب من المور ، فانها لم تذعن قط لدفع الجزية حتى الوقت الحاضر ، كما لم يأتها جامع جزية أو ضرائب منذ أن خلق الإنسان . وقد عاش اليهود بالقرب منها منذ الأزمنة القديمة ، وكان لهم معبد عتيق هناك أيضاً يوقرونه ويكرمونه ، منذ ان بناه (سليمان) (٢) — كما يقولون — حين كان يحكم الشعب العبري . لكن الإمبراطور جستنيان مهد الطريق إلى أن يغير جميع هؤلاء عبادة أسلافهم كذلك ويصبحوا نصارى ، وحوّل معبدهم إلى كنيسة .

لمَ سميت سرت الكبرى بهذا الاسم

وتقع بعد هذه (سرت الكبرى) (٣) — كما تسمى — وسأشرح شكلها ولمَ أطلق هذا الاسم عليها ، فإن نوعاً من شاطىء البحر يمتد هناك يقسمه البحر بدخوله ، ولما كان مغطى بالماء فانه يبدو وكأنه يختفي ولا يصبح واضحاً ، فيشكل بانحناءاته خليجاً هلالي الشكل طويلاً جداً . ويمتد وتر الهلال إلى مسافة أربعمائة فرسخ (٤) ، لكن محيطه يبلغ مسافة

(١) مريم العذراء .

(٢) هو سليمان الحكيم ، أو سليمان بن داود . حكم من سنة ٩٧٦ — ٩٣٦ ق.م. وكان على علاقة وثيقة بالفرعون الليبي شيشنق « ٩٤٥ — ٩٢٤ ق.م. » وقد تزوج من ابنة شيشنق هذا وكان لها عليه تأثير كبير .

(٣) يعني خليج سدرة .

(٤) حوالي ٥٠ ميلاً .

ستة أيام (١) ؛ لأن البحر يكوّن الخليج بأن يدفع نفسه داخل هذا الذراع من اليابسة . وعندما يدفع الريح أو الموج سفينة فتدخل الثغرة التي وراء وتر الهلال يستحيل عليها أن تعود ، بل هي تبدو منذ تلك اللحظة وكأنها تُسْحَب (٢) ، ويظهر بجلاء أنها تُجرّ إلى الأمام . وأحسب أنه من هذه الحقيقة سمي الأوائل موقع (سرت) وبسبب من مصير السفن . ومن جهة أخرى فإنه من المتعذر على السفن أن تشق طريقها إلى الشاطىء لأن الصخور الغاطسة تحت الماء ، والتي انتشرت عبر القسم الأكبر من الخليج ، لا تسمح بالملاحة في هذه الأنحاه ، فهي تحطم السفن في المياه الضحلة هناك . ولا يستطيع بحارة هذه السفن أن ينجوا بأنفسهم إلا في القوارب الصغيرة ، إذا كان الحظ حليفهم ، وذلك بأن يتلمسوا طريقهم إلى المنافذ وسط الأخطار (٣) .

(١) حوالي ١٢٠ ميلاً .

(٢) Surithai باللاتينية . وقد علق مترجم النص إلى الانجليزية بقوله : « إن علم الاشتقاق الحديث يربط الاسم بالكلمة العربية « سرت » أي الصحراء ، وهو اصطلاح يطلق الآن على كل الساحل شمال الصحراء » . ولم أجد في ما بين يديّ من معاجم وقواميس عربية ما يؤيد هذا القول .

(٣) من أشهر حوادث أخطار ضحاضح سرت ما حدث للقديس بولس حين كان في طريقه إلى إيطاليا للتبشير لنصرانية ؛ فتعرضت السفينة التي كان فيها إلى بعض هذه الاخطار « ... فلما نسمت ريح جنوب ظنوا أنهم قد ملكوا مقصدهم ، فرفعوا المرساة وطفقوا يتجاوزون كريت على أكثر قرب ... وإذ كانوا خائفين أن يقعوا في السيرتس « سرت » أنزلوا القلوع ، وهكذا كانوا يحملون . وإذ كنا في نوء عنيف جعلوا يفرغون في الغد.وفي اليوم الثالث رمينا بأيدينا أثاث =

طرابلس وغدامس

وهنا توجد حدود (طرابلس) [١] كما تسمى ، ويسكنها المور الذين هم من أصل فينيقي . كما توجد هنا ايضاً مدينة تسمى (غدامس [٢]) ، وفيها يعيش المور الذين كانوا متسالمين مع الرومان منذ غابر الازمان . وقد كسب الامبراطور جستنيان هؤلاء جميعاً واعتنقوا العقيدة النصرانية طوعاً . ويسمى هؤلاء المور (باكاتي) [٣] لأن بينهم وبين الروم معاهدة دائمة ، إذ أن السلام يدعونه (باكوم) [٤] في اللسان اللاتيني . وتبعد طرابلس مسيرة عشرين يوماً عن بنطابلس [٥] لمسافر لا حمل له .

وتأتي بعد هذا مدينة (لبدة العظمى) [٦] التي كانت في الأزمنة

=السفينة . وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة واشتد علينا نوء ليس بقليل انتزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا ... ولما صار النهار لم يكونوا يعرفون الأرض ولكنهم أبصروا خليجاً له شاطىء ، فأجمعوا أن يدفعوا إليه السفينة إن أمكنهم . فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر وحلوا ربط الدفة أيضاً رفعوا قلعاً للريح الهابة واقبلوا إلى الشاطىء. وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شططوا السفينة فارتكز المقدم ولبث لا يتحرك، وأما المؤخر فكان ينحل من عنف الامواج ..» العهد الجديد — أعمال الرسل . الاصحاح السابع والعشرون .

(١) Tripolis أو المدن الثلاث .

(٢) Cidamê واحة ليبية على الحدود مع الجزائر .

(٣) Pacati أي المسالمون .

(٤) Pacum السلم ومنه الكلمة الانجليزية Peace .

(٥) Pentapolis مدن برقة الخمس .

(٦) Leptis Magna شرقي مدينة الخمس بمسافةيسيرة. وهي مدينة انشأها الفينيقيون بعد إنشاء قرطاجنة بتونس كمستقر تجاري لهم ، =

لبدة العظمى

القديمة مدينة كبيرة آهلة بالسكان ، غير أنها في زمن لاحق خلت في الجزء الأكبر منها ، فطمرتها الرمال بكثرة وأصابها الإهمال . فبنى امبراطورنا السور المحيط بهذه المدينة من أسسه ، وإن كان لا يبلغ على كل حال مقدار سعته التي كان عليها من قبل ، حتى لا تضعف المدينة مرة أخرى بسبب من اتساعها الكبير ويمكن ان تسقط في يد العدو أو تغزوها الرمال . وهو فعلاً ترك القطاع المطمور من المدينة بسور مبني بناء قوياً جداً . وهو هنا أوقف على أم الرب [١] حرماً شهيراً للغاية ، وبنى أربع كنائس أخرى .

قصر سيفروس

وأكثر من هذا فإنه أعاد بناء القصر الذي شيد هنا في الأزمنة السالفة ويرقد الآن أطلالاً ، وهو من عمل الامبراطور القديم (سيفروس) [٢] الذي ولد في هذا المكان وخلف هذا القصر كذكرى لحظه السعيد .

=وازدهرت ازدهاراً عظيماً في عهد الرومان وصارت مدينة حرة ، خاصة إبان حكم ابنها (سبتيموس سيفروس) . ولا تزال آثارها الفخمة تعد حتى اليوم من اجمل واعظم آثار العالم ان لم تكن تبزها جميعاً .

(١) يعني مريم العذراء أم عيسى عليه السلام .

(٢) لوكيوس سبتيموس سيفروس L. Septemius Severus ولد في لبدة سنة ١٤٦ م. والراجحانه من أرومةليبية.وبعد توليه عدة مناصب في عهد ماركوس أوريليوس وكومودوس عين قائداً للجيش في الليريا (يوغوسلافيا الآن وما حولها) فأعلنه جنوده امبراطوراً بعد وفاة بيرتاكس ، فسار في الحال إلى روما . ولما استولى على العرش أدار جيشه نحو خصمه « نيجر » الذي نادت به فيالق جيش الرومان في الشرق امبراطوراً ، فهزمه عند أسوس وقتله عام ١٩٤ م . ثم حاصر بيزنطة (القسطنطينية) وأخذها عنوةً سنة ١٩٦ م. وفي هذه الأثناء قاد حملة=

لبدة بين الوندال ولواته

والآن ، وقد بلغت هذه النقطة في الحديث ، فإنني لا أستطيع أن أتجاوزها دون أن أذكر ما حدث في لبدة العظمى في أيامنا ، فانه حين تسلم الامبراطور جستنيان زمام السلطة الامبراطورية ، وإن كان لم يكسب الحرب الوندالية (١) بعد ، تغلب المور الذين يدعون (لواته) (٢) على الوندال الذين

ناجحة شرقي الفرات سنة ١٩٥ م . وبعد سقوط بيزنطة انقلب الامبراطور إلى روما ، ثم ليحارب خصمه آلبينوس في فرنسا ، فانتصر عليه وقتله عام ١٩٧ م . وأصبح سيفروس بهذا السيد المطلق على العالم الروماني بأسره . وبين عام ١٩٩ — ٢٠٢ م . كان سيفروس في الشرق لقمع ثورة البارثيين الذين اكتسحوا بلاد ما بين النهرين ، ثم عاد إلى روما في السنة التالية . وخلال السنوات الخمس التالية انهمك في تحسين أحوال مدن امبراطوريته . وقد فازت لبدة من عنايته بنصيب الأسد ، إذ كانت تحتل مكانة خاصة في قلبه وعقله ، وحظيت بزيارته واهتمامه. وكان سيفروس في بداية حياته قد اقترن بأميرة سورية تدعى Julia Domna وكانت هذه السيدة قد احضرت معها اختها مائسة J. Maesa وابنتي أختها . وكن جميعاً على ذكاء وفطنة كبيرين ، وعن طريقهن عمت الروح الشرقية العالم الروماني . وتوفي سيفروس في يورك بانجلترا في أثناء حربه مع قبائل أسكتلندا وانجلترا عام ٢١١ م . بعد حكم زاهر استمر ١٨ عاماً ، وخلفه إبناه كاركلا وجيتا على العرش .

(١) هي الحرب التي خاضها أباطرة بيزنطة ضدّ الوندال في أوروبا وافريقيا . (انظر : بروكوبيوس . كتاب الحروب . الكتاب الثالث . الحرب الوندالية . المجلد الثاني من سلسلة Loeb) .

(٢) Luathae ويذهب فرنسيس رود F. Rodd في كتابه People of The Veil (ص ٣٣٧) إلى ان قبائل لواته هي بعينها قبائل الليبو Lebo القديمة . وهو يعزز رأيه بتطابق الإسمين تقريباً ، وبأن الأدريسي وضع لواته في نفس الموضع الذي عينه لهم المؤرخ ليو ودعاهم ليبيتاي Lebetae =

كانوا يسودون ليبيا آنذاك ، وأخلوا لبدة العظمى كليةً من السكان . وبينما كانوا يتربصون مع قادتهم على أرض مرتفعة غير بعيد من لبدة العظمى رأوا فجأة لهباً يتصاعد وسط المدينة ، فسارعوا إلى النجدة على عجل ظانين أن الأعداء دخلوها ، فلما لم يجدوا أحداً هناك حملوا الأمر إلى كهانهم الذين تنبأوا ، استناداً إلى ما حدث ، بأن لبدة العظمى ستعمّر من جديد . ولم يمض وقت طويل بعد هذا حتى جاء جيش الإمبراطور واحتل كلاً من طرابلس وبقية ليبيا داحراً كلاً من الوندال والمور في الحرب . وسأعود على كل حال إلى النقطة التي بعدت عنها في الحديث .

وقد بنى الامبراطور جستنيان في هذه المدينة كذلك حمامات

=أو لفاته Levata. ويرى رود أن النطق العربي الذي أورده ابن خلدون في حديثه عن البربر وهو (لواته) ربما كان محرفاً عن (لفاته) اللاتينية . وكان حرفا الـ B والـ V كثيراً ما يختلطان في العصر البيزنطي ، فيقال (بندال) و (فندال) مثلاً . وقد كانت مواطن لواته في العهد البيزنطي في سرت الصغرى (خليج قابس) . ويقول المسعوديّ إنهم كانوا يعيشون في واحات مصر ، كذلك نحن نعرف أن قبائل الليبو تعرضت لغزو قبائل المشوش في الغرب . فمن المرجح أن يكون هناك اختلاط بين القبيلتين وأن من الليبو من بقي في الواحات شرقي ليبيا ومنهم من جاء إلى غربها .

وقد قامت لواته في القرن العاشر الميلادي (٩٤٧ — ٨) بمساعد حاكم تاهرت في الجزائر ضد المنصور الخليفة الفاطمي الثالث . فلما انتصر المنصور على خصمه دفع لواته إلى الصحراء ، فمنهم من لاذ بالجبال ما بين صفاقس وقابس حيث ظلوا حتى أيام ابن خلدون ، ومنهم من لجأ إلى واحة سيوه والمناطق المحيطة بها .

عامة ، وشيد السور المحيط بالمدينة من أسسه السفلى ، فأسبغ على المدينة بهذه الحمامات والتحسينات الأخرى طابع المدينة .

وهو جعل من أهل القبائل التي تعيش بالقرب منها ، والتي تدعى (الغادابيتاني) (١) – وكانت حتى ذلك العهد منغمسة في ما يسمى شكل الإلحاد الاغريقي (٢) – جعل منهم الآن نصارى متحمسين . وهو سوّر كذلك مدينة صبراتة (٣) حيث بنى أيضاً كنيسة جديدة بالاعتبار.

من اعمال جستنيان التبشيرية

---

(١) Gadabitani قبيلة ليبية لا يعرف موطنها .

(٢) يعني الوثنية .

(٣) Sabratha . غربي طرابلس بحوالي ستين كيلو متراً .

كتاب «الحروب»

الكتاب الثالث

الحروب الوندالية

تعريف

احتل الوندال قرطاجنة سنة ٤٣٩ م . تحت قيادة (جيزريك) ، بعد ان اخترق إسبانيا حين دعاه (بونفاشو) لمساعدته ضد منافسته (بلاكيديا) ، فطرده جيزريك من مملكته ، وحكم هو وعقبه افريقيا مائة عام بعد ذلك .

وقد كان الوندال شعباً من أصل جرماني هاجروا من موطنهم على بحر (آزوف) عبر المانيا وفرنسا وإسبانيا . واعتنقوا خلال هجرتهم النصرانية الآريانية ، فكانوا الأعداء الألداء للكاثوليكية . فسلبوا الإفريقيين الكاثوليك أموالهم ، وطردوا القساوسة ، ومن ظل على اعتناقه للكاثوليكية . وهم لم يحتلوا المدن في حملتهم الطويلة ، بل تجنبوها وعمدوا إلى تدمير تحصيناتها وقلاعها حتى لا يحتمي بها أعداؤهم ، وكانت هذه هي عادة زعيمهم الأول جيزريك ، فدمروا أسوار لبدة وصبراتة وربما أويا . والأثر الوحيد الدالّ عليهم في المدن هي قطعة النقود التي وجدت في سوق لبدة .

وقد مات جيزريك عام ٤٧٧ م. ولم يحدث بينه وبين القبائل الليبية صراع أثناء حياته ، بل كان بينه وبين الروم البيزنطيين في شمال افريقيا . غير

أن الامور بين الوندال والليبيين لم تلبث أن توترت ، فقام زعيم قبيلة ليبية اسمه (كاباون) بالثورة في وجه الوندال وملاقاتهم حتى تمكن بحنكته وخبرته الحربية من هزيمتهم ودحرهم . ولا يحدد بروكوبيوس اسم قبيلة كاباون ، وان كان الاغلب انها (لواتة) التي كان لها سطوة ونفوذ آنذاك .

نَكبة الوندال

فقرة ٨

آل حكم الوندال بعد موت (هونوريك) إلى (غونداموندوس) ابن(جينزون) بن(جيزريك) ، إذ كان أكبر ذرية جيزريك سناً. وقد اشتبك غونداموندوس هذا في معارك عديدة مع المور[1] ، ثم مرض ومات ، بعد أن اذاق النصارى صنوف العذاب ، في منتصف العام الثاني عشر من حكمه . ثم تقلد زمام الحكم من بعده اخوه (تراساموندوس) وهو رجل وهب حسن الصورة والفطنة وسعة الفكر . لكنه على كل حال ظل يجبر النصارى على تغيير دين آبائهم ، لا عن

الوندال يضطهدون النصارى الكاثوليك

طريق التنكيل بأجسادهم كما كان يفعل أسلافه ، بل بمحاولة كسبهم عن طريق التكريم والمناصب واغداق المال عليهم . أما بالنسبة لمن لا يقتنعون منهم فقد كان يتظاهر بأنه لم يكن يعرف إلى أي دين ينتسبون . فإذا ما قبض على أي مذنب منهم بجرم عظيم ارتكبه عمداً أو عن غير قصد فإنه كان يعرض عليه أن يعفيه من العقاب على جرمه في مقابل أن يغير معتقده .

---

(١) Moors – أهل شمال أفريقيا .

تراساموندوس يتولى زعامة الوندال

وعندما توفيت زوجة تراساموندوس دون أن تخلف عقباً ذكراً أو أنثى أرسل إلى (لذريق) ملك (القوط) (١) وطلب منه أن يزوجه اخته (أما لافريدا) التي توفي عنها زوجها منذ عهد قريب ، أملاً في تأسيس المملكة على أسس مأمونة جهد الطاقة . فلم يكتف لذريق بأن يرسل له اخته فحسب ، بل بعث معها كذلك ألف رجل من أعيان القوط حرساً خاصاً لها ، ومن خلفهم جملة من الأتباع يبلغون حوالي خمسة آلاف رجل محارب عدداً . وأهدى لذريق اخته أيضاً أحد رؤوس صقلية الثلاثة — وهو رأس (ليلوبايوم)—ونتيجة لهذا عُدّ تراساموندوس أقوى وأشد من حكم الوندال ، كما أصبح كذلك صديقاً حميماً للإمبراطور (أنستاس) . وفي عهد تراساموندوس هذا عانى الوندال نكبة مريرة على أيدي المور لم تصبهم أبداً من قبل !

كاباون الطرابلسي يستعد للقاء الوندال

فقد كان هناك رجل يدعى « كاباون (٢) » يحكم مور طرابلس ، تميز بالدهاء الكبير وخاضَ معارك كثيرة . وعندما علم كاباون هذا بزحف الوندال عليه قام بالعمل التالي : فأصدر أوامره أولاً إلى اتباعه بأن يبتعدوا عن كلّ عسف ، وان يجتنبوا المتعة ويمتنعوا خصوصاً عن معاشرة نسائهم . ثم أقام بعد ذلك سورين دائريّين عسكر هو والرجال جميعاً في أحدهما ووضع النسوة في الآخر ، وتوعد بالموت عقوبة لمن يذهب إلى معسكر النساء . وبعدها أرسل عيوناً

---

(١) Goths . حكام اسبانيا حتى الفتح الإسلامي .

(٢) Cabaon ولعل هناك صلة بين اسمه واسم بلدة كاباو Cabao في جبل نفوسة .

إلى (قرطاجنة) مزودين بهذه التعليمات : عليهم أن يراقبوا الوندال متى مضوا في حملتهم قدماً وإهانتهم لأي معبد يوقره النصارى ، ويرصدوا ما يحدث . وحين يغادر الوندال المكان عليهم ان يفعلوا عكس ما فعله الوندال بالمعابد قبل رحيلهم عنها . ويقولون إنه أضاف إلى هذا أنه كان يجهل الإله الذي يعبده النصارى، لكن من المحتمل — لو كان هذا الإله قوياً كما يقال عنه — أن ينزل نقمته المدمرة بمن أهانوه ويدافع عمّن بجّلوه .

عيون كابون يتعقبون الوندال

وهكذا جاء جواسيس كاباون إلى قرطاجنة وانتظروا في هدوء يلاحظون تأهب الوندال . لكن ما إن بدأ الجيش مسيرته إلى طرابلس حتى اقتفوا أثره مرتدين ثياباً رثة ، ولما عسكر الوندال في اليوم الأول اقتادوا خيولهم وحيواناتهم الأخرى إلى داخل معابد النصارى ، ولم يدعوا منكراً إلا فعلوه ، وقاموا بكل محظور تجيزه طبيعتهم المتوحشة ، فضربوا من أمسكوا به من الرهبان وجلدوهم جلداً عنيفاً على ظهورهم بالسياط . لكن بمجرد ان ارتحل الوندال من هناك قام جواسيس كاباون بعمل ما أمروا به ، فنظفوا في الحال المعابد وأزالوا منها أكداس القاذورات وكل خبيث فيها ، وأوقدوا جميع المشاعل ، وكانوا ينحنون أمام الرهبان باحترام عظيم ويحيونهم بكل ودّ . وبعد أن أعطوا القطع الفضية للفقراء المحيطين بهذه المعابد تبعوا جيش الوندال . واستمر الأمر على هذا الحال طول الطريق ، إذ كان الوندال يقومون بهذه الجرائم فيعيد الجواسيس نفس ما فعلوه . حتى اذا اقتربوا من المور سبق الجواسيس وأنبأوا كاباون بما فعله الوندال وما فعلوه هم لمعابد النصارى ، وأن

العدو ليس عنهم ببعيد . وعندما علم كاباون بهذا أعد عدّة

خطة للمعركة محكمة

المعركة على النحو التالي : إذ اختط دائرة في السهل الذي كان يزمع أن يتخذه معسكراً له ، ووضع جماله منحرفة بجوانبها تشكل دائرة لحماية المعسكر ، وجعل جبهته تواجه العدو وأثني عشر جملاً . ثم وضع الأطفال والنسوة والعجزة جميعاً مع ممتلكاتهم في وسط الدائرة ، في حين أمر جملة الرجال المحاربين بان يقفوا بين أقدام تلك الحيوانات ويحموا أنفسهم بدروعهم . فلما وجد الوندال جيش المور على هذا الوضع ذهلوا عما يمكنهم عمله ، إذ لم يكونوا يحسنون استعمال النبال ولا الأقواس ، كما لم يكونوا يعرفون كيف

ارتباك الوندال

يلتحمون راجلين ، فقد كانوا جميعاً فرساناً يستخدمون الرماح والسيوف أكثر من سواها ، فلم يكونوا لهذا يستطيعون الحاق أذىً بعدوهم على بعد .

وقد حرنت خيولهم بعد ان أزعجها منظر الجمال، وأبت أن تنقاد في اتجاه العدو على الإطلاق. وهكذا استطاع المور أن يثخنوا

كاباون ينتصر ويذيق الوندال العذاب

الوندال قتلاً هم وخيولهم دون عناء ، بأن رشقوهم بأعداد هائلة من النبال من مكمنهم الآمن ، وهم حشد كبير ، فبدأ هؤلاء في الفرار . وعندما خرج المور كان أغلب الوندال قد هلك ، بينما وقع بعضهم في أيديهم ، ولم يعد من هذا الجيش سوى عدد قليل جداً ! .

وكان هذا هو نصيب تراسامونذوس من العذاب الذي لاقاه على أيدي أهل طرابلس ! .

الكتاب الرابع

تعريف

تولى جستنيان عرش روما الشرقية (بيزنطة) سنة ٥٢٧ م . وكان النصف الغربي من الامبراطورية في يد (البرابرة) — أو الوندال — منذ حوالي نصف قرن من الزمان . وقد قرر جستنيان استعادته إما بدافع من الحنين إلى مجد الرومان القديم ، أو لحماية الكاثوليكية من أعدائها الهراطقة . وكانت إفريقيا هي أول الأهداف ، وكان الوندال يسيطرون عليها آنذاك . وبعد وفاة تراساموندوس تولى زعامتهم (هلدريك) الذي ارتبط بصداقة شخصية متينة مع جستنيان ، ولكنه لم يستطع كبح جماح القبائل الليبية ، فخلفه ابن أخيه (جليمير) . وهنا رأى جستنيان الفرصة سانحة كي ينتقم لصديقه هلدريك ، فأعدّ حملة ضخمة بقيادة (بيليساريوس) لهذا الغرض ، للسيطرة على افريقيا وإزاحة الوندال عنها . وفي عشية تحركه جاء رسول من طرابلس إلى جستنيان بخبر ثورة زعيم وطني هو (بودينتيوس) باسم الإمبراطور في وجه الوندال ، وطلب العون . فبعث له جستنيان قوة صغيرة احتل بها — وبقبيلته — البلاد التي كانت في يد الوندال . وتم بعد هذا لبيليساريوس القضاء على جليمير . ثم عين (سليمان الداراسي) حاكماً عاماً لشمال افريقيا ، واستطاع السيطرة على الجيش

والقبائل على حد سواء . غير ان حادثاً عرضياً أتى به ابن اخيه (سرجيوس) الذي كان حاكماً للبدة وما حولها سبب قيام قبيلة لواته الليبية بثورة عارمة حوالي سنة ٥٤٤ م كانت سبباً في هلاك سليمان وفي مواجهة الروم لحرب طاحنة لا تقل عناءً عن حربهم مع الوندال .

انتقام لواتة

فقرة ٢١ وفي السنة الرابعة من هذا [١] انقلبت سعود الروم كلها إلى نحوس . فقد عين الامبراطور جستنيان في العام السابع عشر من حكمه كلاً من (كوروس) و (سرجيوس) ابني (باكوس) أخي (سليمان [٢]) ليحكما مدن ليبيا . فكان لكوروس – وهو الأكبر سناً – (بنطابلس [٣]) ولسرجيوس (طرابلس) . وجاء المور الذين يدعون (لواته [٤]) إلى سرجيوس بجيش عظيم في مدينة (لبدة العظمى) ، وأذاعوا

---

(١) الإشارة هنا إلى هدوء الأحوال بعد الصراع العنيف الذي خاضه اهل شمال إفريقيا ضد الوندال والروم ، واستتباب الأمور لسليمان الداراسي الذي سبق ذكره . وكان هذا خلال عامي ٥٤٣ – ٥٤٤ م .

(٢) Cyrus وSergius ابنا Bacchus. و Solomon هو أحد قادة الامبراطور جستنيان في ليبيا . وكان من مدينة تقع في اقاصي الامبراطورية البيزنطية من جهة الشرق تدعى Daras ، كما كان قائداً للجيش الاحتياطي ، ومعاوناً للقائد الشهير Belasarius (انظر : 9 ,7 - 5 .III. Xi) .

(٣) أي مدن برقة الخمس .

(٤) أنظر : كتاب العمائر عند ذكر (لواته) والتعليق .

مذبحة الثمانين شيخاً من لواته

أن سبب قدومهم هو أن يعطيهم الهدايا وشعارات المناصب المعتادة [١] حتى يسود الأمن والسلام . ولكن سرجيوس ، مقتنعاً برأي (بودنتيوس) — وهو رجل طرابلسي ذكرت فيما سبق أنه أعان الإمبراطور جستنيان ضد الوندال في بداية الحرب الوندالية [٢] — استقبل ثمانين رجلاً من أعظم وجوه لواته داخل المدينة ، واعداً إياهم بتلبية طلباتهم كلها ، وطلب من الباقين ان يظلوا في ضواحيها . وبعد أن أعطى هؤلاء الأعيان ضمانات السلام دعاهم إلى وليمة أقامها لهم . ويقال إن هؤلاء جاءوا إلى المدينة يبيتون الغدر ، وأنهم كانوا ينصبون فخاً لسرجيوس ليقتلوه . ولما جلسوا يأتمرون معه دفعوا بتهم عديدة ضد الروم ، وقالوا بالخصوص إن محاصيلهم سلبت ظلماً وعدواناً . فنهض سرجيوس ، غير

(١) راجع : (III.XXV.4.FF)وكان من عادة سكان البلاد أن لا يعترفوا بأي حكم جديد إلا إذا دفع لهم بشعارات فضية مغشاة بالذهب ، وغطاء رأس فضي يشبه التاج ومثبتاً من جوانبه بركائز من فضة ، وعباءة بيضاء تثبت على الكتف الأيسر بمشبك ذهبي ، وقباء أبيض مطرز ، وحذاء مموه بالذهب .

(٢) Podentius راجع : ((III.X.22)ويذكر بروكوبيوس ماخلاصته أن قسيساً جاء إلى الامبراطور جستنيان وأخبره بأن يسوع تجلّى له في المنام وقال له إنه سيكون مع جستنيان إذا ما شن الحرب على الوندال في ليبيا وخلصها من شرورهم . فاستعد الإمبراطور لغزو ليبيا ، وجاءه في أثناء ذلك رسول من قبل بودنتيوس الطرابلسي هذا يطلب منه العون على القيام في وجه الوندال وينبئه بأن في إمكانه التغلب عليهم ، فبعث له جستنيان جيشاً صغيراً بقيادة Tattimuth فاستولوا على أرض الوندال الذين كانوا مشغولين بأحداث اخرى في سردينيا ، وأصبح منذ ذلك الحين حليفاً للروم .

ملتفت لهذه التهم ، من فوق الكرسي الذي كان جالساً عليه بغية الذهاب . فحاول رجل من لواته أن يمنعه من ذلك بأن وضع يده على أحد كتفيه . ثم بدأ بقية رفاقه يصيحون واندفعوا نحو سرجيوس ، لكن أحد حرسه استل سيفه وقتل ذلك اللواتي . ونتج عن هذا بالطبع هرج عظيم ارتفع في الدار . وكان أن قتل حرس سرجيوس كل شيوخ لواته الثمانين ، إلا واحداً منهم اندفع خارج الدار حين رأى مذبحة رفاقه دون أن يلحظه أحد . وحين وصل إلى رجال قبيلته أعلن لهم ما جرى لزملائه . فلما سمعوا هذا اسرعوا إلى معسكرهم وتقلدوا جميعاً اسلحتهم لمواجهة الروم . وعندما اقتربوا من مدينة لبدة واجههم سرجيوس وبودنتيوس بجيشهم كله ، وأصبح القتال في المعركة التحاماً يداً بيد . وقد كان النصر في البداية للروم ، فقتلوا كثيراً من العدو ونهبوا معسكره واستولوا على ممتلكاته ، كما سبوا عدداً كبيراً جداً من النساء والأطفال . لكن بودنتيوس ما لبث أن قُتل بعد أن تملكته روح المخاطرة الطائشة ، وانسحب سرجيوس والجيش الرومي إلى داخل لبدة بحلول الظلام .

لواتة تكتسح جيش الروم

وقام بعد ذلك لواتة يحاربون الروم باستعداد عظيم ، ومضى سرجيوس ليلحق بعمه سليمان عساه يمضي معه للقاء العدو بجيش اكبر ، ووجد هناك أيضاً أخاه كوروس . وقد شن لواته حين وصولهم إلى (بوزاكيوم [١]) غاراتهم وغنموا جزءاً كبيراً من تلك البلاد . وأصبح « انتالاس [٢] »

(١) Byzacium هي مدينة سوسة ، على الساحل الشرقي لتونس .

(٢) Antalas راجع :IV. xii. 30. ويذكر بروكوبيوس أن مور=

— الذي ذكرت فيما سبق أنه ظل على وفائه للروم وصار لهذا هو الحاكم الفرد على المورفي بوزاكيوم — أصبح الآن عدواً لسليمان ، ذلك لأن سليمان كان قد حرمه من الجراية السنوية التي كان الامبراطور جستنيان يكرمه بها ، كما قتل أخاه متهماً إياه بأنه مسئول عن ثورة قامت ضد سكان بوزاكيوم من الروم . وعليه فإن انتالاس سُرّحين رأى لواته ، وعقد معهم حلف هجوم ودفاع ، وقادهم ضد سليمان وقرطاجنة .

سليمان يستعد لقتال لواتة

وبمجرد أن سمع سليمان بهذا حرك جيشه عن بكرة أبيه وسار ليواجه لواتة ، فهبط عليهم عند مدينة (تبسته) ، وهي تبعد مسافة ستة أيام عن قرطاجنة . وعسكر هناك بصحبة كوروس وسرجيوس وسليمان الأصغر أبناء أخيه باكوس . ثم أرسل إلى قادة لواتة — وقد خشي كثرة عددهم — يلومهم لأنهم حملوا السلاح في وجه الروم في أثناء السلم معهم ، وطلب منهم أن يوطدوا أركان السلام الموجود بين الشعبين . كما وعد بأنه سيحلف بأغلظ الأيمان على أنه سيتغاضى عن كل ما فعلوه .

لكن لواتة قالوا — ساخرين من أقواله — إنه سيقسم طبعاً بكتب النصارى المقدسة التي يدعونها الأناجيل . ولما كان سرجيوس قد أقسم هذه الايمان ذات مرة ثم قتل أولئك

=بوزاكيوم لجأوا إلى جبال الأوراس في الجزائر مع بقية إخوانهم عندما دخل الروم قرطاجنة عام ٥٣٥ م . ولم يبق في بوزاكيوم سوى أنتالاس هذا وأتباعه ، وقد هادن الروم .

لواتة تسخر من سليمان

الذين صدقوها (١) فإنهم يتوقون إلى المعركة ليمتحنوا هذه الكتب المقدسة ذاتها ، وليشهدوا أي ضرب من القوة فيها ضد الحانثين ، حتى يثقوا فيها ثقة مطلقة قبل أن يدخلوا في اتفاق نهائي . ولما سمع سليمان ذلك أخذ اهبته للحرب .

وفي اليوم التالي اشتبك بقسم من الأعداء وقد أتوا معهم بغنائم كثيرة ، فانتصر عليهم في موقعة واستحوذ على كل ما لديهم من غنائم ووضعها تحت الحراسة . فغضب الجند عندها وقالوا إن من الظلم أن لا يوزع عليهم الأسلاب ، فقال سليمان انه ينتظر نتيجة الحرب ليوزع عليهم كل شيء

هزيمة الروم

آنذاك ، فينال كل منهم سهمه الذي يستحق . لكن عندما هاجم لواتة مرة أخرى بجيشهم كله تخاذل بعض الروم هذه المرة ودخل الباقون المعمعة دون حماسة . وقد ظلت كفتا الفريقين متعادلتين في بداية الامر ، ثم ما لبثت أن رجحت كفة لواتة رجحانا كبيراً لتفوقهم في العدد ، فهرب أغلب الروم . ورغم أن سليمان وثلة من الرجال حوله صمدوا زمناً لقذائف لواتة فإنهم اندحروا في النهاية ، ففروا على عجل حتى بلغوا وهدةً من نهير كان يجري في ذلك الإقليم .

ومقتل سليمان

وهناك تعثر فرس سليمان وطرحه أرضاً ، فرفعه حارسه بسرعة من بين أيدي رجال لواتة ووضعه على ظهر فرسه . لكن الألم الشديد غلبه ولم يعد قادراً على أن يمسك بعنان جواده ، فأخذه لواتة وقتلوه . كما قتلوا بجانبه عدداً كبيراً من حرسه .

وهكذا كانت نهاية حياة سليمان ! .

---

(١) الإشارة هنا إلى مذبحة الثمانين زعيماً (IV. xxi.) حيث لم يذكر بروكوبيوس شيئاً عن قسم أداه سرجيوس على الانجيل .

نصوص من ليو الأفريقي

تعريف

هذا مؤلف عربي اسمه الأصلي : الحسن بن محمد الوزان الفاسي (١). وقد عرف في الغرب وفي الدوائر العلمية باسم « ليو أفريكانوس » Leo Africanus أو « ليو الأفريقي » بسبب أنه جاء من أفريقيا أو لأنه كتب عنها مجلده الضخم (وصف أفريقيا). Description of Africa وعرف أيضاً بـ «الغرناطي» وباسم « جيوفاني ليوني» Geovanni Leone. ولد في غرناطة بالأندلس عام ١٤٩٤ م . أو ٩٥ ، في أثناء محنة المسلمين فيها ، من أسرة ميسورة الحال ، هاجرت — فيما بعد — إلى فاس بالمغرب الأقصى . وقد قضى طفولة وشباباً قاسيين ، واستطاع — برغبته الصادقة وذكائه المتميز — أن يكون نفسه علمياً رغم قسوة الحياة ومشاقها . وعمل جندياً وتاجراً ، وقاضياً ، وفقيهاً ، وكاتباً ، وإماماً ، وسفيراً لبلاط فاس لدى تمبكتو . وقام برحلات كثيرة إلى ليبيا ومصر والحجاز وبلاد فارس والأناضول ، ودواخل أفريقيا حتى تشاد وحول نهر النيجر . وعاصر — إلى جانب سقوط الاندلس — حكم المماليك لمصر ، وسقوط القاهرة في يد العثمانيين .

وفي أثناء رحلة ثانية قام بها بحراً إلى القسطنطينية ، وقع أسيراً في يد بعض قراصنة البندقية عند جربة فحملوه — لما تبينوا علمه — إلى البابا « ليو العاشر » — فأكرمه هذا وحرره وعمل على تنصيره . وقد أعلن

---

(١) في الأصل الإنجليزي الذي ترجمت عنه تقرأ : (الوزاز Al-Wazzaz) بزائين . لكن الصواب هو (الوزان) — بنون في آخره .

تنصره – ربما بضغط الحاجة والخوف – وعاش في روما حيث وضع كتابه الشهير الذي يبدو أنه سجله بالعربية أولاً ، أو أنه نقله من جذاذات كان يحتفظ بها إلى اللغة الايطالية . وطبع الكتاب لأول مرة في أثناء حياته عام ١٥٥٠ م .

وبعد وفاة البابا « ليو العاشر » ساءت الأحوال بالنسبة اليه ، والأرجح أنه غادر روما إلى تونس حيث عاد إلى الإسلام من جديد وعاش بقية حياته إلى أن توفي بها عام ١٥٥٢ م .

وقد ظل هذا الكتاب المصدر الوحيد المعتمد عليه في معرفة أحوال شمال أفريقيا ووسطها لمدة ثلاثة قرون ، حين بدأ الرحالة الأوربيون في حركة استكشاف الصحراء ومعرفة أسرارها .

واذا كان من عادة « ليو » أن يقتبس ممن سبقوه في الكتابة عن هذه المناطق كالإدريسي والبكري وسواهما – فان ملاحظاته الشخصية كانت واضحة للغاية خاصة فيما يتعلق بوصفه للحياة الاجتماعية في المغرب الأقصى ومصر . أما بالنسبة لليبيا فيبدو أن إقامته بمدنها لم تكن طويلة ، إذ اكتفى بوصف أهم معالمها في عصره – رغم أنه يذكر زيارته لها وأنه عمل تاجراً بها ، إذ « اشترى من برقة مع بعض التجار بعض الأغنام والسمن » . (١)

وقد ترجمتُ المقتطفات التالية من ترجمة « جون بوري » J. Pory التي نقلها عن الايطالية عام ١٦٠٠ م . عن طبعة مكررة بمقدمة وهوامش بقلم الدكتور « روبرت براون» R. Brown. وحرصت على نقل ما وجدته مناسباً من تعليقات « براون » التي سجلها عام ١٨٩٥ م . إذ أصبحت هي الأخرى من جملة النصوص التي تبين ما كانت عليه البلاد في تاريخها البعيد والقريب . (٢)

---

(١) ص VIXX من مقدمة براون .

(٢) يحسن أن يعود القارىء – لمزيد من الفائدة – إلى مقالة الدكتور نقولا زيادة (ليبيا من حسن الوزان إلى التمغروتي) المنشورة في مجلد (ليبيا في التاريخ) ص ٢٤٩ وما بعدها . ويستفيد من ترجمته وتعليقاته .

عن بلدة زوارة

هذه البلدة التي بناها الأفارقة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، تقع على بعد نحو خمسين ميلاً شرقي جزيرة جربة . وهي ذات سور ضعيف وسكان معوزين ، لا يقومون بشيء سوى صناعة الجير واستخراج الجبس يبيعونه في مملكة طرابلس [1] أما حقولهم فهي جرداء للغاية . وتضيّق غزوات النصارى على السكان الخناق باستمرار . وبخاصة منذ استولى النصارى على طرابلس .

---

(١) كذا في الأصل Kingdome of Tripoli .

(٢) يخلط « براون » بين زوارة والزاوية في تعليقه ، وكذلك بينها وبين زواغة – (المترجم) . وقد كان عند زوارة أن هزم فرسان القديس يوحنا بمالطة تحت قيادة « ليون ستروزي » L. Strozzi يوم ١٦ أغسطس ١٥٥١ م . وكانت هذه الهزيمة ، مضافة إلى فشلهم في السيطرة الكاملة على طرابلس ، هي بلا ريب التي جعلت هؤلاء الفرسان يرفضون عرض الملك شارل الخامس المهدية عليهم ، اذ لم يكن لديهم مزيد من التحمل لمتاعب أفريقيا (براون) .

عن بلدة لبـــدة

هذه البلدة القديمة التي أسسها الرومان والمحاطة بأسوار غاية في الارتفاع والقوة ، اكتسحها المسلمون [١] مرتين . ومن أحجارها وآثارها بنيت طرابلس فيما بعد [٢] .

---

(١) الأصل : « المحمديون » Mahumetans.

(٢) Lebida – Lepda – Lebda – Lepida – هي لبدة الكبرى LeptisMagna وقدوقع ليو هنافي خطأ. فان لبدة أسسها الصيداويون كمستقر ، وازدهرت تحت حكم الرومان رغم أنها ظلت محتفظة بصبغتها الفينيقية إلى النهاية بسبب اتصال وتزاوج المستوطنين بالنوميديين (يعني السكان الأصليين) المجاورين الذين يتكلمون اللغة البربرية . وخلال الاحتلال الوندالي دمر جنسريك Genseric أسوار لبدة وتحصيناتها كما هي سياسته المعتادة في تدمير تحصينات أفريقيا ، حتى هاجر السكان من المدينة وبسبب وقوعها تحت طائلة البرابرة . فلما جاء جستنيان أعاد بناء أسوار لبدة وصبراته . وفي عهد قسطنطين الثاني (٦٤٧ – ٨ م) غزا لواتة (الذين يقول رينيل Renell إن كلمة « ليبيا » منهم) وهم قبيلة بربرية معروفة ، غزوا لبدة . هؤلاء الغزاة ، بالاضافة إلى رمال الصحراء ، جعلت من لبدة مكاناً لا يحتمل العيش فيه ، حتى هجرها أهلها تدريجياً إلى طرابلس التي بنيت على أنقاض أويا Oea القديمة . وقد أشار كل من سكيلاس وسترابو وبطليموس وبونبوتيوس إلى لبدة باسم نيابوليس Neapolis ويقترح بارتل Bartil أنه اسم حي من أحياء المدينة . وقد جعل موقع لبدة التجاري ، الذي يفضل موقع طرابلس كثيراً ، قاطنيها على حالة من الثراء ، حتى قدرت الجزية في الوقت الذي كانت فيه تحت سيطرة قرطاجنة بتالنت Talent يومياً (٦٦٦ جنيهاً انجليزياً) (بعملة نهاية القرن التاسع عشر – المترجم) . وكان أهلها يدفعون – وهم تحت حكم الرومان – ضريبة مقدارها ٣٠٠,٠٠٠ رطل من زيت الزيتون سنوياً . وكان لهم دستورهم البونيقي كما تظهر النقوش . وكان آخر ذكر للبدة في نص كنسي عام ٤٨٢ ميلادية – (براون) .

عن مدينة طرابلس القديمة

شيدت طرابلس القديمة أيضاً من قبل الرومان ، ثم تملكها القوط ، وأخيراً تملكها المسلمون في عهد الخليفة عمر [١] حين حاصر المسلمون حاكم طرابلس مدة ستة أشهر متوالية وأجبروه في النهاية على الفرار إلى قرطاجنة [٢] . وقد قتل فريق من أهل المدينة وحمل فريق آخر أسيراً إلى مصر والجزيرة العربية ، كما يقرر أشهرمؤرخ أفريقي (لأفريقية) – ابن الرشيد [٣] .

---

(١) المقصود : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وفي الأصل : الخليفة عمر الثاني Califa Homer the Second والصواب : الخليفة الثاني عمر .

(٢) Tripoli Vechia = Old Cities ofTripoli. وطرابلس «المدن الثلاث » في الاصل اتحاد بين ثلاث مدن هي : أويا وصبراته وليدة . وكانت المنطقة تدعى Libya Tripolitania . وقد أطلق اسم طرابلس Tripoli على أويا بعد أن احتلها المستوطنون الناطقون باليونانية . وهي عند بليني : Oea ، وعند بطليموس : EWa ، وعند بعض الجغرافيين : Ocea . وقد سكنها المستوطنون الصقليون والليبيون المتحضرون معاً – (براون) .

(٣) The most famous African Historiographer
ولعل المقصود بابن الرشيد Ibnu Rachith ابن الرشيد السبتي صاحب « ملء العيبة » – مخطوطة بالاسكوريال تحت رقم ١٧٣٦ . وقد نشر احسان عباس ومحمد يوسف نجم ما يخص طرابلس من رحلته في « ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات » . وهي رحلة بحرية ، إلا أنه رسا عند طبرق ونزل بطرابلس ليوم وليلة ، وليس في المنشور في الرحلة شيء عن تاريخ طرابلس .

عن مدينة طرابلس الحديثة في شمال أفريقيا

بعد تدمير طرابلس القديمة (١) بنيت مدينة أخرى بالاسم نفسه . وهي مدينة أحيطت بأعلى وأجمل الأسوار ، لكن على غير متانة . وهي تقع في سهل رملي ينتج مقادير من التمور . وبيوت هذه المدينة أكثر فخامة ، مقارنة ببيوت تونس . وهنا كذلك يوجد لكل تجارة وحرفة مواضع عديدة كما يكثر فيها النساجون . وليس فيها آبار أو عيون ، وانما يأخذون الماء من الصهاريج . ويجاوز سعر الحبوب في هذه المدينة الحد ، إذ أن كل حقول طرابلس رملية وقاحلة مثل حقول نوميديا . والسبب يكمن في أن الجزء الرئيسي الخصيب من أرض هذه المنطقة غمره البحر . ويؤكد أهل هذه البلاد أن القسم الأكبر من حقولهم في الشمال ابتلعه البحر الأبيض المتوسط ، وهو أمر يلاحظ أيضاً في بلاد المنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجزيرة جربة ، وأماكن أخرى أمعن ناحية الشرق ، حيث نجد البحر لمسافة ميل

(١) إن المعنيّ بهذا ليس أويا – كما يفترض أحياناً – تلك الواقعة على أنقاضها طرابلس الحديثة الحالية ، بل Tripoli Vechia أو صبراته . ويقال إن أسوار طرابلس الحالية بناها درغوت (القائد البحري المعروف الذي يبجل ضريحه هناك كل التبجيل) . ورغم أن هذه الأسوار بدأت تنهار الآن إلا أنها تبين عن عمل متين . وهذا لا يتفق مع وصف ليو لها بأنها عالية على غير متانة . ولم يكن ليو ودرغوت متعاصرين ، فإن درغوت جاء بعد ليو وعليه فإن هذه الأسوار قد تكون بنيت أو قويت بعد زيارة ليو لطرابلس . ولا تزال أشجار النخيل كثيرة كذي قبل . والسهل الرملي الذي يتحدث عنه رحالتنا مزركش بها . (براون) .

ضحلاً حتى لا يكاد عمقه يبلغ سرة الانسان واقفاً . بل إن بعض الناس يرى أن مدينة طرابلس ذاتها كانت تقع في الأزمنة الغابرة في مكان أمعن نحو الشمال ، غير أن غمر البحر المستمر دفعها وجعلها تبنى شيئاً فشيئاً ناحية الجنوب . والدليل على هذا أنه لا تزال توجد آثار بيوت مغمورة في بعض مواقع من البحر (١) .

وقد بنيت في هذه المدينة مساجد (٢) حسنة كثيرة ومدارس ، ومستشفى أيضاً لرعاية المعوزين من أهلها ولراحة الغرباء عنها . والطعام (المقدم في هذا المستشفى) محليٌّ بسيط غاية ، تكون من البازين (٣) المذكور آنفاً المعمول من دقيق الشعير . ونجد أن تلك البلاد تنتج كميات قليلة من الشعير ، حتى ليحسب من السراة الأغنياء من كان لديه خزين مقداره (بشل) أو أثنان من الحبوب (٤) .

(١) هذه النظرية عن غزو البحر لا يمكن قبولها كما هي . فالبحر على هذا الجزء من الساحل ضحل ، ويمكن في حالة الجزر أن تخاض المسافة من جزيرة جربة إلى الشاطىء في طريق يسمى (طريق الجمل) . والسبب الرئيسي يكمن في أن هذا الجزء يطمر بالرمال التي تذروها عليه رياح الصحراء باستمرار . وهذا الطمر أكثر الآن من أي وقت مضى بسبب نقص الزراعة والفلاحة والعمارة . ونتيجة لعدم ترابط التربة بالنباتات جارت الصحراء في بعض المواقع على أسوار طرابلس ذاتها ، وهي بلا شك غمرت ما كان يوماً أرضاً زراعية . (براون) .

(٢) الأصل : معابد Temples – المترجم .

(٣) الأصل : بسيس basis غير أن السياق يدل على أن الصواب هو (البازين) – المترجم .

(٤) Bushell مكيال إنجليزي للحبوب – المترجم .

ويمتهن أغلب المواطنين التجارة ، لأن طرابلس — في موقعها بالقرب من نوميديا (الجزائر) وتونس — لا يوجد بينها وبين الاسكندرية بلدة ذات بال . كما أنها ليست على بعد كبير من جزيرتي صقلية ومالطة . وفي ميناء طرابلس ترسو السفن البندقية كل عام حاملة معها كمية هائلة من البضائع .

وقد كانت هذه المدينة خاضعة لملك تونس . غير أنه حين حاصر أبو الحسن — ملك فاس — تونس اضطر ملك تونس للفرار مع أعرابه إلى الصحارى . وعلى أية حال ، فان ملك تونس آب إلى مملكته بعد هزيمة أبي الحسن . غير أن رعاياه بدأوا يقاومونه ، حتى اضطربت المصالح العامة كثيراً بسبب الفتن والحروب الأهلية . ومن ثم تحرك ملك فاس ، ذو العقل الحصيف ، في السنة الخامسة من الحرب الأهلية المذكورة ، نحو مدينة تونس وكسر الملك هناك وأجبره على الهرب إلى قسنطينة .

وهناك ضرب عليه حصاراً شديداً حتى رأى أهل قسنطينة أنه لا قِبل لهم بمجابهة ملك فاس ، ففتحوا أبواب مدينتهم له ولجيشه كله . وعليه أُخِذ ملك تونس أسيراً إلى فاس وسجن بعد ذلك مدة في قلعة سبتة . وكانت طرابلس في تلك الفترة قد بوغتت بأسطول جِنَوِي مكون من عشرين قلاعاً واحتُلّت وأُخِذ أهلها أسارى . ولما أُعلِن ملك فارس بالنبأ أعطى الجنويين خمسين ألف دوقية شريطة أن ترد المدينة ويحكمها في سلام . ولما سلم الجنويون المدينة اكتشفوا ، بعد

رحيلهم ، أن أغلب الدوقيات كانت مزيفة [١] .

ثم عاد ملك تونس إلى مملكته ، بعد أن أطلق أبو سليم ملك فاس سراحه ، وبقي الحكم لديه وفي خلفه حتى قتل أبو بكر بن عثمان [٢] مع ابنه الصغير في قلعة طرابلس على يد ابن

---

(١) حدث هذا عام ١٣٥٥ م. على يد « فيليب دوريا » Ph. Doria أمير بحر جمهورية جنوا الذي قام بعمله دون تفويض من حكومته . ولما كانت هذه الحكومة على وفاق مع طرابلس وخوفاً من النتيجة على تجارتهم مع تونس وساحل شمال أفريقيا شجبت هذا العمل . أما القراصنة الجنويون فقد مكثوا في طرابلس حوالي أربعة أشهر ثم سمح لهم بالعودة إلى جنوا ولم ينلهم سوى عقاب رمزي . ويقال إن فدية تفاوضت فيها جنوا عن طريق ابن مكي حاكم تونس دفعت لهم . (براون) .
ويورد ابن بطوطة في (رحلته) على لسان ابن جزي أنه لما استولى العدو على طرابلس ورأى أبو عنان أن إرسال الجيوش إلى نصرتها صعب ولا يتأتى لبعد الاقطار « كتب إلى خدامه ببلاد أفريقية أن يفدوها بالمال . ففديت بخمسين ألف دينار من الذهب العين . فلما بلغه خبر ذلك قال : الحمد لله الذي استرجعها من أيدي الكفار بهذا النزر اليسير . وأمر للحين ببعث ذلك العدد إلى أفريقية . وعادت المدينة إلى الإسلام على يديه » .
ويرجع البعض الفضل في افتداء طرابلس إلى أحمد بن مكي حاكم قابس ويقال : إن أبا عنان تراخى في الاستجابة لندائه بجمع المبلغ الذي طلبه الجنويون ، فجمع هو من أهل قابس والجريد والحامة المال اللازم . ولما علم أبو عنان بالأمر بعث اليه بالمبلغ ليرده على أهله فرفض ، فعقد له إمارة طرابلس حتى تونس عام ٧٦٦ هـ . أنظر : ولاة طرابلس . ص ١٢٧ — (المترجم) .

(١) ولاه والده عثمان بن محمد ، أمير تونس ، على طرابلس عام ٨٥٨ هـ . وكان له ابن أخ اسمه يحيى بن محمد المسعود(يدعوه النائب في «المنهل =

أخ له اغتصب بعد ذلك الملك . وقد قُتِل هذا الأخير في معركة خاضها ضد عبد المؤمن (١) الذي صار بعدها سيد طرابلس . وجاء من بعده ابنه زكريا (٢) الذي مات بعد أشهر قليلة بالطاعون.واختير من بعدزكريا مكمن (٣) بن حسن وابن عم زكريا ماكاً . فلما بدأ طغيانه على الأهالي طردوه وأخرجوه من المملكة . ثم جاء إلى العرش الملكي شخص من الأهالي وكان حاكماً عادلاً متواضعاً (٤) . لكن الملك المطرود أرسل جيشاً من الجنود ضد طرابلس ، وقد خسروا المعركة وفرّوا جميعاً . بعد ذلك صار الملكُ الذي بدأ حكمه بتواضع طاغيةً جداً ، فاغتاله بعض أقاربه ، واختار الناس أحد الوجهاء ممن كان يعيش حياة صوفية وعينوه رغماً عن مشيئته حاكماً لهم (٥) . وهكذا ظل حكم مدينة طرابلس

=العذب » زكريا) تنازل له جده عن الامارة . فشق أبو بكرعصا الطاعة وحارب ابن أخيه فكانت الدائرة على أبي بكر فقتله ابن أخيه يحيى . وكان آخر والٍ حفصي على طرابلس . (المترجم) .

(١) عبد المؤمن بن علي ، خليفة ابن تومرت منشيء دولة الموحدين .

(٢) زكريا المسعود ــ أمير تونس .

(٣) آخر حاكم حفصي ، وذلك سنة ٨٦٥ هـ ــ ١٤٦٠ م .

(٤) يعني سيدي منصور . (المترجم)

(٥) يذكر الباروني في كتابه « فرسان القديس يوحنا في طرابلس » اسم رجل يدعى يوسف ، وكان أحد السراة اختاره أهل طرابلس بعد مقتل الشيخ منصور . ويرجح طاهر الزاوي أنه من يسميه النائب : محمد بن الحسن الذي استغله بنو غراب لتنفيذ مآربهم . وبينما يقول « ليو » إن الحكم استمر في عقبه نرى أن يوسف هذا مات بالطاعون وحكم بعده شخص يدعى مامي . ثم جاء انتخاب الطرابلسيين بالاجماع لرجل صالح هو عبدالله بن شرف « المرابط » .

في يده وفي يد عقبه حتّى جاء الوقت الذي أرسل فيه الملكُ فردينا ندو أميرَ البحر (بيدرو نافارو) ضدها (١) . وقد باغت (بيدرو) المدينة وأخذ معه منها أسرى كثيرين . وأرسل حاكم طرابلس وزوج ابنته (صهره) أسيرين إلى (مسّينا) . وظلا هناك بضع سنوات سجينين حتّى أطلق الامبراطور (شارلز الخامس) سراحهما ، وعادا إلى طرابلس التي خربها النصارى . وقد أعيد إسكان طرابلس وأحيطت قلعتها بأقوى الأسوار ــ فيما أعرف . وهذا الشيء نفسه ينطبق على مدن مملكة تونس (٢) .

---

(١) هذا في عهد عبدالله بن شرف سنة ٩٢٦ هـ ــ ١٥١٠ م .

(٢) هذا القسم من تاريخ ليو مضطرب وغير دقيق للغاية . فقد احتل « بيدرو نافارو » طرابلس عام ١٥١٠ م . وكان يحكمها قبله لمدة طويلة بنو عامر وقد تغلب أبو فارس (أمير تونس) على آخر حاكم من تلك الدولة . وفي إبان هجوم نافاروعلى طرابلس كانت المدينة والمنطقة المجاورة تحت حكم شيخ مستقل . وقد دافع أهل المدينة عنها شارعاً بعد شارع وبيتاً بعد بيت . ولما تم احتلالها هجرها أهلها وبعض التجار الجنويّين الذين كانوا هناك...

وفي عام ١٥٣٠ م . أعطى الملك « شارلز الخامس » طرابلس ومالطة لفرسان القديس يوحنا الذين كانوا خرجوا لتوهم من رودس . وقد طردهم سنان باشا ودرغوت عام ١٥٥١ م . وبعد هذا ظل البلد ــ إلا لفترات قصيرة ــ في يد الأتراك وكان رجال البحر الطرابلسيون مصدر ضيق للسفن الأوروبية حتّى أن الأساطيل الأوروبية كانت تقنبلها بين الحين والآخر . وبعد عام ١٧١٤ م . حكم أحمد باشا القرمانلي وأعقابه البلاد كدولة مستقلة ، مع خضوع إسمي للسلطان العثماني ــ تماماً كما فعل بايات تونس . وفي عام ١٨٣٥ عاد الحكم العثماني اليها حتّى الآن (١٨٩٥ م) . (براون) .

عن جبال بني تيغرن ونفوسة

هذه الجبال العالية الباردة تبعد عن الصحراء، وعن جربة، وعن صفاقس ، حوالي ثلاثين ميلاً ، وتنتج قدراً قليلاً جداً من الشعير . ويتصف السكان بالشجاعة وليسوا من أهل السنة [1] . وهم يتبعون مذهب شيخ القيروان في أغلب المسائل ، وليس هناك أي طائفة أخرى من الأعراب تتبع المذهب ذاته . وفي تونس كما في المدن الأخرى — هم يكسبون قوتهم من أشد الحرف انحطاطاً ، ولا يجرأون على الجهر بمذهبهم .

عن جبل غريان

هذا الجبل المرتفع البارد الذي يبلغ طوله أربعين ميلاً ، وخمسة عشر ميلاً عرضاً ، والمفصول عن الجبال الأخرى بصحراء رملية ، يبعد عن طرابلس بنحو خمسين ميلاً .

وينتج هذا الجبل قدراً من الشعير والتمور التي سرعان ما تفسد إذا لم تستهلك وهي طازجة . ويوجد هنا أيضاً وفرة من الزيتون ، حيث ينقل زيت غزير من هذا الجبل إلى الاسكندرية ومدائن أخرى ، وليس ثمة زعفران في أي بقعة من بقاع العالم أفضل مما ينبت هنا ، وهو يباع بثمن باهظ جداً نظراً لجودته . ويجمع للضريبة السنوية من هذا الجبل ستة آلاف دينار وحمولة خمسة عشر بغلاً من الزعفران . وأهل الجبل في ضيق دائم بما يفرضه عليهم

---

(١) الأصل : وينكرون سنة محمد .

ملك تونس والأعراب من أتاوات . ولهم بعض القرى الصغيرة فوق هذا الجبل [1] .

عن جبل بني وليد

هذا الجبل ، الذي يبعد مائة ميل تقريباً من طرابلس ، يسكنه أشجع الناس وأشدهم ، يعيشون بحرية مطلقة وعلى حالة من الحرب دائمة مع أهل الجبال التالية وصحراء نوميديا .

عن القلعة المسماة قصر أحمد

بنى هذا القلعة — على شاطىء البحر الأبيض المتوسط — قائد جاء بجيش إلى أفريقيا . وهي تقع غير بعيد من طرابلس . وقد خربها الأعراب أخيراً [2] .

عن قلعة الشبيكة

شيدت قلعة الشبيكة [3] في نفس الفترة التي جاء فيها المسلمون إلى افريقيا تقريباً ، وكانت في الأزمنة الخالية آهلة بالسكان ،

---

(١) جبل بركاني ارتفاعه ٢٠٠٠ قدم عامر بالسكان جنوب طرابلس . يعيش كثير من سكانه في بيوت منقورة في الجبل . ولا تزال زراعتهم للزعفران مشهورة ، رغم انها نقصت كثيراً بسبب الطغيان والفتن . (براون) .

(٢) قصر أحمد . ربما سمي باسم أحمد بن عمر ، القائد الأغلبي ، أو أحمد بن حسن الكلبي . وقد اختفى قصر أحمد الآن رغم أن مكاناً قرب مصراته (رأس بو شعيفة) لا يزال يعرف بهذا الاسم ، وهو معلم بقبر أحد المرابطين . (براون) .

(٣) وتكتب أيضاً : Sueka و Sudeyca يضعها « مرمول » قرب الرأس المثلث Cape Trietri عند بطليموس . (براون) .

ثم دمرها الأعراب وهي الآن تأوي بضعة صيادين فحسب (١) .

عن القلعة المسماة قصر حسان

أسس هـذه القلعة المسلمون على ساحل البحر الأبيض المتوسط ثم دمرها من بعد ذلك الأعراب (٢) .

عن القرية (٣)

أما وقد تتبعنا حتى الآن الجبال ، فانه يبقى أن نتحدث قليلاً عن بعض القرى والدساكر والأقاليم . ثم نَصِفُ بعد ذلك ، على نَسَقٍ ، مدنَ نوميديا . ونبدأ بالقرية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ذات النخيل الكثير . إن الحقول هناك جافة وقاحلة ، ومع هذا فهي تأتي بشيء من الشعير يقوم بأود السكان (٤) .

---

(١) كذا في الأصل : «and nowe it harborethe a fewe fishers only»

(٢) هي التي يسميها مرمول Ksar Husn بناها جند (عقبة بن نافع) بعد خراب طرابلس القديمة . (براون) .

(٣) الأصل : القرية المسماة القار .

(٤) القرية Gar,Gheria,Garria,Geria – على سواحل سرت الكبرى ، غير أن الوصف مبهم جداً لتحديد موقع هذا المكان غير المهم بدقة (أنظر : Della Cella, p. 80) حصن وبها برجان متهدمان « وشيء يسميه البعض الصهريج » . وكانت مأهولةبالبربر الخاضعين لرئيس تاجوراء . (براون) .

عن قرقارش (١)

هي منطقة أو مزرعة صغيرة تحتوي على كهوف ذات عمق عجيب من حيث (كما يقولون) أخذت الأحجار التي شيدت بها طرابلس القديمة ، لأنها ليست بعيدة من تلك المدينة .

عن قرية صرمان

هذه القرية الواسعة الواقعة غير بعيد من طرابلس ، يكثر فيها النخيل لكن لا حبوب تنمو هناك (٢) .

عن القرية المسماة زاوية بن جربوع

هذه القرية ، الواقعة قريباً من ساحل البحر الأبيض المتوسط ،

---

(١) Garell Gare – ونفس ملاحظتنا على قار تنطبق على قار القار . ورغم أن السياق قد يساعد على تحديد الموقع تقريباً إلا أنها لم تذكر عند « مرمول » ولا « ديلا شيلا » أو في أي مصدر آخر أعرفه . والقارة (Gaïa عند بطليموس) جزيرة صغيرة قرب عين الناقة Ain Naga قريبة من شاطىء سرت الكبرى . وهناك موقع لولي عند زنزور يسمى القار El - Gar بجانب آثار حصن . (براون) .

والمقصود كما يبدو لي « قرقارش » كما فضلت إثباتها هنا ، وهي غربي طرابلس . ولم يكن « ديلا شيلا » ليصفها لأن رحلته كانت نحو الشرق من طرابلس . (المترجم) .

(٢) Sarman – وصف « مرمول» صرمان بأنها بلدة كبيرة دون حصون ، مأهولة جيداً بالسكان من بربر الحرشا Hoarsa Berbers الذين كانوا يعترفون بسلطات طرابلس ولديهم نخل كثير . (براون) .

تنتج كمية عظيمة من التمر ، ولا تنتج حبوباً مطلقا [1] .
ويسكنها أناس متدينون [2] .

عن قرية زنزور

هذه القرية الواقعة كذلك بالقرب من البحر الابيض المتوسط ، على بعد اثني عشر ميلاً من طرابلس ، يقطنها صناع مهرة كثيرون ، وفيها وفرة من النخل والرمان والخوخ . وقد أصبح سكانها في حالة من العوز منذ أن استولى النصارى على طرابلس . ولا يزالون يتصلون بأهل طرابلس ويحملون اليها التمور لبيعها هناك [3] .

عن قرية العمروس

تقع على مسافة ستة أميال من طرابلس ، وتنتج البساتين هناك قدراً كبيراً من البلح وجميع أنواع الفاكهة الأخرى [4] .

---

(١) The Zauia أو قبر سيدي Barbah قرب زنزور. يسميها «مرمول» Zaort أو Zauit سيدي جربوع . (براون) .

(٢) كذا في الاصل Certiane religions persons وهو يعني « المرابطين » وهي « تعرف أيضاً بوطن بلد المرابطين . وهي قرية ذات نخيل باسق ... ورأيت منهم أقواماً قد نحلت من العبادة أبدانهم واصفرت ألوانهم » . أنظر : ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ص ١٢٨ . (المترجم) .

(٣) يسميها « مرمول » Gienzur . وهي الآن مكان فقير في منطقة غنية ذات ماء كثير ، يكسنها ٤ أو ٥ آلاف انسان . (براون)

(٤) Hamrozo – يسميها «مرمول» Hamron – قرية غير مسورة في أيامه . (براون) .

عن سهل تاجوراء

هذا السهل الواقع على بعد ميلين شرقي طرابلس ، يحتوي على ضياع عديدة مثقلة جداً بالنخل وفواكه أخرى . وقد كانت مباغتة طرابلس مفيدة جداً لهذا الموضع ؛ فقد لجأ اليه عدد كبير من الأعيان .

ويبني السكان ، وهم قوم جهلة أجلاف مدمنون على السرقة والنهب ، أكواخاً بجريد النخل . وطعامهم خبز الشعير والبازين السابق وصفه . وجميع من في المنطقة خاضعون لملك تونس والأعراب ، عدا أولئك الذين يعيشون في هذا السهل [1] .

عن إقليم مسلاته

يقع هذا الاقليم على البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي خمسة وثلاثين ميلاً من طرابلس ، وهو مكتظ بالقرى الغنية والحصون والسكان . وبه كثرة من أشجار الزيتون والنخيل . وأهله غير مقيدين بأي سلطة غريبة عنهم (أجنبية) ، ولهم زعيم من أنفسهم يدير شئونهم العامة ويقود معاركهم ضد الأعراب ، ويبلغ عدد جنود هذا الاقليم حوالي ٥٠٠٠ جندي [2] .

---

(١) تكتب Tajiura وTajuia وعند « مرمول » Tachore . وهي مجموعة من القرى المتناثرة محاطة بالبساتين وأشجار النخيل والزيتون ويشتغل الناس فيها بالزراعة وانتاج الخضروات وصناعة العباءات الخشنة والحصر من سعف النخل . (براون) .

(٢) يسميها « مرمول » Mecellat . ولا يزال سهل مسلاته العظيم =

عن اقليم مصراته

هذا الاقليم الواقع أيضاً على البحر الأبيض المتوسط ، على بعد مائة ميل تقريباً من طرابلس ، به عديد من القرى في السهول وعلى الجبال . [1] والسكان ذوو ثراء ولا يدفعون ضريبة إطلاقاً . وهم على صلة بالبنادقة الذين يأتون إلى هذا الاقليم بسفنهم . حاملين بضائع البندقية إلى نوميديا . وهناك يبادلون البضائع بالعبيد والمسك والزباد ، التي يؤتى بها من بلاد السودان (أثيوبيا) [2] .

عن صحراء برقة

تبدأ هذه الصحراء من أقصى حدود مصراته ، وتمتد شرقاً

=مزدهراً ومأهولاً بالسكان وهو مشهور بمهارة أهله الصناعية. وربما كانت قلعة مسلاته – في الطرف الشمالي لقرية القصبات – شيدت على يد الاسبان في نهاية القرن السادس عشر . (براون) .

(١) كذا في الأصل :Mountains . ولا جبال في مصراته . ولعله يقصد كثبان الرمل ومنطقة شاطىء البحر المرتفعة شمالها – وهي عامرة مأهولة . (المترجم) .

(٢) تكتب Mesrata, Mezrata, Msarata, Mesurata .
سهل عظيم مغطى بأشجار الزيتون والنخيل وتبعد المدينة المسماة مصراته حوالي ميل واحد عن رأس مصراته . وهي تحتل موقع مدينة ثوباكتيس Thubactis القديمة . وأغلب المصارته زراع ، وهم يعيشون في بيوت متباعدة متناثرة . لكنهم أيضاً يصنعون البسط ويرسلون القوافل إلى فزّان والسودان . وقد لعبوا دوراً عسكرياً في اضطرابات طرابلس . (براون) .
وبالعربية تكتب : مصراته ، مسراطة ، مصراطة ، ومسراتة

حتى مشارف الاسكندرية . ويبلغ طولها ألفاً وثلاثمائة ميلٍ ، وعرضها حوالي مائتي ميل . وهي مكان قاس غير مسر ، خالية تماماً تقريباً من الماء والحبوب . وقد كانت هذه المنطقة خالية من السكان قبل أن يغزو الأعراب افريقية. أما الآن فإن بعض الأعراب يحيون هنا حياة شظف ومسغبة بمنأى عن الأماكن الآهلة ، وليس لديهم حبوب إطلاقاً. غير أن الحبوب والضرورات الأخرى تجلب اليهم بواسطة البحر من صقلية .

عن منطقة تاورغاء

هذه المنطقة الصغيرة التابعة لمملكة طرابلس والمتاخمة لصحراء برقة ، تحتوي على ثلاثة حصون تعرف كلها بالاسم ذاته . وهي وفيرة النخيل لكنها معدومة الحبوب تماماً . وبسبب بعد السكان كثيراً عن المدن الأخرى فانهم يحيون أسوأ حياة . [1]

عن أرض زليتن

وهي تقع على البحر الأبيض المتوسط ، وتحتوي على عدد كبير من القرى مليئة بالنخيل . وبسبب من أن السكان يعيشون قريباً من البحر فانهم على صلة قريبة بأهل صقلية ومصر [2] .

---

(١) Teorrugo – هي Tegerry التي يذكرها ليون Leon في كتابه Travels in N. Africa صفحة ٢٣٩ . وهي Tegerri عند بارث Barth في رحلته (مجلد ٥ – ص ٢٤٢) أقصى مدن فزان (براون) .
وهذا غلط من « براون » لأن المقصود تاورغاء وليس تجرهى في صحراء فزان ، بدليل قول « ليو » انها تابعة لطرابلس ومتاخمة لحدود برقة . وهذا ما عرفت به تاورغاء دائماً . (المترجم) .

(٢) Iasliten – وهي Yaslite عند « مرمول » . (براون) .

عن منطقة غدامس

هذه المنطقة الشاسعة ذات القلاع والقرى العديدة تقع إلى الجنوب من البحر الأبيض المتوسط بحوالي ثلاثمائة ميل . ويدفع قاطنوها ، وهم أهل تمر كثير وأنواع أخرى من السلع يترحلون في بلاد الزنوج ، يدفعون الضرائب للأعراب على الرغم من أنهم كانوا لوقت ما خاضعين لملك تونس وأمير طرابلس . أما الحبوب واللحوم فهي نادرة هنا بشكل مدهش [1] .

عن منطقة فزان

يضم هذا الإقليم الفسيح عدداً كبيراً من القلاع والقرى ، ويسكنه قوم ذوو ثراء وهو يتاخم مملكة أقاديز والصحراء الليبية وأرض مصر . وهو يبعد عن القاهرة برحلة ستين يوماً تقريباً – دون أن يتخلل الرحلة أي قرية فيما عدا أوجلة التي تقع على حدود ليبيا .

ولإقليم فزان هذا حاكم خاص به . وهو يوزع عائدات الاقليم كله على هواه ، ويدفع بعض الضريبة للأعراب المجاورين . وتندر هنا الحبوب ، كما يندر اللحم ، فيضطرون لأكل لحم الجمال فحسب .

النص الحرفي لما ورد في وصف افريقيا للحسن الوزان: غدامس منطقة كبيرة مكونة من القصور العديدة والقرى المأهولة، تبعد نحو ثلاثمائة ميل عن البحر المتوسط. سكانها أغنياء، لهم بساتين نخل وأموال، لأنهم يتجرون مع بلاد السودان، [illegible] ويؤدون خراجاً للأعراب، وكانوا قبل خاضعين لملك تونس، ثم لخليفة طرابلس. ويرتفع ثمن القمح واللحم في هذا المكان ارتفاعاً كثيراً. ص ١٤٦ من الجزء الثاني/وصف افريقيا للوزان

---

(١) Ghadames – هي كوداموس Cydamus عند بطليموس. مكان لا يزال حسناً للتجارة الرائجة حيث يلتقي التجار من تمبكتو وتوات . ويقطن هذه المنطقة نفس السلالة البشرية التي تعيش في كانو Kano وكاتسينا Katsena وفي مناطق أخرى من السودان (براون) .

عن منطقة أوجلة

أوجلة هي جزء من الصحراء الليبية وتبعد عن النيل بأربعمائة وخمسين ميلاً ، وهي تحتوي على ثلاثة حصون وبعض القرى . وأشجار النخيل هنا وفيرة جداً ، لكن على ندرة في الحبوب إلا أن يجلبها إلى هنا التجار من مصر .

وعبر هذه المنطقة يمر طريق الصحراء الليبية من موريتانيا إلى مصر [1] .

---

(١) Augila هي التي عرفها هيرودوت على أنها مركز المنطقة التي التي كان النسامونيس على سواحل سرت الكبرى يجمعون التمر منها . ومن الغريب أن « باشو » يذكر أنه حين زارها خريف عام ١٨٢٥ م . جاء البدو الرحل ليتزودوا من تمور أوجلة – تماماً كما كان يفعل أجدادهم منذ ٥٠٠ عام قبل الميلاد . أنظر : Voyages dans la Cyrénaique, p. 263

ويقول عنها أبو الفدا انها جزيرة ذات نخل وينابيع في وسط الرمال بين المغرب والواحات . ويمضي الادريسي ليصفها بأنها بلد صغير مأهول أغلب سكانه تجار يتعاملون مع أرض السودان. أما «هارنمان» Harniman الذي كان أول أوروبي يزورها في العصور الحديثة – رغم أنه ترك شذرة قصيرة عنها – فقد وصف المكان بأنه يتكون (عام ١٧٩٨ م .) من بيوت جيرية سيئة البناء ذات طابق واحد ، في وسطها ساحة . ويمتهن أغلب السكان مهناً قعودية (لا حركة فيها) رغم أن بعضهم يسافر مع القوافل بين القاهرة ومرزق . وحول البلدة نجد التربة الرملية خصبة وجيدة ، والماء وفيراً . لكن الحبوب – تماماً كما يقول ليو – نادرة للغاية ، حتى أنها لا تسد حاجات الناس هناك ، فيحصلون على حاجتهم عن طريق مبادلتها بالأغنام مع عرب بنغازي . (براون) .

خرائط ورسوم توضيحية

عن بلدة سرت

سرت بلدة قديمة بناها (حسب رأي البعض) المصريون ، وحسب رأي آخرين بناها الرومان ، (وكما يفترض بعض آخر) بناها الأفارقة . وقد خربها المسلمون ، رغم أن ابن الرشيد [1] يؤكد أن الرومان هم الذين اكتسحوها . لكن الآن لم يبق منها سوى آثار السور .

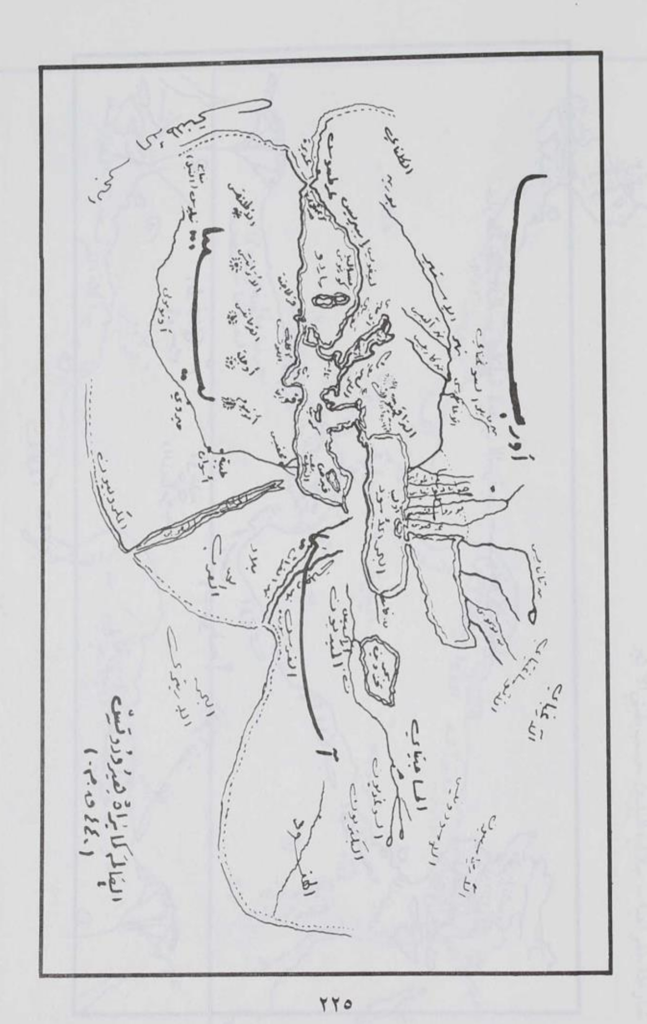
* * *

(١) لم أعثر على المصدر الذي يستند اليه « ليو » في هذا النص . (المترجم)

الربة ليبيا تتوج الحورية قورينا بعد انتصارها على الاسد في الجبل الاخضر



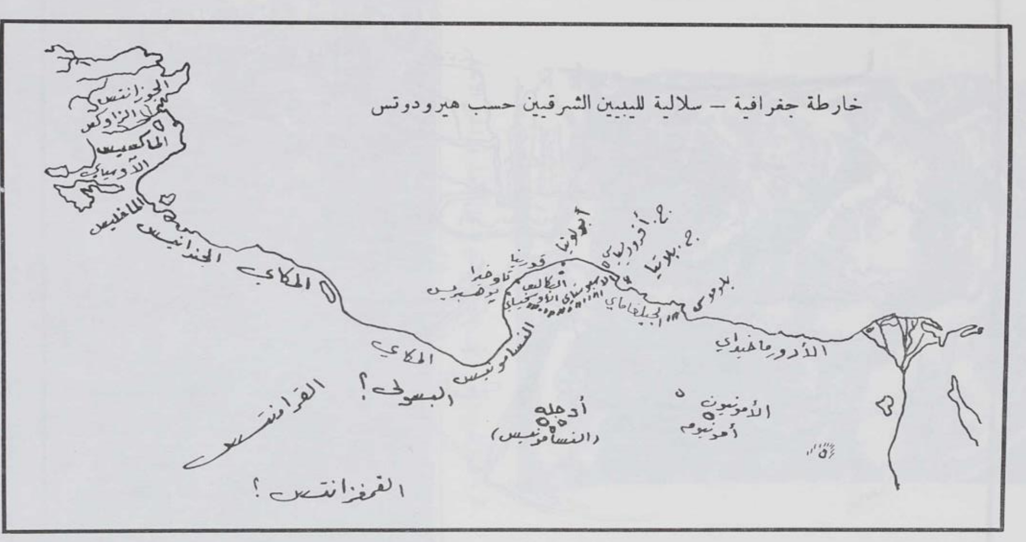
الامازونات – لوحة فسيفساء اكتشفت في خرائب افاميا بسوريا



خارطة جغرافية – سلالة الليبيين حسب سكيلاكس

خارطة جغرافية – سلالة الليبيين حسب بليني الاكبر

خارطة جغرافية – سلالة لليبيين الشرقيين حسب هيرودوتس





بعض رسوم لوجوه ليبية من الآثار المصرية

مجرى النيل والدانوب
كما يراهما هيرودوتس

توزيع القبائل الليبية
في العصر البيزنطي



↑

رجل ليبي وامرأته تسير خلفه تحمل طفلها



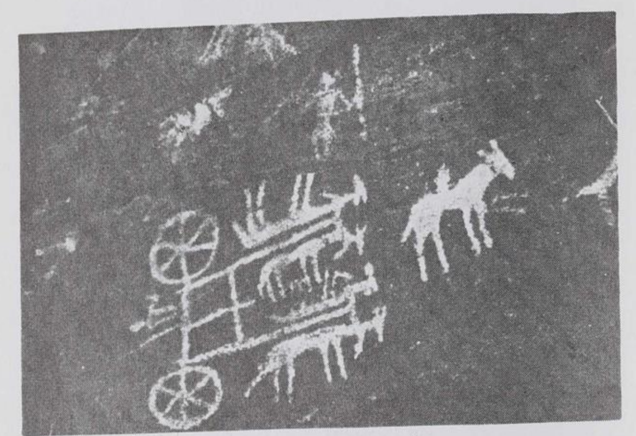
جماعة من الليبو الاقدمين
يتقدمهم اميرهم



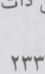
رقصة الحرب الليبية القديمة، وهي تشبه ←
رقصة الكاسكا المعروفة الآن



نموذج لرجل ليبي من البرونز
محفوظ في المتحف البريطاني



عربة القرامانتس ذات الخيول الاربعة





رسم محفوظ في اللوفر لوجه ملك
ليبي يصارع هرقل (الاوروبي)



نموذجان لليبي القديم



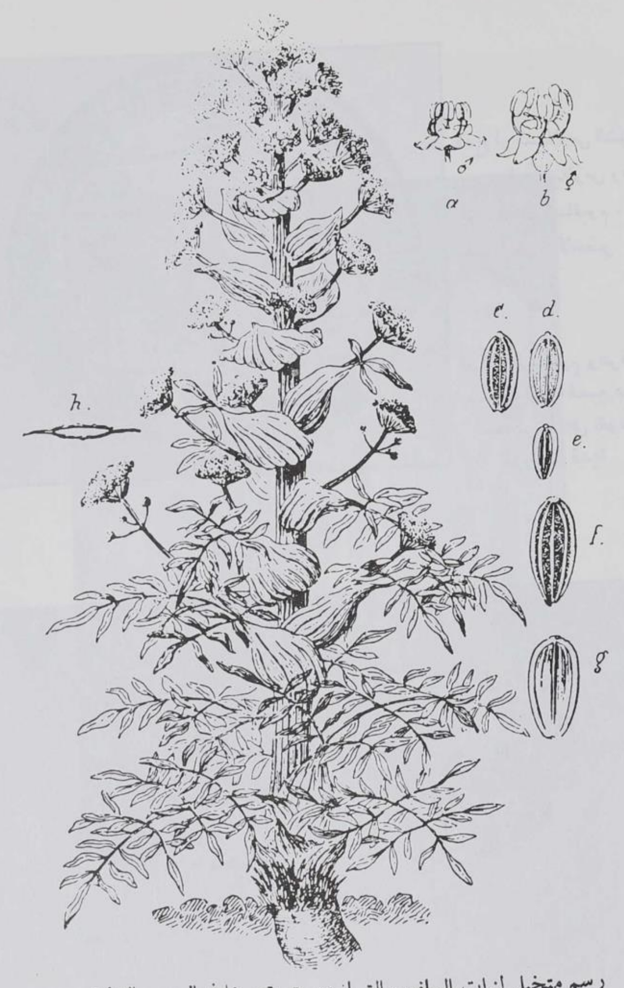
منظر لرجل ليبي محارب



رأس زيوس آمون مصور على نقود



صورة اركسيلاوس الرابع



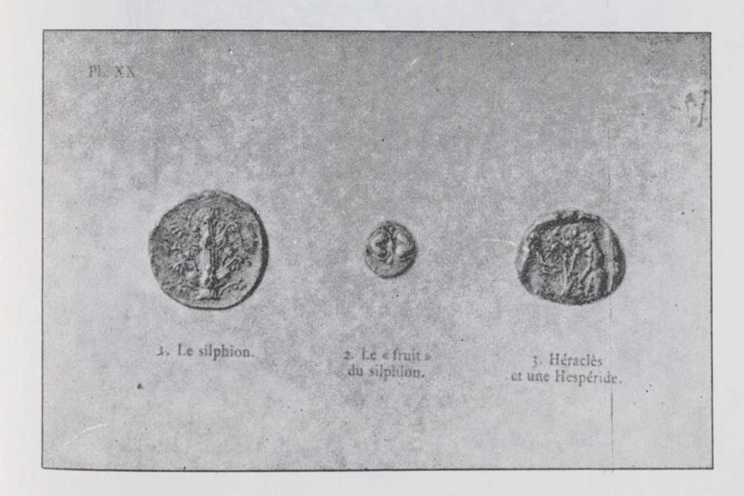
رسم متخيل لنبات السلفيوم التي ازدهرت بقورينا في العصور الفائتة

قدح اركسيلاوس الشهير
ويرى اركسيلاوس وهو
يزن نبات السلفيوم ..
الذهب الاخضر ←



●

نبات السلفيوم وهرقل
عند حدائق الهسبيرديس
مسكوكاً على نقود
قورينية قديمة
↓





بيرسيوس قاتل الغرغونة ميدوسا وهو مع الهسبيرديس



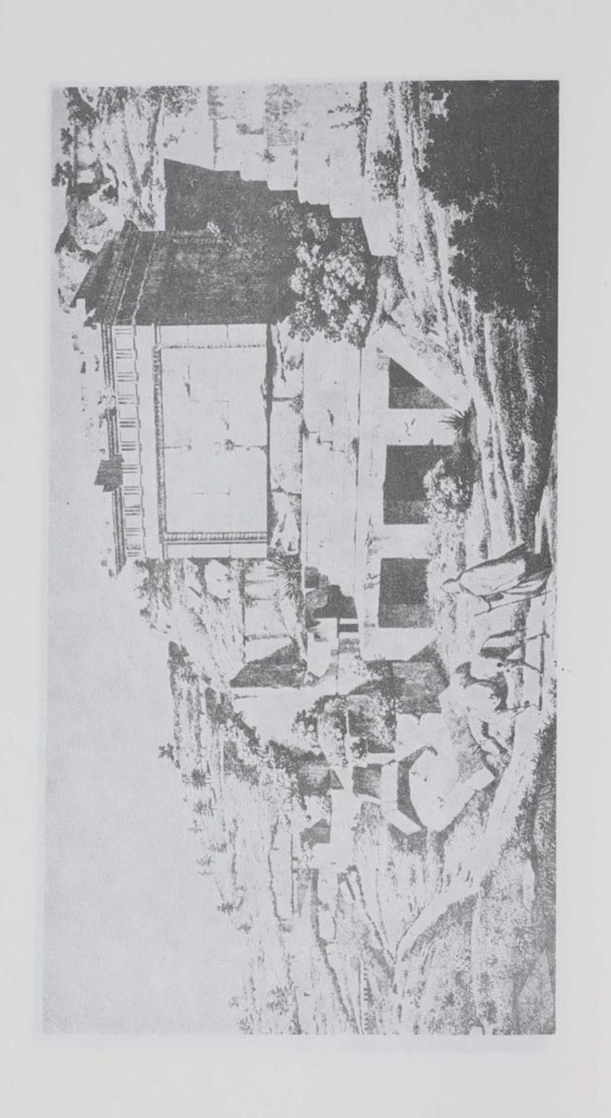
الفرغونة ميدوسا زعيمة الفرغونات التي حاربها بيرسيوس

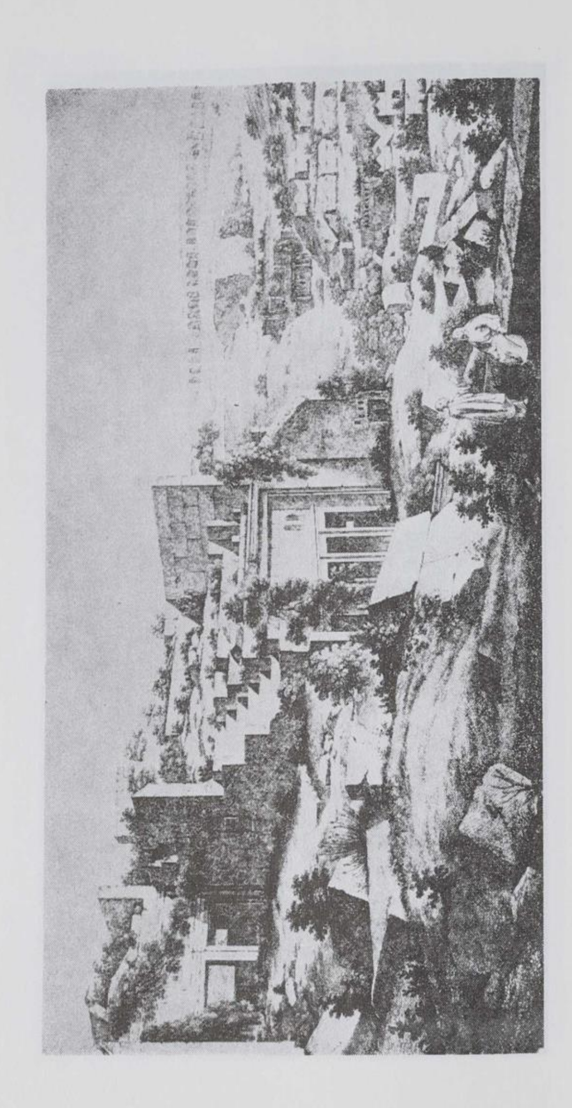
مناظر مختلفة من قورينا

بريشة الرحالة والرسام الفرنسي

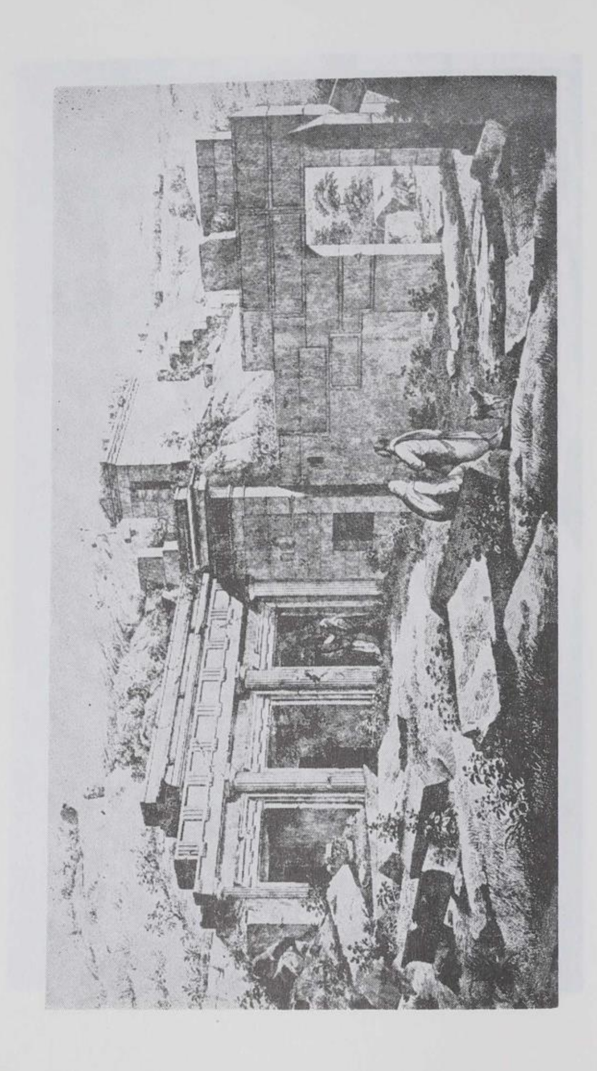
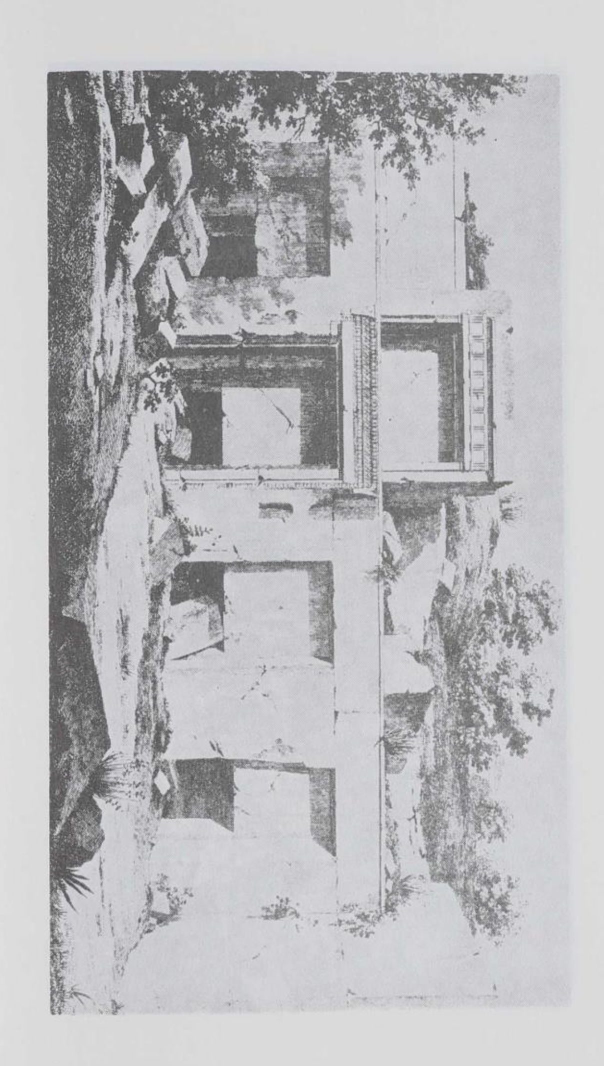
«باشو»

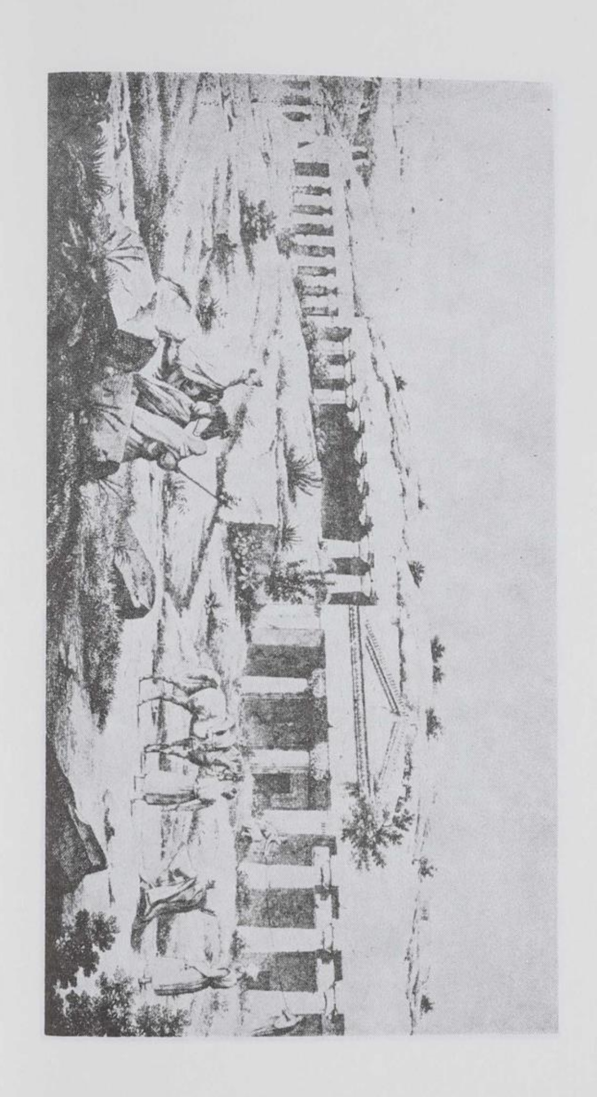
نشرت عام ١٨٢٧ م









فهارس الكتاب

١ ـ فهرس الأعلام

٢ ـ فهرس الأماكن

١ ــ فهرس الأعــلام

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

٢ — فهرس الأمـاكن

– ش –

– ص –

– ط –

– ع –

– غ –

– ن –

— هـ —

— و —

— ي —

المحتويات

المحتويات

LIBYAN TEXTS

from : Herodotus, Strabo, Plinius Secundus, Diodorus Siculus, Procopius of Coesoreas and Leo Africanus .



translated into Arabic and courmentedon

by

A. F. KHUSHAIM

M. A., Py. D.

Faculty of Education,

University of Tripoli

Revised

Second Edition

Published by :

DAR AL-FIKR LIBRARY,